سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(٣٩)

مدخل إلى تاريخ التشيّع في تونس

مدخل إلى

تاريخ التشيّع في تونس

تأليف

عبد الحفيظ البنّاني

مركز الأبحاث العقائدية

إيران ـ قم المقدّسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤
ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٩٨ +)
فاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٩٨ +)
العراق- النجف الأشرف- شارع الرسول صلى الله عليه وآله
شارع السور جنب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام
الهاتف: ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٩٦٤+)
ص – ب ٧٢٩
البريد الإلكتروني: info@aqaed.com
الموقع على الإنترنت: www.aqaed.com

شابك (ردمك) :
اسم الكتاب: مدخل إلى تاريخ التشيّع في تونس
المؤلف: عبد الحفيظ البنّاني
طباعة وإخراج: ضياء الخفّاف
الطبعة:
سنة الطبع: ١٤٣٢هـ
المطبعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين

محمّد وآله الميامين

من الثوابت المسلّمة في عملية البناء الحضاري القويم، استناد الأُمّة إلى قيمها السليمة ومبادئها الأصيلة، والأمر الذي يمنحها الإرادة الصلبة والعزم الأكيد في التصدّي لمختلف التحدّيات والتهديدات التي تروم نخر كيانها وزلزلة وجودها عبر سلسلة من الأفكار المنحرفة والآثار الضالة باستخدام أرقى وسائل التقنية الحديثة.

وإن أنصفنا المقام حقّه بعد مزيد من الدقّة والتأمّل، نلحظ أنّ المرجعيّة الدينية المباركة كانت ولا زالت هي المنبع الأصيل والملاذ المطمئن لقاصدي الحقيقة ومراتبها الرفيعة، كيف؟! وهي التي تعكس تعاليم الدين الحنيف وقيمه المقدّسة المستقاة من مدرسة آل العصمة والطهارة عليهم السلام بأبهى صورها وأجلى مصاديقها.

هذا، وكانت مرجعية سماحة آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني - مدّ ظلّه - هي السبّاقة دوماً في مضمار الذبّ عن حمى العقيدة ومفاهيمها الرصينة، فخطت بذلك خطوات مؤثّرة والتزمت برامج ومشاريع قطفت أينع الثمار بحول الله تعالى.

ومركز الأبحاث العقائدية هو واحد من المشاريع المباركة الذي أُسس

لأجل نصرة مذهب أهل البيت عليهم السلام وتعاليمه الرفيعة.

ولهذا المركز قسم خاص يهتم بمعتنقي مذهب أهل البيت عليهم السلام على مختلف الجهات، التي منها ترجمة ما تجود به أقلامهم وأفكارهم من إنتاجات وآثار - حيث تحكي بوضوح عظمة نعمة الولاء التي منّ الله سبحانه وتعالى بها عليهم - إلى مطبوعات توزّع في شتّى أرجاء العالم.

وهذا المؤلّف - ((مدخل إلى تاريخ التشيع في تونس)) - الذي يصدر ضمن ((سلسلة الرحلة إلى الثقلين)) مصداق حيّ وأثر عملي بارز يؤكد صحّة هذا المدّعى.

على أنّ الجهود مستمرة في تقديم يد العون والدعم قدر المكنة لكلّ معتنقي المذهب الحقّ بشتى الطرق والأساليب، مضافاً إلى استقراء واستقصاء سيرة الماضين منهم والمعاصرين وتدوينها في ((موسوعة من حياة المستبصرين)) التي طبع منها عدّة مجلّدات لحدّ الآن، والباقي تحت الطبع وقيد المراجعة والتأليف، سائلين المولى تبارك وتعالى أنّ يتقبّل هذا القليل بوافر لطفه وعنايته.

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى كلّ من ساهم في إخراج هذا الكتاب، ونخصّ بالذكر فضيلة السيّد علي الرضوي الذي قام بمراجعة هذا الكتاب وإعداده للطبع، والحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الحسّون
مركز الأبحاث العقائدية
١/ رمضان المبارك ١٤٣١
الصفحة علي الإنترنت: www.aqaed.com / Muhammad
البريد الإلكتروني: muhammad@aqaed.com.

الإهداء

إلى معزّ الأولياء ومذلّ الأعداء..

إلى جامع الكلمة على التقوى..

إلى باب الله الذي منه يؤتى..

إلى وجه الله الذي إليه يتوجّه الأولياء..

إلى السبب المتّصل بين الأرض والسماء..

إلى صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى..

إلى مؤلّف شمل الصلاح والرضا...

إلى المضطر الذي يجاب إذا دعا..

أرفع هذا العمل المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة البحث:

إنّ الاهتمام بتاريخ المغرب الإسلامي يعدّ ضرورة ملحّة بل وحيوية للتعرّف على تراث شعوبه و ثقافتها.

كما يعتبر وسيلة هامة وأساسية لإفراز ملامح الشخصية المغاربية وخصائصها .

وإنّه لمن المؤسف حقاً، أن نجد أنّ أغلب المصادر التي تناولت تاريخ هذه المنطقة، قد كتبت بأيد أجنبية عنها(مستشرقين خاصّة).

و رغم ما تضمّنته بعض كتاباتهم من محاسن، (على الصعيد المنهجي)، إلّا أنّ القسم الكبير منها كان مجافياً للصواب والموضوعية . حتّى أنّه يمكن الجزم بأنّ بعضها قد ألّف بدواع استعمارية صرفة.

أمّا بقية المصادر والكتابات التي تناولت تاريخ المنطقة،فإنّها لم تخل، في معظمها، من الهنات والمآخذ العلمية التي تجعل من الاعتماد عليها أمراً محفوفاً بالمخاطر، ولذا فإنّ البحث في هذا التاريخ لا يخلو من صعوبة وتعقيد.

ومهما يكن من أمر،فإنّني لا أدّعي امتلاك الوصفة المناسبة لتجاوز ذلك التعقيد أو تذليل تلك الصعاب، لكنني سأحاول رغم ذلك، إلقاء

الضوء على جانب محدّد وموضوع معيّن من هذا التاريخ التليد، ألا وهو الجانب المتعلّق بتاريخ التشيّع في إفريقية.

في البداية يجب الاعتراف بأنّنا لا نملك سوى القليل عن تاريخ التشيّع في بلاد المغرب، وأنّ هذا القليل الذي نعرفه هو مكتوب في غالبيّته من قبل أعداء الشيعة،لاسيّما من مؤرِّخي البلاط العباسي ومن اتّبعهم بإحسان.

وإنّه لمن المؤسف حقاً،أن نجد أنّ معظم من كتب عن الشيعة،لم يستند فيما كتب،إلى مؤلفاتهم وآثارهم بل اعتمد على ما كتبه أعداؤهم من مؤرِّخي البلاط ووعّاظ السلاطين ومن استنّ بسنّتهم واقتفى أثرهم وسار على هديهم.

لاسيّما إذا وضعنا في الاعتبار أنّ الإساءة للشيعة والحطّ منهم، كانت هدفاً معلناً سعى إليه الأمويون والعباسيون وحاولوا إشاعته بكافة الوسائل[1] إلى درجة أنّ بعض الباحثين قد شكّك في قيمة المصادر التاريخية التي تعود لتلك الحقبة، وفي مصداقيّتها.

هذه المصادر التي شكّلت مادّة ومورداً لكلّ من أتى بعدها ليستمرّ التزييف والتضليل لحقبة طويلة من تاريخنا الإسلامي.

ولذلك فإنّ الدعوة إلى إعادة كتابة تاريخ الشيعة، بل تاريخ الأُمّة

---

(١) يمكن الرجوع في ذلك إلى المصادر التالية :

* ابن أبي الحديد المعتزلي: « شرح نهج البلاغة ».

* طه حسين : « علي وبنوه » و« الفتنة الكبرى ».

جمعاء، تجد ما يبرّرها.

وبالمقابل يرى الكثير من الباحثين، بأنّ الظلم و الإقصاء الذي تعرّض له الشيعة، من قبل السلطات السياسية،عبر التاريخ، كان نتيجة إصرارهم على التمسّك بمبادئهم و عقيدتهم وحرصهم على المحافظة على ما يعتبرونه الدّين الحنيف، وأنّه لولا ثباتهم و تفانيهم وجهادهم لتغيّرت معالم الدّين المحمّدي الأصيل، ولأصبحت أثراً بعد عين.

وعلى كلّ فإنّي سأسعى، في هذا البحث، إلى محاولة التعرّف على التشيّع وجزء من تاريخه، «بإفريقية تحديداً»، برؤية قريبة إلى العقلانيّة، بعيدة عن التعصّب، وأقرب ما تكون إلى الموضوعية والمنهجية والمصادريّة. أملاً في تقديم عمل متواضع يحترم الحقيقة وعقل القارئ الكريم معاً.

على أنّني لا أدّعي التوصّل، إلى إجابات قاطعة،أو حلول سحرية لكلّ التساؤلات والإشكالات المتعلّقة بالموضوع. ذلك أنّ بعضها في غاية التشعّب و التعقيد.

لكنّي سأحاول طرح هذه الإشكالات،على الأقل،إذا تعذّر حلّها.

هذا و إنّ أهم الصعوبات التي اعترضتني عند إعداد هذا البحث، هي التالية:

١ - قلّة المصادر.

٢ - سعة الموضوع و تشعّبه.

٣ - حسّاسيته لاسيّما في الظروف الراهنة.

٤ - الانفعالات والمشاعر المتضاربة التي يثيرها هذا النّوع من البحوث

بسبب التراكمات التّاريخيّة الموروثة وتأثيرات البيئة الثّقافيّة.

على أنّ هذه القراءة لم تنشأ من فراغ، ولا من تحيّز أو تعصّب، ولم تأت من دواع انتمائية أو مذهبية، ولا استجابة لتأثيرات عاطفية أو انفعالية .

وإنّما هي نتاج طبيعي للأدلّة والنصوص الشرعية و التاريخية والواقعية التي تأخذ بعنق كلّ دارس منصف نزيه.

و هكذا، فإنّ الدافع من وراء هذا البحث، هو محاولة إنصاف طائفة كبيرة من المسلمين، وذلك بتقديم قراءة منصفة و متأنية و موضوعية لجزء يسير من تاريخها.

علّني أقدّم، بذلك، اعتذاراً يسيراً و متواضعاً إلى الحقيقة أولاً، وهي التي ذبحت على شرف التعصب الطائفي و المذهبي الموروث. ثمّ للتاريخ الذي حرّف وزيّف و شوّه إرضاء لغرائز السلاطين و الملوك.

ثمّ لأهل بيت النبوّة و موضع الرسالة و مختلف الملائكة و مهبط الوحي عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[1].

و ذلك امتثالاً لأمره تعالى : **﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**[2]، و: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[3] .

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب (٣٣): ٣٣ .

(٢) الشورى (٤٢) : ٢٣.

(٣) المائدة (٥): ٥٥ .

وأمر رسولهﷺ: « أمّا بعد. ألا أيّها الناس! فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به » فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه. ثمّ قال: « وأهل بيتي. أذكّركم الله في أهل بيتي. أذكّركم الله في أهل بيتي. أذكّركم الله في أهل بيتي »(1).

كلمة حول مصادر البحث :

ليس خافياً أنّ جانباً كبيراً من تاريخ التشيّع في إفريقية وبلاد المغرب، لا يزال يكتنفه الغموض. وذلك رغم ما توافر، في الفترة الأخيرة،من مصادر أساسيّة و أصليّة،تتعلّق بتاريخ الخلافة الفاطميّة بالمغرب.

ومن هذه المصادر :

كتاب «افتتاح الدّعوة» وكتاب «المجالس والمسايرات» للقاضي النّعمان.

وكتاب « عيون الأخبار وفنون الآثار » للدّاعي إدريس القرشي،

---

(1) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة .

حديث الثّقلين (في لفظ التّرمذي) : « إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما » . (سنن التّرمذي ج٥/ص:٦٦٣) .

وفي لفظ أحمد بن حنبل: « إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي،كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض،وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » (مسند أحمد بن حنبل ج٣/ص:١٧) .

وغيرها.

ويعود الفضل في نشر هذه المصادر النّفيسة لعدد من الأساتذة الأجلّاء، على رأسهم الدكتور: فرحات الدّشراوي. الذي لم يأل جهداً، عملاً بنصيحة أستاذه الفاضل: حسن حسني عبد الوهّاب، في تحقيق ونشر هذه النّفائس مقدّماً بذلك خدمة جليلة للباحثين والدّارسين.

ولقد ساعدت هذه المصادر على « تجديد النّظر في هذا الموضوع تجديداً كاملاً »[1]، بعد أن كان أهل الاختصاص يعانون من شحّ المصادر ونقصانها، ممّا تسبّب في كثير من الغموض والاضطراب.

على أنّ الكثير من المصادر التي تناولت موضوع التشيّع عموماً، والخلافة الفاطميّة خصوصاً، قد كتبت بنفس طائفي بغيض وبروح التّعصّب المقيت. فبدلاً من أن تضع التّعدّد المذهبي في خانة التّنوّع والانفتاح الذي يؤدّي إلى التّطوّر، فإنّها هوّلت من شأن بعض الأحداث الاستثنائية والمعزولة والهامشيّة، التي حصلت بدواع سياسيّة بين أتباع بعض المذاهب (لاسيّما المذهب المالكي والإسماعيلي)، وأظهرتها بشكل مبالغ فيه.

وهذه الصورة القاتمة و المشوّهة كما نجدها في بعض كتب التراجم[2]، نجدها أيضاً في كتب المسالك و الممالك[3]، و كتب التاريخ.

(١) فرحات الدّشراوي : « تاريخ الدّولة الفاطميّة بالمغرب » (ص:٥)

(٢) لاسيما تراجم الفقهاء المالكيين مثل« طبقات أبي العرب » (المتوفى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م) ، و« رياض النفوس » للمالكي (المتوفى سنة ٤٥٠هـ/١٠٣٨م) . و«المدارك » للقاضي عياض (المتوفى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م) .

(٣) مثل كتاب« البلدان » لليعقوبي (الذي ألفه حوالي سنة ٢٧٥هـ/٨٩٠م) .

⇦

وفي المقابل فإنّنا نجد بأنّ ظهور الكتب الإسماعيلية، بوصفها مصادر أصلية للبحث، و في مقدّمتها كتب القاضي النعمان، (مثل: « افتتاح الدعوة» و« المجالس و المسايرات » و« الهمة في إتباع آداب الأئمّة »)، وكذلك كتب السير، (مثل « سيرة الأستاذ جوذر » و « سيرة جعفر الحاجب »)، قد أدّى إلى تجديد الدراسات الفاطمية الخاصّة بالعهد المغربي، كما ساعد على إبراز خصائص التشيّع المغربي في تلك الفترة.

و تمتاز هذه الكتب أو المصادر بأنّها تمثّل الرواية الشيعية الإسماعيلية للخلافة الفاطمية بالمغرب، وهي رواية حيّة موحدّة و غزيرة و متكاملة.

وهي تمتاز على الروايات الأخرى الموجودة في كتب أهل السنّة والخوارج بأنّها تكمّلها و تفصّلها و توضّحها. وهي أقدم منها و أقرب عهداً وأوسع إطلاعاً و أكثر إلماماً(1).

وهي تعتبر الرواية الأصلية أو الأُم « التي تولدت عنها الروايات المتتالية في كتب ابن عذارى، وابن الأثير، والنويري، والمقريزي وابن خلدون وابن الخطيب، وكذلك في كتاب « أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم» لابن حمّاد أو كتاب « السيرة في أخبار الأئمّة » لابن زكريا(2).

ولهذه الأسباب فإنّ اعتماد هذه المصادر له ما يبرّره.

خطّة البحث:

يتكوّن البحث من مقدّمة وجوهر و خاتمة:

⇨
وكتاب « صورة الأرض » لابن حوقل (المؤلف حوالي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م) .
وكتاب« المسالك والممالك » للبكري (الذي كتبه حوالي سنة ٤٧٠هـ/١٠٦٠م) .

(١) «تاريخ الدولة الفاطمية » (ص:٧) .

(٢) المصدر السابق (ص:٨) .

١- المقدّمة:

وتناولت فيها الهدف من البحث، وموضوعه، وأهمّيّته، والدافع لاختياره، والصعوبات التي اعترضته، والخطّة المعتمدة في انجازه .

٢- الجوهر : و(يتضمّن قسمين):

القسم الأوّل: يبحث في ماهيّة التشيّع من خلال فصول ثلاثة:

الأوّل: المعنى اللغوي والاصطلاحي.

الثاني: النشأة و الولادة.

الثالث: أهمّ فرق الشيعة ومعتقداتهم.

القسم الثاني: يتناول تاريخ التشيّع في إفريقية من خلال فصول ثلاثة:

الأوّل:لمحة عن إفريقية(أو تونس).

الثاني: صفحات من تاريخ التشيّع في إفريقيّة

الثالث: التشيّع الحديث بتونس

٣- الخاتمة:

و تتضمّن تلخيصاً سريعاً لموضوعات البحث الرئيسيّة مع خلاصة لأهمّ الاستنتاجات.

القسم الأوّل

ماهيّة التشيّع

الفصل الأوّل:

الشّيعة لغة و اصطلاحا

لا يخفى على أيّ مطّلع أنّ لفظ الشّيعة قد ورد في الكتاب العزيز في مناسبات عدّة منها:

قوله تعالى: ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ..** ﴾(1)

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ** ﴾(2).

كما ورد لفظ الشيعة في كتب الّلغة و موسوعاتها:

قال صاحب القاموس :

« شيعة الرّجل أتباعه وأنصاره. وقد غلب هذا الاسم على من يتولّى عليّاً وأهل بيته حتّى صار علماً و اسماً لهم »(3).

وجاء في لسان العرب :

« ... الشّيعة الفرقة من الناس، و تقع على الواحد والاثنين و الجمع والمذكّر و المؤنّث بلفظ واحد و معنى واحد. وقد غلب هذا الاسم على من تولّى عليّاً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين حتّى صار لهم اسماً خاصاً.

---

(1) القصص (٢٨): ١٥.

(2) الصافات (٣٧): ٨٣.

(3) الفيروز آبادي : «القاموس المحيط » (ج٣/ص:٤٧) .

وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة و المطاوعة... »[1]

وجاء في النهاية لابن الأثير :

« وأصل الشّيعة الفرقة من الناس و تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكّر والمؤنّث بلفظ واحد، وقد غلب هذا الاسم على كلّ من يزعم أنّه يتولّى عليّاً رضي الله عنه وأهل بيته حتّى صار لهم اسماً خاصاً...

وتجمع الشّيعة على شيع و أصلها من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة»[2].

وبعبارة قريبة ورد هذا المعنى في « الصّحاح » و« المصباح المنير» وغيرها من كتب اللغة .

بداية ظهور المصطلح :

اختلف في تاريخ ظهور مصطلح الشّيعة على عدّة أقوال .

لكن الرّأي الراجح أنّ هذا المصطلح سواء كان معناه الموالاة، أو المحبّة، أو المتابعة، أو التقديم، أو التمسّك بالكتاب والعترة، فقد « ظهر في أيّام نبيّ الإسلام الأقدس ﷺ الذي كان يغذي بأقواله عقيدة التشيّع لعلي عليه السلام و أهل بيته عليهم السلام ويمكنها في أذهان المسلمين، و يأمر بها في مواطن كثيرة، آخرها يوم غدير خم (١٨ ذي الحجّة سنة ١٠ من الهجرة) بعد حجّة الوداع، وبعد أن أمره الله سبحانه و تعالى بقوله الكريم :

---

(١) ابن منظور : «لسان العرب » (ج٨/ص١٨٩).

(٢) ابن الأثير « النهاية » (ج٢/ص٢٤٧) .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1](*) .

ويذكر أبو حاتم الرّازي في كتاب الزّينة:

« إنّ أوّل اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة، وهم أبو ذر و سلمان والمقداد وعمّار. إلى أن آن أوان صفين فاشتهر بين موالي علي رضي الله عنه »[2].

ويذكر سبط ابن الجوزي :

« إنّ الذين بايعوا عليّاً (يوم غدير خمّ) كانوا مائة و عشرين ألفاً »[3] .

وكلّهم كانوا شيعة بمعنى الموالاة لعلي عليه السلام، إلّا أنّ اسم الشيعة قد اختصّ بثلّة منهم على رأسهم الأربعة المذكورين، وذلك « لكونهم أخص الصحابة بعلي عليه السلام وأشدّهم تظاهراً بحبه و موالاته»[4].

كما أنّ الهاشميين، و في مقدمتهم العباس، كانوا من الشيعة و كذلك

---

(١) الزين « الشيعة في التاريخ » (ص٢٩ – ٣٠) .

(*) إن ما بلّغه الرسول صلى اله عليه وآله وسلّم لأمته بأمر من الله عزّ وجلّ هو موالاة علي عليه السلام وأولويته بالإمامة وهو من أظهر معاني التشيع.وقد قرنها الله عزّ وجلّ في كتابه بموالاته وموالاة نبيّه وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ المائدة (٥): ٥٥ .

(٢) الرازي (أبو حاتم): « الزينة في الكلمات الإسلامية العربية » (ج٣/ص١) .

(٣) ابن الجوزي (سبط) : « تذكرة الخواص » (ص٣٣) .

(٤) الزين : «الشيعة في التاريخ » (ص٣٨) .

عدد كبير من خيرة الصحابة[1] .

ويذكر صاحب كتاب« الشيعة في التاريخ » : إنّ هذا اللقب أهمل بعد أن بايع الإمام علي عليه السلام أبا بكر حفاظاً على بيضة الدين و قطعاً لدابر المتربّصين بالإسلام و المسلمين، و تابعه الشيعة في ذلك.

« فأهمل يومئذ لفظ الشيعة و صار المسلمون فرقة واحدة، و ذابت تلك الكلمات المفرقة (سنّة، شيعة، بكري، علوي) في كلمة مسلم .. »[2] .

وفي سنة (٤٠) للهجرة حين هادن الإمام الحسن عليه السلام معاوية، أطلق أنصار الأخير « ومتابعو سنّته اسم السنّة و الجماعة على أنفسهم، واسم الشيعة على أنصار علي و مواليه. واشتهر كلّا الاسمين في ذلك الوقت بعد أن كانا مهملين، و لم يزالا مشتهرين إلى اليوم، ولكن قد اندمج فيهما أسماء وفرق كثيرة..»[3] .

ويرى الشّيخ محمّد جواد مغنيّة:

أنّ التشيّع هو الإيمان بوجود النصّ من النبيّ على علي، ومن الطّبيعي أن يبتدئ تاريخ التشيّع من حين النّطق بهذا النصّ، فتاريخ التشيّع يقترن بتاريخ نصّ النبيّ على الإمام بالخلافة.

وقد كان جماعة من الصّحابة يرون أنّ عليّاً أفضل أصحاب الرّسول على الإطلاق، ذكر ذلك ابن أبي الحديد، وعدّ منهم عمّار بن ياسر، والمقداد

---

(١) المصدر السابق (ص٣٨ـ٣٩) .

(٢) المصدر السابق (ص٤١ ـ٤٢) .

(٣) المصدر السابق (ص٤٣) .

ابن الأسود، وأبا ذر،وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، وأُبي بن كعب، وحذيفة اليمان،وبريدة، وأبا أيّوب الأنصاري، وسهل بن حنيف،وعثمان ابن حنيف، وأبا الهيثم بن التّيهان، وأبا الطّفيل، وجميع بني هاشم، وأبا سعيد الخدري[1] .

وهو القائل: « أمر الناس بخمس، فعملوا بأربع، وتركوا واحدة. ولّما سئل عن الأربع، قال: الصّلاة، والزّكاة، والصّوم، والحجّ، قيل فما الواحدة التي تركوها؟

قال: ولاية علي بن أبي طالب .

قال له: وإنّها لمفروضة معهنّ؟

قال:نعم هي مفروضة معهنّ »[2] .

(١) محمّد جواد مغنيّة «:الشّيعة والحاكمون » (ص:٢٩-٣٠) .

(٢) الحاكم الحسكاني : « شواهد التّنزيل » (ج١/ص:٢٥٧).

الرفض والروافض

اختلف في سبب تسمية الشيعة بالروافض إلى أكثر من رأي :

– فقد ذهب البعض إلى ألّالروافض قد اشتق ّ من رفض بعض الشيعة نصرة زيد بن علي (عليه السلام)[1].

– وذهب البعض الآخر إلى أنّ هذا الاسم قد أطلق على الشيعة قبل ظهور زيد:

فقد ذكرالنوبختي، في فرقه، أنّ المغيرة بن سعد أطلق هذا الاسم على الشيعة الذين رفضوا دعوته لمحمّد بن عبد الله بن الحسن بعد وفاة الباقر(عليه السلام)[2] .

وروى الأشعري، في مقالاته، أنّهم سمّوا كذلك لرفضهم بيعة أبي بكر وعمر[3] .

ومهما يكن من أمر فإنّ الشيعة لم يتبرؤوا من هذا اللقب ولم ينكروه على أنفسهم ، بل إنّ بعضهم حاول أن يجعله مدّعاة للفخر و الاعتزاز. من ذلك ما قاله السيّد الحميري:

« و نحن على رغمك الرافضون لأهل الضلالة و المنكر »[4]

(١) الرازي « اعتقادات فرق المسلمين » (ص٥٢) .
(٢) النوبختي « فرق الشيعة(ص٨٣) .
(٣) الأشعري « مقالات الإسلاميين » (ج١/ص٨٧) .
(٤) مهدي النجم « ثورات العلويين » (ص١٤٨) .

وورد في بحار الأنوار :

« قيل للصادق عليه السلام إنّ عمّاراً الدّهني شهد اليوم عند ابن أبي ليلى قاضي الكوفة بشهادة، فقال له القاضي قم يا عمّار، فقد عرفناك، لا تقبل شهادتك لأنّك رافضي، فقام عمّار، وقد ارتعدت فرائصه، واستغرقه البكاء .

فقال له ابن أبي ليلى : أنت رجل من أهل العلم و الحديث، إن كان يسوؤك أن يقال لك رافضي فتبرأ من الرفض فأنت من إخواننا.

فقال له عمّار: يا هذا ما ذهبت والله حيث ذهبت، ولكن بكيت عليك وعليّ .

أمّا بكائي على نفسي فإنك نسبتني إلى رتبة شريفة لست من أهلها زعمت أنّي رافضي. ويحك لقد حدثني الصادق عليه السلام : إنّ أوّل من سمّي الرافضة السحرة الذين لمّا شاهدوا آية موسى في عصاه آمنوا به و اتّبعوه، ورفضوا أمر فرعون، واستسلموا لكلّ ما نزل بهم، فسمّاهم فرعون الرافضة لما رفضوا دينه.فالرافضي كلّ من رفض جميع ما كره الله، فأين في هذا الزمان مثل هذا ؟

وإنّما بكيت على نفسي خشيت أن يطلع الله عزّ وجلّ على قلبي وقد تلقّيت هذا الاسم الشريف على نفسي فيعاتبني الله عزّ وجلّ ويقول : يا عمّار أكنت رافضاً للأباطيل، عاملاً بالطاعات كما قال لك ؟ فيكون ذلك بي مقصّراً في الدرجات إن سامحني، و موجبا لشديد العقاب عليّ إن ناقشني، إلّا أن يتداركني مواليّ بشفاعتهم .

وأمّا بكائي عليك فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي وشفقتي

عليك من عذاب الله أن صرفت أشرف الأسماء إليّ، وأن جعلته من أرذلها كيف تصبر بدنك على عذاب كلمتك هذه ؟

فقال الصادق عليه السلام : «لو أنّ على عمّار من الذنوب ما هو أعظم من السموات و الأرضين لمحيت عنه بهذه الكلمات و إنّها لتزيد في حسناته عند ربّه عزّ وجلّ حتّى يجعل كلّ خردلة منها أعظم من الدنيا ألف مرّة »[1].

(١) المجلسي : « بحار الأنوار » (ج٦٨/ص:١٥٦-١٥٧) .

الفصل الثاني :

ماهيّة التشيّع

كلمة لابدّ منها :

بادئ ذي بدء يجب الاعتراف بأنّ طائفة كبيرة من كتب الملل و التاريخ تجنّت على الشيعة و على عقائدهم « غير مستندة إلى مصدر وثيق بريء من الأغراض السياسية والتعصّبات المذهبية التي تمكّنت في القرون الغابرة من نفوس الأكثرية الساحقة من الناس ..»[1] .

حتّى بلغ التعصّب ببعضهم[2] إلى حدّ الطعن على أئمّة أهل البيت عليهم السلام وذلك بمثل قوله:

« وشذّ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها، وفقه انفردوا به..»[3] .

إلى أن قال: « ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الإنكار القدح...»[4][*] .

---

(١) محمّد حسين الزين : « الشيعة في التاريخ » (ص١٠) .

(٢) وهو ابن خلدون .

(٣)(٤) ابن خلدون « المقدمة » (ص٣١٣) .

(*) هكذا نرى كيف يعمي التعصّب الطائفي والمذهبي صاحبه حتّى ينزل به إلى أدنى الدرجات (في الدّنيا والآخرة)، و يحدّثنا القرآن الكريم في سورة المدّثّر عن الوليد بن المغيرة وكيف أودى به التعصّب والعناد إلى هاوية الردى والعمى: ﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فقتَلَ كيفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كيفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ *** ⇦

إنّـه لمـن الغريـب حقـاً أن يبلـغ الجهـل والإسـفاف و التعصّب برجـل يفـترض فيـه أن يكـون مـن أهـل العلـم و المعرفـة عـلى الأقـل بمكانـة أهـل البيـت عليهم السلام وفـضلهم.. هـذه المكانـة التـي شـهد بهـا الأعـداء فـضلاً عـن الأصـدقاء. لاسـيّما وأن مرجعيـة أهـل البيـت عليهم السلام العلميـة لم تكـن يومـاً مـا موضع تساؤل أو تشكيك حتّى من ألـدّ أعـدائهم الـذين حـاولوا و بـدوافع سياسية صنع مرجعيات بديلة ليصرفوا أعين الناس عنهم لكن هيهات .

ولن استرسل أكثر في هذا الموضوع رغـم أنّ القائمـة طويلـة إلى درجـة مؤسفة للغاية(*) .

لكن، ومن باب الحرص على الابتعاد عمّا يثير الحسّاسية، لاسيّما في مثل هـذه الأيّـام الـشديدة الوطـأة عـلى الإسـلام والمـسلمين فـإنّي آثـرت عـدم التعرّض لمعظم تلك الأخبار وما فيها من أراجيف.

⇨ **فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ** ﴾. المدثر (٧٤): ١٨ – ٢٨ .

(*) ومن غريب ما كتب حول الموضوع كتاب بعنوان « الشيعة في إيران » لمؤلّفه علي الشابي الذي نجح في ابتكار وصنع مخلوق تاريخي عجيب :ابن سبأ اليهودي رأسّه وجسّده الشاعر الفردوسي الإيراني المجوسي الشعوبي ..وأطلق على المخلوق بل المصنوع العجيب والغريب اسم التشيّع ..فعجباً لهذا الخيال الخصب ويا عجباه لهذا التحامل الغريب.

كان حرياً بمؤلّف هذا الكتاب أن يسميه رواية أو أقصوصة فهي إلى الخيال أقرب.. لكنّه وللأسف جرى على عادة أسلافه في إطلاق العنان للخيال وكيل التهم واختلاق الأباطيل دون رادع أو وازع أو شعور بالمسؤولية العلمية التي يدعون حملها أو انتحالها .

رغم أنّ أيّ دارس منصف لكتب التاريخ أو الملل يمكنه أن يلاحظ وبسهولة بأنّ الباحثين أو المؤرّخين يحاولون تحرّي أقصى درجات الموضوعيّة عندما يتعلّق الأمر بالأمم الغابرة كالفينيقيّن والبابليّين والفراعنة و غيرهم. أمّا عندما يتعلّق الأمر بالشيعة فإنهم يرسلون الأخبار، وهي منقولة في معظمها عن مؤرّخي السلاطين، إرسال المسلّمات.

ماهيّة التشيّع:

هل إنّ التشيّع أصيل أصالة الإسلام. أم هو عبارة عن ظاهرة طارئة أفرزتها ظروف أو عوامل خاصّة (اجتماعية أو سياسية أو تاريخية) ؟

تعدّدت الأقوال و الآراء حول هذا الموضوع. لكن أقواها و أرجحها ما اختاره العلاّمة السيّد عبد الله الغريفي في كتابه التشيّع و سيأتي بيانه .

أمّا بقيّة الآراء فإنّها تفتقر ،وفي معظمها، إلى أيّ قيمة علميّة أو موضوعيّة.وإنّما تأتي انعكاساً للتحريف التّاريخي الذي شوّش الكثير من المفاهيم و الرؤى و الأفكار.

وإنّ استعراض هذه الأقوال و الآراء لـمّا يخرج عن حدود و أهداف هذا البحث الموجز .

إنّ التشيّع في جوهره وحقيقته ليس سوى الإسلام المحمّدي الأصيل . و إنّ البذرة الأولى له كانت على عهد رسول الله ﷺ استجابة لنداء السّماء. تشهد على ذلك مئات النصوص الشّرعية والأحاديث التي بلغ بعضها حدّ التواتر[1] .

---

(١) للاطلاع عليها يمكن الرّجوع إلى المصادر التّالية:-موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني/ المراجعات للسيّد شرف الدّين الموسوي/التّشيّع للسيّد الغريفي.

ولـذلك فـإنّ « التـشيّع كـان جـزءاً مـن الـدعوة التـي دعـا إليهـا القرآن،وبلّغه الرسول إلى الأُمّة في جملة ما بلّغه من تشريعات و أنظمة »[1] .

والذين ثبتوا عليه منذ البداية إنّما كان بدافع إيمانهم بأنّه منصوص عليه من الله وحده. « و لم يكن الرسول إلّا مبلّغاً عن ربّه هـذا الأمـر، كغـيره مـن التكاليف و التشريعات »[2] .

والتشيّع، كما يـرى الـسيّد عبـد الله الغريفـي، حالـة أصـيلة في الإسـلام تجسّدت من خلال ثلاث مراحل أساسية :

الأولى : مرحلة التأصيل والتجذير :

وقد بدأت في عصر الرسالة، و يدلّ عليها النّصوص الكثيرة المدوّنة في مصادر الحديث و التفسير . و فيهـا (أي هـذه المرحلـة) تـمّ وضـع المـصطلح وتأصيل دلالته .

الثانية : مرحلة التجسيد والتطبيق :

و بدأت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة، حيث اتّجه شطر من الأُمّة يمثّله صحابة كبـار كـسلمان وعـمّار ومقـداد، إلى التعبّـد بـنصّ الإمامـة، والالتـزام عمليّاً بأطروحة زعامة الإمام علي عليه السلام وقيادته .

الثالثة : مرحلة الوضوح والامتداد :

وبــدأت في عــصر الإمــام البــاقر عليه السلام وتنامــت في عــصر الإمــام

(١) الحسني (هاشم معروف): « الشّيعة بين الأشاعرة والمعتزلة » (ص:٢٨-٢٩) .

(٢) المصدر السّابق (ص: ٢٩) .

الصادق عليه السلام حيث توافرت الأجواء الملائمة و الظّروف الموضوعيّة لإبراز المعالم الواضحة لمدرسة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام[1].

وهكذا فإنّ « التشيّع في إطاره العام وفي كلّ مفرداته يمثّل الحالة التجسيديّة للصّيغة الإسلاميّة التي عمل الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام على تأصيلها في واقع الأُمّة، بما تحمله هذه الصّيغة من أبعاد عقائديّة و روحيّة و فقهيّة و سياسيّة تعبر عن المنحى الأصيل لفكر الرسالة »[2].

وبالمقابل، و كما يرى العلّامة الغريفي، فإنّ اعتبار التشيّع حالة طارئة إنّما يعبّر عن إغفال تام لكلّ النصوص و الأحاديث بما تحمله من دلالات واضحة في تحديد مضمون الإمامة و القيادة . و ليس الحالة الشيعيّة إلّا تجسيداً عمليّاً لخط الإمامة بما فيه من أصالة و عمق ووضوح.

وإنّ جميع المفردات التي توافر عليها الفكر الشيعي في لغته وخطابته ومدوّناته ونتائجه من أمثال : الإمامة والولاية و الوصيّة و الخلافة، هي مفردات أصيلة وردت في النصوص الثّابتة الصحيحة، و ليست مفردات دخيلة، تسلّلت إلى مفاهيم الأُمّة من قواميس اليهود والفرس.

و إنّ الفهم الذي يعتبر التشيّع حالة طارئة لم يستوعب طبيعة الحركة التّغييريّة في مسيرة الرسالة بما تفرضه هذه الطبيعة من استمرار الامتداد القيادي المؤهّل لعمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة مهام التغيير، وحماية أهداف الرسالة.

---

(١) الغريفي (عبد الله):التّشيّع (ص:٧١٩) .

(٢) المصدر السّابق (ص:٧٢٠) .

وإنّ التفسيرات التي اعتبرت التشيّع حالة طارئة، بما تحمله من تشويه متعمّد للحالة الشّيعيّة تعبّر عن أزمة في« المنهجيّة و البحث » .

فالكثير من المقولات التي أنتجتها ظروف مذهبيّة و تاريخيّة لازالت تتحرّك كموروثات فكريّة ثابتة لا تقبل المراجعة والنظر .

فمقولة (ابن سبأ)(*) طرحها مؤرِّخ قديم كالطبري في تاريخه المعروف، وهو أوّل مصدر يتناول هذه الشخصيّة معتمداً على سيف بن عمر الذي أجمع علماء الجرح والتعديل على إسقاطه.

ثمّ يأتي بعد الطبري من يدوّن هذه المقولة، و تتحرّك عبر الكتابات والبحوث و الدراسات كمسلّمة تاريخيّة لا تقبل المناقشة.

وهكذا تجور الأقلام، وتتجنّى على حقائق التاريخ مأسورة لتلك الموروثات الظالمة، التي أراد لها حكّام في تاريخ المسلمين، وأرادت لها قوّة معادية لها أن تزرع في ذهنيّة الأجيال، وتجذر في عواطف الناس لتشكّل حواجز تفصل الأُمّة عن روافدها الأصيلة(١) .

(*) لمعرفة هذه الشّخصيّة الأسطوريّة يمكن الرّجوع إلى المصادر التّالية:

« أسطورة ابن سبأ » للمحقّق العسكري، « وعّاظ السّلاطين » للدكتور علي الوردي، «الفتنة الكبرى» لطه حسين، « التّشيّع » للغر يفي .

(١) المصدر السّابق (ص: ٧٢٠-٧٢٣) .

الفصل الثالث :

أهم فرق الشيعة

الزيديّة – الإسماعيليّة – الإماميّة (أو الاثني عشريّة).

بالغت معظم كتب الملل والنحل في تعداد فرق الشّيعة ومذاهبها وأسرفت في « إطلاق اسم الشيعة على فرق خرجت عن التشيّع والإسلام معاً، وقد باد أكثرها »[1] .

وليس ذلك لجهل من أصحابها بحقيقة الشّيعة و عقائدها و لكن «غاية في نفس يعقوب قضاها » .

ويرى السيّد هاشم معروف الحسني:

إنّ اسم الشّيعة أصبح يتّسع عند الذين كتبوا في الفرق الإسلاميّة و المذاهب و عند الكتّاب العرب والمستشرقين، لكلّ مبتدع في الدين أو مشعوذ حاول إغراء بعض المغفلين، فتظاهر بولاء أهل البيت وصحبتهم ليتوصّل إلى أهدافه عن هذا الطريق.

رغم أنّ عقيدة أهل البيت و شيعتهم لا انحراف فيها ولا التواء عن جادّة القرآن و تعاليم الرسول ﷺ .

---

(١) « الشّيعة في التّاريخ » (ص:٤٣).

ومع ذلك فكلّ مبتدع في الدّين أو مفترٍ عليه، مهما كانت بدعته و افتراءاته، لا يخرج عن التشيّع لأنّه كان يدّعي ولاء أهل البيت و ينظر إليهم بعين الاحترام و التقديس، و لأجل ذلك فقد عدّوا أكثر الفرق الضّالة من الشّيعة[1] .

على أنّ اسم الشّيعة حديثاً يكاد يكون مختصّاً بالشّيعة الإماميّة الاثني عشريّة و ذلك أنّ الزيديّة والإسماعيلية لا يعرفان إلّا بنسبتيهما .

أمّا بقيّة الفرق التي نسبت للشّيعة فليس لها وجود سوى بين طيّات الكتب، بل إنّ من الباحثين من شكّك في أصل وجودها فضلا عن نسبتها.

ومن هؤلاء السّيد الحسني الذي أثبت بأن أكثر الفرق المنسوبة إلى الشيعة لا وجود لها في تاريخ التشيّع ولا واقع لها[2].

ومهما يكن من أمر فإنّ بعض فرق الشّيعة كانت سياسيّة المنشأ ثمّ أصبحت فيما بعد تهتمّ بالمسائل العقائديّة و الشرعيّة لترسيخ وجودها وضمان استمرارها. حيث إنّ للعامل الدّيني أثره الكبير والفعّال في إكساء الصّبغة الشرعيّة على الحركات الاجتماعيّة والسياسيّة .

ونظراً لمكانة البيت النبوّي من الأُمّة ونظراً لانّ الوتر الشّيعي كان من أكثر الأوتار الإسلاميّة حساسيّة ؛ فإنّ معظم الثّورات و الحركات المعارضة كانت تقوم رافعة لواء التشيّع و الثّأر لأهل البيت عليهم السلام .

(١) « الشّيعة بين الأشاعرة والمعتزلة » (ص: ٥٢-٥٥) .

(٢) المصدر السّابق (ص: ٨ وما بعدها) .

ويمكن عدّ الزيديّة من بين تلك الحركات ؛ لأنّها كانت أقرب إلى حركة معارضة سياسية منها إلى مذهب ديني .

الزيديّة :

نسبة إلى زيد (الشهيد) ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام .

خرج زيد سنة (١٢١هـ) ثائراً بوجه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك و بايعه جماعة واستشهد في معركة وقعت في مدينة الكوفة بينه وبين جيش الخليفة.

ويعد زيد بالنّسبة لأصحابه، الإمام الخامس من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ويأتي من بعده ابنه يحيى بن زيد الذي ثار بدوره على الخليفة الأموي الوليد بن يزيد ً قبل أن يستشهد .

ثمّ جاء من بعده محمّد بن عبد الله و إبراهيم بن عبد الله اللذان قاما ثائرين في زمن المنصور العبّاسي قبل أن يقتلا.

فهؤلاء هم أئمّة الزيديّة يضاف إليهم كلّ ثائر عالم زاهد يخرج بالسيف لإحقاق الحق بشرط أن يكون فاطميّاً .

هكذا فإنّ الزيديّة جوّزوا لكلّ فاطمي عالم شجاع طلب الإمامة لنفسه و شهر السيف بوجه السّلطة الجائرة، أن يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أبناء الحسن أو الحسين عليهما السلام .

ونظراً لأهمية الثورة المسلّحة و مكانتها في نظريّتهم فإنّهم جوّزوا

خروج إمامين في قطرين مختلفين يكون كلّ منهما واجب الطاعة.

كما ذهبوا إلى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل . وبذلك جازت عندهم خلافة أبي بكر و عمر مع وجود علي عليه السلام .

والزيديّة يوافقون العامّة (أي أهل السنّة) في كثير من الأمور من بينها جعل الإمامة بالشّورى وجواز تقديم المفضول على الفاضل، إلا أنّهم يخالفونهم في بعض الشروط، من بينها اشتراطهم في الإمام أن يكون فاطميّاً وأن يخرج بالسيف داعياً لإمامته.

وعلى أيّ حال « فجمهور الزيديّة من طوائف الشّيعة الذين ثبتوا على ولاء البيت العلوي والتمسك بهم و عدم الغلو بأحد منهم، فهم في ذلك كالشّيعة الاثني عشريّة من غير فارق .

ولولا الخروج بالسيف الذي هو شرط أساسي لإمامهم، لكانوا مثلهم من حيث الوجهة السياسية »[1].

على أنّ الإمامية (أو الاثني عشرية) يرون بأنّ زيداً لم يخرج لا عن إمامة أخيه الباقر عليه السلام ولا عن إمامة ابن أخيه الصادق عليه السلام .

بل خرج داعياً للرّضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله وهو الصادق عليه السلام . الذي روي عنه قوله في زيد :

« أما أنّه لو ظفر لوفى، أما أنّه لو ملك لعرف كيف يضعها »[2].

---

(١) « الشّيعة في التّاريخ » (ص:٧٥) .

(٢) الكشّي « رجال الكشي » (ص:٢٤٢) .

كما أنّ الصّادق عليه السلام قد أنكر على بعض الشّيعة تبرّيهم من زيد و قعودهم و تقاعسهم عن نصرته[1].

أمّا بالنسبة لأصول العقائد فيقال بأنّ الزيدية تتبع مذهب المعتزلة،أمّا في الفروع فتوافق مذهب أبي حنيفة مع اختلاف يسير بينهما في بعض المسائل[2] .

الإسماعيليّة :

نسبة إلى إسماعيل الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي توفّي في حياة أبيه، و شهد الأب بوفاة ابنه و طلب الشهادة على ذلك من حاكم المدينة.

لكن رغم ذلك، فإنّ فريقاً من أتباعه اعتقد بعدم وفاة إسماعيل وأنّه اختار الغيبة، وأنّه سوف يظهر ثانية، وأنّه المهدي الموعود .

واعتقد آخرون بأنّه رغم موته فإنّ الإمامة من حقّه، وقد انتقلت من بعده إلى سلالته بدءاً من ابنه محمّد بن إسماعيل .

وتحّول أصحاب هذا الرأي إلى ما يسمى بفرقة الإسماعيليّة التي انشعبت انشعابات عدّة .

وعقيدة الإسماعيلية هي مزيج من الإسلام والفلسفات الشرقيّة لاسيّما التصوّف الهندي وفلسفة عبدة النجوم .

---

(١) الصدوق: « عيون أخبار الرّضا عليه السلام » (ج١/ص:٢٤٩) .

(٢) الطّباطبائي : « الشّيعة في الإسلام » (ص:٧٥) .

وهم يعتقدون : بأنّ الشريعة والمعارف الإسلامية لها ظاهر وباطن، ولكلّ ظاهر باطن، ولكلّ تنزيل تأويل، وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله ﷻ، وأنّ الحجّة على نوعين، ناطق وصامت:

فالنّاطق: هو النبي ﷺ، والصّامت: هو الولي أو الإمام عليه السلام، والحجّة هي المظهر الكامل للربوبيّة، وهي تدور على العدد(سبعة) .

فلكلّ نبيّ سبعة أوصياء، لهم نفس المنزلة، ماعدا آخرهم، الذي يختصّ بالنبوّة أيضاً ويتّصف بثلاثة مناصب (النبوّة والوصاية والولاية)، ويأتي بعده سبعة أوصياء، و للسّابع منهم المناصب الثلاثة و هكذا .

فهم « يقولون، أنّ آدم عليه السّلام بعث بالنّبوّة والولاية، وكان له سبعة أوصياء، وسابعهم نوح النّبي، وكان يختصّ بالنّبوّة والوصاية والولاية، والنّبي إبراهيم هو الوصيّ السّابع لنوح، والنّبيّ موسى سابع الأوصياء لإبراهيم، والنّبيّ عيسى سابع الأوصياء لموسى، ومحمّد ﷺ سابع الأوصياء لعيسى، ومحمّد بن إسماعيل الوصيّ السّابع لمحمّد ﷺ، بهذا التر ّ تيب:

محمّد ﷺ، وعلي، والحسين، (حيث أنّ الإمام الثّاني الحسن بن علي لا يعدّونه إماماً)، وعلي بن الحسين السّجّاد، ومحمّد الباقر، وجعفر الصّادق، وإسماعيل، ومحمّد بن إسماعيل .

وبعد محمّد بن إسماعيل سبعة من نسله وولده، أسماؤهم مخفيّة مستورة وبعدهم سبعة من ملوك الفاطميّين »(١) .

---

(١) المصدر السابق (ص:٨٠-٨١) .

أوّلهم عبيد الله المهدي مؤسّس الدّولة الفاطميّة .

وتعتقد الإسماعيليّة « بأنّ هناك اثني عشر نقيباً موجودين دائماً، فضلاً عن وجود حجّة الله، فهم حواريّو الحجّة وخاصّته، ولكن لبعض منهم وهم (الدّروزيّة)الباطنيّة،تعتبر وتعدّ ستّة من الأئمّة نقباء،والستّة الآخرين من غيرهم »[1].

ويذكر العلاّمة الطّباطبائي:

« أنّ المعيار الديني للباطنيّة هو تأويل الأحكام الظّاهرة للإسلام إلى مراحل باطنيّة صوفيّة، ويعتبرون ظاهر الشّريعة خاصّاً للأمّيّين من النّاس، الذين لم يتدرّجوا طريق الكمال، ومع هذا كلّه، فقد كانت تصدر قوانين وأحكام معيّنة من أئمّتهم وزعمائهم بين حين وآخر »[2].

وبعد قيام الدولة الفاطمية حكم سبعة من خلفائها على التوالي حكومة وإمامة طبق مذهبهم الإسماعيلي، دون أن يحصل بينهم أي انقسام، وبعد الخليفة السابع، وهو (المستنصر بالله سعد بن علي)،تنازع ولداه نزار والمستعلي، على الخلافة والإمامة. وكانت الغلبة للمستعلي الذي ألقى القبض على أخيه نزار و أمر بسجنه إلى أن مات. وأدّت هذه المنازعة إلى انقسام أتباع الفاطميّين إلى قسمين: نزاريّة و مستعلية .

النزاريّة :

هم أتباع الحسن بن الصبّاح، الذي أخرجه المستعلي من مصر لدفاعه

(١) المصدر السابق (ص:٨١) .

(٢) المصدر السّابق (ص:٨٣) .

و حمايته عن نزار.

فاتّجه شرقاً و أسّس دويلة في نواحي قزوين بإيران، استطاعت البقاء إلى أن قضى عليها (هولاكو) .

وفي منتصف القرن (١٣ هجري) فرّ (أغا خان المحلاّتي)، وكان نزاريّاً من القاجاريين، واتّجه صوب (مومبي) بالهند فنشر الدعوة الباطنيّة النزاريّة بإمامته و زعامته.ولا تزال دعوته باقية إلى الآن.

وتدعى النزاريّة الآن بـ(الأغاخانيّة).

المستعلية:

وهم أتباع المستعلي الفاطمي الذين استقرّت الإمامة فيهم حتّى سقوط الخلافة الفاطمية بمصر سنة (٥٥٧هـ) .

وبعد فترة ظهرت فرقة (البهرة) بالهند على نفس الطريقة وهي لاتزال موجودة .

الدروزيّة:

وهي من الباطنيّة و تنتسب إلى « نشتكين الدّرزي أو الدّروزي »، وهو من أتباع أحد الخلفاء الفاطميّين بمصر .

وتقف « الدروزية » عند الخليفة « الحاكم بالله » معتقدة بأنّه غائب عن الأنظار وأنّه سوف يعود ثانية.

والزيدية، والإسماعيلية بتشعّباتها، تعدّ من الأقليات التي انشعبت عن الأكثرية الشيعية الإمامية أو الاثني عشرية،التي لا تختلف عن سائر

المسلمين، سوى بالقول بالإمامة و بأنّها أصل من أصول الدّين و أنّها بالنصّ وأنّها محصورة في اثني عشر إماماً من أهل البيت عليهم السلام. وبأنّهم معصومون مطهّرون لا يجوز أن يتقدّم عليهم أحد من الأمّة (إذ كيف يتقدّم المفضول مع وجود الفاضل)؟

الفرق بين الإمامية وكل من الزيدية و الإسماعيلية:

* إنّ الاختلاف الأساسي بين الشّيعة الإمامية و الزيدية يتمثّل في :

- أنّ الزيدية لا تحصر الإمامة في أهل البيت، ولا تقتصر في عدد الأئمّة على الاثني عشر.

- ولا تتّبع فقه أهل البيت عليهم السلام ولا تلتزم بتعاليمهم، على خلاف الشيعة الإمامية.

* والفارق الأساسي بين الإمامية والإسماعيليّة هو :

« أنّ الإسماعيليّة تعتقد بأنّ الإمامة تدور على(سبع)، ولم تختم النّبوّة في محمّد صلى الله عليه وآله، ولا تمنع من تغيير أو تبديل أحكام الشّريعة، وحتّى ارتفاع أصل التّكليف، خاصّة على قول الباطنيّة .

على خلاف مذهب الشّيعة الإماميّة الذي يعتقد بخاتميّة النّبوّة في محمّد صلى الله عليه وآله وأنّه خاتم الأنبياء، وله اثنا عشر وصيّاً، وتعتبر ظاهر الشّريعة غير قابل للنّسخ، ويثبتون للقرآن ظاهراً وباطناً »[1] .

---

(١) المصدر السابق (ص:٨٧-٨٨) .

الإماميّة :

تعدّ الإمامية أسبق الفرق الإسلامية، وتاريخها يتّصل بتاريخ الإسلام منذ فجره الأول. وهي أكثر المذاهب أصالة و استقلاليّة، وإليها يعود الفضل في المحافظة على الإسلام المحمّدي الأصيل و نشر المعارف الإسلامية الحقّة .

وإنّ المتتبّع لتاريخ الفرق والمذاهب يجد بصمات الإمامية واضحة على الجميع بدون فرق بين سنّيها و شيعيها، في الأصول و الفروع على السواء.

وإنّ هذه الحقيقة هي أوضح وأجلى من أن تحاول إخفائها مكابرة بعض المعاندين أو المتعصّبين.

والشيعة الإمامية هم الطائفة من المسلمين الذين ينقادون في عباداتهم ومعاملاتهم لأهل البيت عليهم السلام، الذين توارثوا علومهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

وإنّ رجوع الشيعة في أحكام دينها إلى هذه العترة الطاهرة، إنّما يأتي امتثالاً للنصوص والأدلة الثابتة والصحيحة التي أوجبت اتّباعها وموالاتها ومودّتهم عليهم السلام.

ويذهب بعض المحققين إلى أنّه ما من شيء من عقيدة الشيعة الإمامية إلّا وله مصدر متسالم على صحته عند أهل السنّة، حتّى عدد الأئمّة والعصمة والتقية وفكرة المهدي وغيرها[1].

هذا وإنّ أهمّ ما امتازت به الإمامية عن سائر فرق المسلمين هو :القول

---

(١) مغنية : « الشيعة والتشيع » مقدّمة ط ٢.

بإمامة الأئمّة الاثني عشر، وبه سميت هذه الطائفة (إمامية).

فالإمامة « هو الأصل الذي امتازت به الإمامية وافترقت عن سائر فرق المسلمين، وهو فرق جوهري أصلي،وما عداه من الفروق عرضية، كالفروق التي تقع بين أئمّة الاجتهاد »[1].

هذا وإنّ « اعتبار الشيعة كون الإمامة أصل من أصول الدين،و منصب إلهي يمنّ به الله تبارك وتعالى على من يشاء من عباده الذين يمتازون عن غيرهم بمواصفات خاصة تجعلهم أهلاً لهذا التكليف العظيم، ليس هو نتاج أفكارهم الخاصّة، بل على العكس من ذلك، فقد ابتنت عليه جملة كبيرة من أفكارهم ومعتقداتهم ؛ لأنّهم يمتلكون على إثبات هذا الأمر جملة واسعة من الأدلّة النقلية والعقلية التي يتّفق عليها الفريقان »[2].

وتعتقد الإمامية أنّ الإمامة متسلسلة في اثني عشر إمام، كلّ سابق ينصّ على اللاحق، ويشترط في الإمام أن يكون معصوماً، كالنبي، عن الخطأ و الخطيئة، وأن يكون أفضل أهل زمانه، وأعلمهم.

فمن اعتقد بالإمامة بهذا المعنى فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأخصّ، ومن اقتصر على بقية الأركان (وهي: التوحيد والعدل و النبوّة والمعاد)، فهو مسلم ومؤمن بالمعنى الأعم تترتب عليه جميع أحكام الإسلام[3].

---

(١) كاشف الغطاء : « أصل الشيعة و أصولها » (ص:٢٢٣) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق (ص:٢١٣) .

هذا وإنّ الإمامية تفترق عن غيرها من الفرق في أمور:

-منها أنّ باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً عندهم بخلاف جمهور المسلمين.

-ومنها أنهم لا يعملون بالقياس. وقد تواتر عن أئمّتهمعليهم السلام: « أن الشريعة إذا قيست محق الدين » .

-ومنها أنهم لا يعتبرون من السنّة، (أي الأحاديث النبوية)، إلّا ما صحّ من طرق أهل البيتعليهم السلام عن جدهمصلى الله عليه وآله وسلم .

وفيما عدا ذلك من أمور، فالإمامية وسائر المسلمين فيها سواء، لا يختلفون إلّا في الفروع، كاختلاف علماء الإمامية أو علماء السنّة فيما بينهم من حيث الفهم والاستنباط »[1].

أئمّة أهل البيتعليهم السلام :

وردت الكثير من الأحاديث النبوية في وصف الأئمّة وعددهم، و أنّهم من قريش، و من أهل بيت النّبيصلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ منهم الإمام المهدي وهو آخرهم[2] .

---

(١) المصدر السابق (ص:٢٣٦-٢٣٧) .

(٢) من ذلك ما ورد عن جابر بن سمرّة، قال: « سمعت رسول الله يقول: لا يزال هذا الدّين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال : فكبّر النّاس وضجّوا ثم قال كلمة خفيّة.قلت لأبي:يا أبه، ما قال؟ قال: قال كلّهم من قريش ».

صحيح أبي داود (ج٢/ص:٢٠٧) ومسند أحمد (ج٥/ص:٩٢).

كـما توجـد نـصوص صريحـة في إمامـة عـلي عليه السلام وولديـه الحـسن والحسين عليهما السلام.

كما أنّ كلّ إمام من الأئمّة يُنبّئ بالإمام الذي يليه ويأتي من بعده »[1].

وبالعودة لهذه النصوص، فإنّ أئمّة المسلمين، هم اثنا عشر إماماً وفق الترتيب التالي :

(١) علي بن أبي طالب عليهما السلام .

(٢) الحسن بن علي عليهما السلام .

(٣) الحسين بن علي عليهما السلام .

---

(١) يمكن الرّجوع للمصادر التّالية:

١-« الغدير » للعلّامة الأميني .

٢-« ذخائر العقبى » لمحبّ الدّين الطّبري .

٣-« المناقب » للخوارزمي .

٤-« تذكرة الخواص » لابن الجوزي .

٥-« ينابيع المودّة » للحنفي .

٦-« الفصول المهمّة » لابن الصبّاغ .

٧-« دلائل الإمامة » لمحمّد بن جرير الطّبري .

٨-« النّص والاجتهاد » لشرف الدّين الموسوي .

٩-« الإرشاد » للشّيخ المفيد .

١٠-« أصول الكافي » للكليني (ج ١) .

١١-« إثبات الهداة »للحر العاملي .

١٢-« غاية المرام » للبحراني .

وغير ذلك كثير...

(٤) علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام .

(٥) محمّد بن علي (الباقر) عليه السلام .

(٦) جعفر بن محمّد (الصادق) عليه السلام .

(٧) موسى بن جعفر (الكاظم) عليه السلام .

(٨) علي بن موسى (الرضا) عليه السلام .

(٩) محمّد بن علي (الجواد) عليه السلام .

(١٠) علي بن محمّد (الهادي) عليه السلام .

(١١) الحسن بن علي (العسكري) عليه السلام .

(١٢) محمّد بن الحسن (المهدي) عجّل الله تعالى فرجه الشريف .

نبذة عن حياة الأئمّة الاثني عشر:

قال الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: « نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد »[١] .

---

(١) المتّقي الهندي : « كنز العمال » (١٠٤/١٢-ح: ٣٤٢٠١) .

(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولد علي عليه السلام في الكعبة[١] بمكّة المكرّمة يوم الجمعة ١٣ رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة و قبل البعثة النبويّة بعشر سنوات.

ولّما أصاب مكّة وأطرافها الجدب، انتقل إلى بيت ابن عمه محمّد صلى الله عليه وآله ليتربّى في كنفه وهو في السادسة من عمره.

وبعد نزول الوحي كان أوّل من آمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وكان ملازماً له لا يفارقه، وكانت له عنده منزلة خاصّة، وكان صلى الله عليه وآله يشرف على تربيته وإعداده ورعايته بنفسه.

وقد عبر الإمام عليه السلام عن هذه العلاقة الحميمة والمكانة الخاصة بقوله:

« وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصّيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني على صدره ويكنفني إلى فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد كنت اتّبعه اتّباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لي كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولم

---

(١) يقول الحافظ الكنجي الشافعي فيما يرويه عن الحاكم النيشابوري:

« ولم يولد قبله-أي قبل علي عليه السلام-ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك وإجلالاً له لمحله في التعظيم ».

« كفاية الطالب »:(ص:٢٦١) و« الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام - سيرة و تاريخ »:(ج١ /ص ٢٠-٢١).

يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله و خديجة و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النّبوّة »[1] .

مظلوميّة علي :

بعد وفاة النبيﷺ كان عمر علي (٣٣سنة) فنحّي عن منصب الخلافة رغم النّصوص العديدة على إمامته[2] .

واعتذر المخالفون بأعذار واهية لأنّهم كانوا ينظرون للنّبوة على أنّها سلطان عشيرة معيّنة وهي قريش .

وهذه النظرية، التي أضفت السّيادة والحكم والمالكيّة للعشيرة، قد تحدّت في الحقيقة وجود الأُمّة وكيانها، وأنكرت عليها أصالتها ووجودها وشخصيّتها .

وقد طرحت هذه النظرية، لأوّل مرة، كمفهوم في السقيفة، ثمّ اتسعت بعد ذلك وامتدّت و تشعبّت نظريّاً و عمليّاً .

ويمكن أن نلخّص أهم العوامل و الأسباب التي أدّت إلى مخالفة

---

(١) طاهر عيسى درويش : « علي كما وصف نفسه » (ص:٣٠) .

(٢)يقول الشيخ مغنية في كتابه « الشيعة و الحاكمون » (٢٧-٢٨):

« وما رأيت أحداً من علماء السنّة يشكّك في سند أحاديث الولاية و الوصية لعلي من النبي، ولكنّهم تمحّلوا وتأوّلوا الولاء بالحبّ والإخلاص لا بالحكم و السلطان، والوصية بالعهد إلى الإمام بتجهيز النبي ودفنه، وما إلى ذالك من التكلف و التعسف الذي لا يشعر به اللفظ من قريب أو بعيد، وليس من شكّ أنّه لو جاء حديث واحد منها في حق صحابي غير الإمام لكتبوه بماء الذهب، وأكثروا حوله الحواشي والشروح ».

النصوص على ولاية علي عليه السلام، بما يلي :

أولاً : انعدام الوعي بالرسالة الإسلاميّة وأبعادها.

حيث إنّ الغالبيّة الساحقة من المسلمين، رغم توافرهم على الطاقة الحراريّة التي تجعل منهم أمّة مجاهدة، قد تصل بهم أحيانا إلى درجة الجهاد والتضحية بالنفس في سبيل الله، إلّا أنّ معظمهم لا يملكون وعياً .

ويرى الشهيد الصّدر بأنّ هؤلاء المسلمين المؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وآله لم يكونوا على درجة واحدة من الوعي، وكانت الكثرة الكاثرة منهم أناساً يملكون الطاقة الحرارية، بدرجة متفاوتة، ولم يكونوا يملكون وعياً، إذن فقد تبادر إلى ذهن عدد كبير من هؤلاء أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله يفكّر أن يعلي مجد بني هاشم، أن يعلي كيان هذه الأسرة، أن يمجّد بنفسه بعده .

فاختار عليّاً، ابن عمّه، لأجل أن يمثّل علي بن أبي طالب أمجاد أسرته، هذا التفكير كان تفكيراً منسجماً مع الوضع النفسي الذي يعيشه أكثر المسلمين كراسب الجاهلية، كراسب عرفوه ما قبل الإسلام، ولم يستطيعوا أن يتحملوا تحمّلاً تاماً أبعاد الرسالة[1] .

« ماذا صنعوا في غزوة حنين حينما وزّع رسول الله صلى الله عليه وآله المال، وزّع الغنائم على قريش ولم يعط الأنصار، أخذ بعضهم يقول لبعض إنّ محمّدا لقي عشيرته فنسينا، إذن فكان هؤلاء على المستوى الذي تصوّروا في هذا القائد الرائد العظيم، الذي كان يعيش الرسالة، آثر قبيلته بمال، فكيف لا يتصوّرون أنه يؤثر عشيرته بحكم، بزعامة، بقيادة على مرّ الزمن وعلى مرّ

(١) انظر« أهْل البيت عليهم السلام تنوع أدوار.. » (ص:٢٧ وما بعدها).

التاريخ .

هذا التصوّر كان يصل إلى هـذا المستوى المتـدنّي مـن الـوعي، هـؤلاء لم يكونوا قد أدركوا بعد أبعاد محمّدﷺ، ولم يكونوا قد أدركـوا أبعـاد الرسـالة الإسـلامية وكـانوا بـين حـين و حـين يطفـو عـلى أنفـسهم الرّاسـب الجـاهلي وينظرون إلى النبيّ من منظار ذلك الرّاسب الجاهلي، ينظرون إليه كـشخص يرتبط بالعرب ارتباطاً قومياً، ويـرتبط بعـشيرته ارتباطـاً قبليـاً ويـرتبط بـابن عمّه ارتباطاً رحميّاً »[1] .

ثانياً : سيطرة المنافقين على جانب من المشهد السياسي داخـل المجتمـع الإسلامي.

والمنافقون، وكما يـرى الـشّهيد الـصّدر، كثـيرون داخـل هـذا المجتمـع، لاسيّما و أنّه قد انفتح قبيل وفاة الرسولﷺ على مكّة وعلى كثير من القبائل الأخرى التي دخلت الإسلام.

وكثيرون هم الذين دخلوا الإسلام نفاقاً أو طمعاً أو حرصاً على الجـاه أو استسلاماً للأمر الواقع.

دخل كثير من الناس بهذه العقلية، وهؤلاء كانوا يدركون كـلّ الإدراك أنّ عـلي بـن أبي طالـبعليه السلام هـو الرجـل الثـاني للنبـيّﷺ، وهـو الاسـتمرار الصلب العنيد للرسالة،لا الاستمرار الرخو المميّع لها.

وهـؤلاء كـانوا مـشدودين إلى أطـماع وإلى مـصالح كانـت تتطلّـب أن

(١) المصدر السابق (ص:٨٢-٨٣) .

تستمرّ الرسالة ويستمرّ الإسلام، لأنّ الإسلام إذا انطفأ معنى هذا أنّه سوف تنطفئ هذه الحركة القويّة التي بنت دولة ومجتمعاً والتي يمكن أن تطبق على كنوز دولة كسرى وقيصر وتضمّ أموال الأرض كلّها إلى هذه الأُمّة، كان من المصلحة أن تستمرّ هذه الحركة،لكن كان من المصلحة أن لا تستمرّ بتلك الدّرجة من الصلابة و الجديّة، بل أن تستمرّ بدرجة رخوة هيّنة ليّنة، كما وصف الإمام الصادق عليه السلام، حينما سئل، كيف نجح أبو بكر وعمر بقيادة المسلمين وفشل عثمان في هذه القيادة، قال: لأنّ عليّاً أرادها حقّاً محضاً، وعثمان أرادها باطلاً محضاً، وأبو بكر وعمر خلطا حقّاً وباطلاً[1].

ثالثاً: عامل نفسي خلقي يتعلّق بفضائل علي و مكانته، حيث إنّ عليّاً، وكما يرى الشّهيد الصّدر، كان يمثّل باستمرار تحدّياً بوجوده التكويني، بجهاده، بصرامته، باستبساله، بشبابه ... بكلّ هذه الأمور، كان علي يضرب الرقم القياسي الذي لا يمكن أن يحلم به أيّ صحابي آخر...

فعلي كان تحدّياً، كان استفزازاً للآخرين، وهؤلاء الآخرون ليسوا كلّهم يعيشون الرّسالة فقط، بل جملة منهم يعيشون أنفسهم أيضاً.

فكان ردّ فعلهم هو مشاعر ضخمة ضدّ علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

و هكذا فإن هذه العوامل تضافرت، مع غيرها، لتشكّل حاجزاً منيعاً حال دون تنفيذ النّصوص الثّابتة والمتواترة على ولاية علي عليه السلام.

---

(١) المصدر السابق (ص: ٨٣ ٨٤).

(٢) المصدر السابق (ص: ٨٤ ٨٥).

ومن جملة ما قاله علي عليه السلام حول هذا الموضوع:

قال عليه السلام: « أمّا بعد فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلمّا مضى تنازع المسلمون الأمر من بعده، فو الله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده عن أهل بيته، ولا أنّهم منحّوه عنّي من بعده، فما راعني إلّا انثيال النّاس على فلان يبايعونه »[1].

وقال عليه السلام: « ... حتّى إذا قبض الله رسوله، رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل واتّكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرّحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودّته، ونقل البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه »[2].

وكان عليه السلام كثيرا ما يوجّه لومه بل غضبه ودعاءه على قريش. وممّا قاله:

« اللهم إنّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، أمراً هو لي، ثمّ قالوا ألا إنّ في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه. فاصبر مغموماً أو مت متأسّفاً فنظرت فإذا ليس لي رافد، ولا ذابّ ولا مساعد، إلّا أهل بيتي، فضننت بهم على المنيّة، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشّجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من وخز الشّفار»[3].

---

(١) « علي كما وصف نفسه » (ص:١١٨).
(٢) المصدر السابق (ص:١١٩).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٢٢).

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه أنّ الأخبار قد تواترت عنهعليه السلام حول مظلوميّته، نحو قوله :

« مازلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله حتّى يوم النّاس هذا » .

وقوله: « اللهم اخز قريشاً فإنّها منعتني حقي وغصبتني أجري » .

وقوله و قد سمع صارخا ينادي أنا مظلوم، فقال :

« هلمّ فلنصرخ معاً، فإنّي مازلت مظلوماً »[1] .

عليّ والخلافة :

بعد أن تجرّع علي مرارة الظلم والأسى اعتزل السّاحة السّياسيّة متفرّغاً لجمع القرآن الكريم وتربية الخاصّة من أصحابه وأهل بيته .

لكنه لّما أحسّ بأنّ غيابه ومقاطعته لمجلس الخلافة قد يعطي نتائج سلبيّة يجني ثمارها أعداء الإسلام، لاسيّما بعد اتّساع حركة الردّة بين العرب، آثر عند ذلك، حرصاً على مصلحة الإسلام، وهو الجندي الوفي دائما، أن يكون إلى جانب جماعة المسلمين يداً واحدة .

ومما قالهعليه السلام في ذلك : «... فما راعني إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة النّاس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّدصلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السّراب، أو كما يتقشع السّحاب »[2] .

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٢٢) .

(٢) المصدر السابق (ص١٢٦) .

وقال أيضاً : « وأيمّ الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، و أن يعود الكفر ويبور الدّين لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه »[1] .

ورغم أنّ المصلحة العليا قد أملت عليه مسايرة الأوضاع الرّاهنة، والتغاضي عن حقه السّليب، إلّا أنّه ظلّ متمسّكاً بالشرعيّة الحقيقيّة المستفادة من عشرات بل مئات النّصوص على إمامته، رافضاً بذلك الاعتراف بما يسمّى اليوم بشرعيّة الأمر الواقع.

ومما قاله عليه السلام : «لقد علمتم أني أحقّ الناس بها من غيري، ووالله لأسلّمنّ ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصّة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تتنافسون من زخرفه وزبرجه »[2] .

وهكذا كانت شجاعته عليه السلام في مضمار الصبر لا تقلّ عن شجاعته في ميدان الحرب .

وبعد مضي(٢٥عاماً) على وفاة النّبي صلى الله عليه وآله، وهي مدّة خلافة الثّلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان)، وعلى إثر مقتل الأخير اتّجهت الأُمّة إلى علي عليه السلام .

ولنستمع إليه وهو يصف حالة الأُمّة حينذاك :

« فما راعني إلّا والنّاس إليّ كعرف الضّبع، ينثالون من كلّ جانب حتّى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم »[3] .

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق (ص: ١٣٠) .

« ثمّ تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيّم على حياضها يوم وردها، حتّى انقطعت النّعل، وسقط الرّداء، ووطئ الضّعيف، وبلغ من سرور النّاس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصّغير، وحسرت إليها الكعاب »[1].

ورغم أنّ حكومته عليه السلام لم تدم طويلاً (حوالي ٤ سنوات و٩ أشهر)، إلّا أنّها سارت على نهج الرّسول عليه السلام. وشرعت بإصلاحات ثوريّة أدّت إلى الإضرار بمصالح بعض المنتفعين، الذين رفعوا لواء المعارضة وأشهروا سيوف الحرب. فكانت معركة الجمل ثمّ صفّين ثمّ النّهروان.

وخاض علي عليه السلام هذه الحروب مع النّاكثين والقاسطين والمارقين كما خاضها من قبل مع المشركين.

وفي سنة (٤٠ للهجرة)، استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بعد حياة حافلة بالجهاد مفعّمة بالعلم والورع والتّقوى.

عظمة علي:

قيل الكثير عن علي وعظمته، وإنّ الحديث عن ذلك لا ينتهي إلّا بانتهاء الكلام نفسه.

و« إنّ عظمة علي من عظمة محمّد، وعظمة محمّد من عظمة الله سبحانه، ومن أنكر على علي تفوّقه على عصره، وسموّه على مجتمعه فقد أنكر ذلك على محمّد و القرآن، وعلى عيسى والإنجيل، وعلى موسى والتوراة »[2].

---

(١) المصدر السّابق: (ص:١٣١).

(٢) مغنية: « موسوعة الإمام علي عليه السلام » (ص: ١٥٩).

وإن هذه العظمة كانت مثال إعجاب العقلاء و الحكماء من جميع الملل والنحل و الأديان عبر العصور .

وحتّى أعداء علي لم يتمالكوا من التأثر والإعجاب به. فهاهو معاوية، كما تذكر بعض الروايات، يبكي حينما يسمع ضرار بن ضمرة الكناني وهو يصف أمير المؤمنين عليه السلام .

قال ضرار : « كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من لسانه، يستوحّش من الدنيا وزهرتها، ويأنس باللّيل ووحشته، كان غزير الدّمعة، طويل الفكرة، يقلّب كفّيه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب [أي تغيّر] .

وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ونحن والله مع قربه منّا لا نكاد نكلّمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدّين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا ييأس الضّعيف من عدله. وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي أسمعه وهو يقول : يا دنيا يا دنيا، إليّ تعرّضت، أم لي تشوّقت ؟! هيهات هيهات غرّي غيري! قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير. آه من قلّة الزّاد، وبعد السّفر، ووحشة الطّريق »[1] !

(١) المصدر السابق : (ص: ٥٠٤ . ٥٠٥) .

وشارك علي في غزوات النّبيّ كلّها ماعدا تبوك، حيث استخلفه على المدينة،وقال له يومها قولته الشّهيرة :

« ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي »[1] .

وهذا الحديث، كما يقول الشّيخ مغنيّة، يدلّ دلالة صريحة على أنّ عليّاًعليه السلام يستوجب من محمّدصلى الله عليه وآله كلّ ما وجب لهارون من موسى ممّا نطقت به الآية الكريمة :

﴿ **وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[2] .

وكما استجاب الله لموسىعليه السلام بقوله : ﴿ **قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى** ﴾[3] .

فقد شهد لمحمّدصلى الله عليه وآله أنّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى[4].

شجاعة علي :

وقد سارت بأخبارها الرّكبان، ونسجت من وحيها القصص بل و الأساطير .

فلقد « أنسىعليه السلام فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، وهو

(١) صحيح البخاري (ج٦/ص:٣٠٩/ح٨٥٧) وسنن مسلم (ج٤/ص:١٨٧٠/ح:٢٤٠٤) وصحيح الترمذي (ج٥/ص:٦٤٠-٦٤١/ح ٣٧٣٠-٣٧٣١).

(٢) طه (٢٠): ٢٩ - ٣٢ .

(٣) طه (٢٠): ٣٦.

(٤) « موسوعة الإمام عليعليه السلام » (ص : ١١) .

الشّجاع الذي ما فرّ قط، ولا ارتاع من كتيبة،ولا بارز أحداً إلاّ قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية.وفي الحديث:كانت ضرباته وتراً »[1] .

وهو القائل : « والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليّت عنها ».

والقائل : « أنا قاتل الأقران،ومجندل الشّجعان،أنا الذي فقأت عين الشرك،وثللت [أي هدمت] عرشه، غير ممتنّ على الله بجهادي، ولا مدلّ إليه بطاعتي، ولكن أحدّث بنعمة ربّي ».

علم علي :

روى ابن عبّاس أنّ النّبيّ ﷺ قال: « ومن أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب ».

قال الكنجي معقّباً: « تشبيهه لعلي عليه السلام في علمه لأنّ الله علّم آدم صفة كلّ شيء، كما قال عز وجل : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا** ﴾، فما من شيء ولا حادثة ولا واقعة إلّا وعند علي عليه السلام فيها علم، وله في استنباط معناها فهم »[2].

وفي رواية بريد الأسلمي، أنّ النّبي ﷺ قال لعلي: « إنّ الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلّمك أن تعي،وحق ّ على الله تعالى أن تعي،

(١) « علي كما وصف نفسه » (ص : ٧١) .

(٢) الكنجي: « كفاية الطّالب » (ص:١٢٢) .

قال:فنزل قوله تعالى: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ »[1] .

قال علي عليه السلام : « كنت أدخل على رسول الله ليلاً ونهاراً، فكنت إذا سألته أجابني، وإن سكتّ ابتدأني، و ما نزلت عليه آية إلّا قرأتها، وعلمت تفسيرها وتأويلها، ودعا الله لي أن لا أنسى شيئاً علّمني إيّاه، فما نسيته، من حرام وحلال، وأمر ونهي، وطاعة ومعصية، وأنّه وضع يده على صدري، وقال : اللهم أملأ قلبه علماً وحكماً ونوراً، ثم قال لي: أخبرني ربّي عزّ وجلّ أنّه قد استجاب لي فيك »[2].

ولذلك كان علم علي عليه السلام ظاهرة فريدة ومميّزة في تاريخ الإنسانيّة.

قال عليه السلام :

- « بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة ».

- « أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السّماء أعلم منّي بطرق الأرض » .

وقال عليه السلام ذات مرّة وهو يشير إلى صدره : « إنّ هاهنا لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة، بل أصبت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدّين للدّنيا، ومستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحقّ لا بصيرة له »[3].

---

(١) الحاقّة (الآية:١٢) .

(٢) « علي كما وصف نفسه » (ص:٥٠) .

(٣) المصدر السابق (ص:٥٤) .

زهد علي :

كان علي عليه السلام في زهده، كما في علمه وشجاعته، محط الرّحال ومضرب الأمثال .

فلقد كان ولا يزال قدوة العبّاد والزهّاد وأهل السّير والسلوك والتصوّف من جميع المذاهب والأديان عبر العصور .

قال في بعض خطبه مخاطباً الدنيا :

« إليك عني يا دنيا. أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك، فهاهم رهائن القبور ومضامين اللحود، والله لو كنت شخصاً مرئيّاً، وقلباً حسيّاً، لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني »[1] .

« يا دنيا إليك عنّي، أبي تعرّضت، أم إليّ تشوفت، لا حان حينك، هيهات، غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير،وأملك حقير، آه من قلّة الزّاد، وطول الطّريق، وبعد السّفر، وعظيم المورد »[2] .

وقال عليه السلام : « وأيمّ الله -يميناً أستثني فيها بمشيئة الله- لأروّضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص، إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً »[3] .

---

(١) المصدر السابق (ص:٨٨) .

(٢) المصدر السابق (ص: ٨٨) .

(٣) المصدر السابق (ص : ٩٠) .

وقال أيضاً : « ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه... فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا حزت من أرضها شبراً »[1] .

آثار علي:

أحصى العلماء من آثاره عليه السلام الأدبيّة والفكريّة والعلميّة الشيء الكثير.

وممّا أحصوه يمكن أن نذكر ما يلي :

أ- نهج البلاغة .

ب- ألف كلمة (وقد ذكرها ابن أبي الحديد في آخر شرحه للنهج).

ج- نثر اللآلي:(وهي مجموعة حكم وأمثال مرتّبة على حروف الهجاء، عددها ٢٧٨ حكمة).

د- غرر الحكم ودرر الكلم: (وهي مجموعة حكم وأمثال).

هـ- دستور معالم الحكم، ومأثور مكارم الشّيم:(وهو مجموعة خطب وحكم).

ح- كتاب المئة: يحتوي على مائة كلمة.

وهناك الكثير من خطب علي وأقواله، متفرّقة في كتب الأدب: (كالمخلاة والكشكول) لبهاء الدّين العاملي، و(العقد الفريد ومروج الذّهب)، وغيرها[2].

---

(١) المصدر السابق (ص : ٩١) .

(٢) موسوعة الإمام علي عليه السلام: (ص :١٦٠ . ١٦٢) .

علي ملهم الجميع:

قال العقّاد في كتابه « عبقريّة الإمام » :

« ينفرد علي بخاصّة لا يجاريه فيها إمام غيره، وهي اتّصاله بكلّ مذهب من مذاهب الفرق الإسلاميّة، منذ وجدت في صدر الإسلام، فهو منشئ هذه الفرق، أو قطبها الذي تدور عليه، وندرت فرقة في الإسلام لم يكن علي معلّماً لها منذ نشأتها، أو لم يكن موضوعاً لها، ومحوراً لمباحثها، تقول فيه،وتردّ على القائلين .وقد اتّصلت الحلقات بينه وبين علماء الكلام والتّوحيد،كما اتّصلت الحلقات بينه وبين علماء الفقه والشّريعة، وعلماء الأدب والبلاغة،فهو أستاذ هؤلاء جميعاً بالسّند الموصول » .

وقال أيضاً: « تبقى للإمام الهداية الأولى في التّوحيد الإسلامي، والقضاء الإسلامي، والفقه الإسلامي، وعلم النّحو العربي، وفنّ الكتابة العربيّة، ممّا يجوز لنا أن نسمّيه أساساً صالحاً لموسوعة المعارف الإسلاميّة كلّها في الصّدر الأوّل من الإسلام، وتبقى له مع هذا فرائد الحكمة التي تسجّل له ثقافة الأمم عامّة،كما تسجّل له في ثقافة الأُمّة الإسلاميّة على تباين العصور »[1] .

مختارات من كلماته عليه السلام:

(١) « ما أوسع العدل لدى التو اصف و ما أضيقه لدى التّناصف »[2].

(٢) « مسكين ابن آدم، مكتوم الأجل، مكنون العلل،محفوظ العمل،

---

(١) المصدر السابق (ص : ١٨٢- ١٨٣) .

(٢) « علي كما وصف نفسه » (ص:١٧١) .

تؤلمه البقّة، وتقتله الشّرقة، وتنتنه العرقة »[1] .

(٣) « الناس ثلاثة : فعالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل النّجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق[2] .

(٤) سئل عليه السلام عن الفرقة والجماعة،فقال: « إنّ الفرقة أهل الباطل، وإن كثروا،والجماعة أهل الحق ، وإن قلّوا» .

وقال:يعرف الرجّال بالحق ولا يعرف الحق بالرّجال »[3] .

(٥) « خالطوا النّاس مخالطة، إن متّم معها بكوا عليكم، وإن غبتم حنّوا إليكم »[4] .

(٦) « وقال عليه السلام في النّهي عن التّعصّب :

« فإن كان لابدّ من العصبيّة فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور...

فتعصّبوا لخلال الحمد، من الحفظ للجوار، والوفاء بالذّمام، والطّاعة للبرّ، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل،والكف عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد في الأرض»[5].

---

(١) « موسوعة الإمام علي » (ص:١٧٣) .
(٢) المصدر السابق (ص:٢٤٢).
(٣) المصدر السابق (ص:٢٧٧-٢٧٨) .
(٤) المصدر السابق (ص:٢٨٠) .
(٥) المصدر السابق (ص:٢٩١) .

(٧) وقال عليه السلام في توضيح معنى الشّبهة :

« لو أن الّباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو أنّ الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث، فيمزجان، وهناك يستولي الشّيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى »[1] .

(٨) « من ترك قول لا أدري أصيبت مقاتله »[2] .

(٩) « لا يكون الصّديق صديقاً، حتّى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته، وغيبته، ووفاته »[3] .

(١٠) وقال عليه السلام يصف بعض من تظاهر بالزّهد في الدّنيا بعد أن زهدت فيه:

« ومنهم من أقعدته عن طلب الملك ضؤولة نفسه، وانقطاع سببه، فقصرت الحال عن حاله، فتحلّى باسم القناعة، وتزيّن بلباس أهل الزّهادة، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى »[4] .

(١١) وقال عليه السلام في التّفريق بين جسم الإنسان وروحه من حيث الحسن والقبح:

« إنّما فرّق بينهم مبادئ أوطانهم، وذلك أنّهم كانوا فلقة من سبخ الأرض وعذبها وحزن تربتها وسهلها... فتامّ الرّواء ناقص العقل، ومادّ

---

(١) المصدر السابق (ص:٢٩٣) .

(٢) المصدر السابق (ص:٢٩٧) .

(٣) المصدر السابق (ص:٣٠٠) .

(٤) المصدر السابق (ص:١٩٧) .

القامة قصير الهمّة، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السّبر »[1].

(١٢) وقال عليه السلام حول الكذب في الأحاديث المنسوبة للرّسول صلى الله عليه وآله:

« إنّ في أيدي النّاس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً. ولقد كذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على عهده، حتّى قام خطيباً وقال: « من كذّب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النّار ».

وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

١ -رجل منافق، مظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله متعمّداً، فلو علم النّاس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا : صاحب رسول الله رأى وسمع منه، فيأخذون بقوله .

٢ - رجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه، ولم يتعمّد كذباً، فهو في يديه، ويرويه، ويعمل به، ويقول : أنا سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلو علم المسلمون أنّه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنّه كذلك لرفضه .

٣- رجل سمع من رسول الله شيئاً يأمر به، ثمّ نهى عنه، وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ، ولم يحفظ النّاسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوا منه أنّه منسوخ لرفضوه .

---

(١) المصدر السابق (ص:٢٤٢) .

٤- وآخر لم يكذب على الله،و لا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله، ولم يهم [أي لم يخطئ] بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه، ولم ينقص منه، فحفظ النّاسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاصّ والعامّ، فوضع كلّ شيء موضعه وعرف المتشابه ومحكمه»[١] .

(١٣) وقال في وصف آل البيت عليهم السلام:

« لا يقاس بآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من هذه الأُمّة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدّين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التّالي، ولهم خصائص حق ّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة »[٢] .

(١٤) « إنّ الوفاء توأم الصّدق، ولا أعلم جنّة أوقى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله.

قد يرى الحول القلب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، ينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين»[٣] .

(١٥) « الحق لا يجري لأحد إلّا جرى عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى

(١) المصدر السابق (ص:٣٠٣-٣٠٤) .

(٢) المصدر السابق (ص:٣١١-٣١٢) .

(٣) المصدر السابق (ص:٣١٤) .

له، ولو كان لأحد أن يجري له، ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه »[1] .

(١٦) « عدل السّلطان خير من خصب الزّمان»[2] .

(١٧) « الدّنيا جيفة، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مخالطة الكلاب»[3] .

(١٨) وروي عنه عليه السلام أنّه قال:

« ما أحسنت لأحد قط، ولا أسأت إلى أحد،فرفع النّاس رؤوسهم تعجّباً. فقرأ قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ »[4] .

وهكذا فإنّ هذه الكلمات ما هي إلّا قطرة أو ذرّة من بحر علي المحيط. ولولا خوف الإطالة لالتمسنا المزيد.

---

(١)المصدر السابق (ص: ٣١٦) .

(٢) المصدر السابق (ص:٣١٨) .

(٣) المصدر السابق (ص:٣٧٠) .

(٤) الإصبهاني : « محاضرات الأدباء » (ص:٢١٦) .

(٢) الإمام الحسن بن علي عليه السلام ريحانة الرّسول صلى الله عليه وآله

ثاني أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأحد السبطين والرّيحانتين(١)، وسيّدي شباب أهل الجنّة(٢).

ولد في المدينة ليلة النّصف من رمضان سنة (٣) من الهجرة، وتوفّي سنة (٤٩ أو ٥٠). ويكبر أخاه الحسين بأحد عشر شهراً.

وبقي في رعاية جدّه سبع سنوات. وكان النّبي صلى الله عليه وآله لا يصبر على فراقه وفراق أخيه الحسين. وقد قال فيه الرّسول صلى الله عليه وآله: « أشبهت خلقي وخلقي »(٣).

وأخرج البخاري عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنّبي صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي.

وأخرج الشّيخان (البخاري ومسلم)، عن البرّاء قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: « اللهمّ إنّي أحبّه فأحبّه »(٤).

وورد في فضله وأخيه الحسين الكثير الكثير من الرّوايات.

وممّا قيل فيه عليه السلام: قال واصل بن عطاء: « كان الحسن بن علي، عليه

(١) صحيح البخاري (ج٢/ص:١٨٨ وج٤/ص:٢١٨).
(٢) سنن الترمذي (ج٢/ص:٣٠٦) و مستدرك الحاكم (ج٣/ص:١٦٧) و مسند أحمد (ج٣/ص:٣و٦٢و٨٢).
(٣) مسند أحمد (ج١/ص:٩٩و١٠٨).
(٤) صحيح البخاري (ج٥/ص:٣٣ و ج٢/ ص:١٨٨).

سيّماء الأنبياء، و هيبة الملوك»[1] .

قال عبد الله بن عبّاس: « أوّل ذلّ دخل على العرب موت الحسن عليه السلام »[2].

كان الحسن عليه السلام أعبد النّاس في زمانه. وقد حجّ إلى بيت الله الحرام من المدينة إلى مكّة ماشياً خمس و عشرين مرّة، وإنّ النّجائب لتقاد بين يديه،وقيل له في ذلك ؟

« فقال:إنّي لأستحي من ربّي أن ألقاه،ولم أمش إلى بيته» .

وقاسم الله ماله ثلاث مرّات،وخرج منه بكامله مرّتين .

وكان من هيبته أنّ معاوية قال: « ما رأيت الحسن إلاّ خفت مقامه، وعيبه لي »[3] .

وكان من حلمه أنّ مروان بن الحكم قال: « أنّ حلم الحسن يوازن به الجبال »[4] .

وكان لفصاحته وجرأته ما كان لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام .

قال أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبيّين): لّما بويع معاوية خطب، فنال من علي، ومن الحسن، فقام الحسين ليردّ عليه، فأجلسه الحسن، ثمّ قام فقال: « أيّها الذّاكر عليّاً،أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية، وأبوك صخر، وأمّي فاطمة، وأمّك هند، وجدّتي خديجة، وجدّتك قتيلة، وجدّي رسول الله، وجدّك حرب، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا

(١) « صلح الحسن » (ص:١٦) .

(٢) المصدر السابق (ص: ٢٣) .

(٣) « شرح نهج البلاغة » (ج٦/ص:٢٨٦) .

(٤)ابن شهر آشوب : « المناقب » (ص:ج٣/ ص:١٨٤).

حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً » .

فقال الحاضرون: آمين . وكلّ من حدّث بذلك أو كتبه، أو سمعه منذ نطق به الحسن، قال : آمين(*)[1].

وبعد وفاته عليه السلام وقف أخوه (محمّد بن الحنفيّة) على قبره، فقال: « لئن عزّت حياتك، لقد هدّت وفاتك، ولنعم الرّوح روح تضمّنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمّنه بدنك، وكيف لا تكون هكذا، وأنت عقبة الهدى، وخلف أهل التّقوى، وخامس أهل الكساء، غذّتك بالتقوى أكفّ الحقّ، وأرضعتك ثدي الإيمان، وربيت في حجر الإسلام، فطبت حيّاً وميّتاً، وإن كانت أنفسنا غير سخيّة بفراقك، رحمك الله يا أبا محمّد »[2] .

صلح الحسن:

قيل الكثير عن صلح الإمام الحسن، وذكر المحقّقون أنّ الإمام لم يصالح معاوية إلّا مضطرّاً بعد أن تخاذل أهل العراق عن نصرته، كما تقاعسوا عن نصرة أبيه من قبله، حينما كان يستنهضهم، فلا يزدادون إلّا تقلّباً وتلوّناً.

كما أنّ أغلب الوجهاء والشّيوخ الذين بايعوه وشايعوه والتفّوا حوله لم يكونوا سوى طلّاب دنيا، فلمّا يئسوا من بلوغها (معه أو عن طريقه) تحوّلوا عنه إلى عدوّه، كما أنّ عدداً غير قليل ممّن بايعه كان من المنافقين.

(*) ونحن نضمّ صوتنا إلى أصواتهم فنقول: اللهم آمين يا ربّ العالمين .

(١) الأصفهاني : « مقاتل الطالبيّين » (ص:٧٠) .

(٢) « صلح الإمام الحسن » (ص:٢٣) .

يقول الشيخ المفيد معدّداً أفراد الجيش الذي كان يقوده الحسن عليه السلام:
«أخلاط من النّاس: بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكّمة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبة اتّبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين »(1).

وهكذا يتبيّن بأنّ هذا الصلح « لم يكن حقناً للدماء، ولا جمعاً للشّمل، ولا كرهاً للحرب التي تقضي على الفتنة والفساد، بل لأنّ الإمام الحسن لم يجد من يقوى به على عدوّه و عدوّ الدين، فإنّ أكثر الذين أظهروا متابعته كانوا عيناً عليه، وعملاء لعدوّه، يتربّصون به الدّوائر »(2).

وقد سئل عليه السلام يوماً عن علّة مصالحته فأجاب: « علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبيّة، أولئك كفّار بالتّنزيل، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل... ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحداً إلّا قتل »(3).

ويقول عليه السلام في جواب سائل آخر: « لو كنت بالحزم في أمر الدّنيا وللدّنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبأس منّي وأشدّ شكيمة، ولكنّ رأيي غير ما رأيتم »(4).

ويرى بعض الباحثين أنّ هذا الصّلح كان خطوة ذكيّة كشفت وجه

---

(1) « الإرشاد » (ص:١٩٣).
(2) « مغنيّة: الشّيعة والحاكمون » (ص:١١٣).
(3)« البحار » (ج٤٤/ص:٢) .
(4) « الإمامة والسّياسة » ج١/ص:١٥١).

معاوية الحقيقي وأفصحت عن طبيعة حكمه (الفرعوني) وأسهمت في تعريته أمام الأُمّة.

كما أنّ الإمام بصلحه قد مهّد « لقيام أوّل معارضة سلميّة بتاريخ الإسلام في وجه الحاكم الظّالم»[1].

معاوية والتّشيّع:

لم يدّخر معاوية حيلة أو جهداً في الإساءة إلى علي وأولاده وشيعتهم، بشتّى الوسائل والطّرق بدءاً من الدّعاية والإعلام ووصولاً إلى التّقتيل والتّنكيل والإبادة... وذلك محاولة منه إلى محو ذكرهم من الوجود وحمل النّاس على حبّ عثمان والأمويّين، لكنّ النّتيجة جاءت على عكس ما أراد، بل يرى البعض بأنّ معاوية قد خدم التشيّع بنفسه من حيث لا يدري، «ونشره في كلّ قطر من حيث أراد القضاء عليه.[لقد] مات معاوية، وبقي التشيّع لعلي وأبناء علي، وسيبقى إلى أبد الآبدين ولو جاز الشّكر على الإساءة لحمدنا معاوية على ما أسداه لمذهب التشيّع من خدمات »[2] .

قال الدّكتور طه حسين: « و ليس شيء من سياسة النّاس يروّج للآراء ويغري النّاس باتباعها كالاستبداد الذي يعطف القلوب على الذين تلمّ بهم المحن، وتصبّ عليهم الكوارث، وتبسط عليهم يد السّلطان، والذي يصرف القلوب عن هذا السّلطان الذي يدفع إلى الظّلم، ويمعن فيه، ويرهق النّاس في أمرهم عسراً، لذلك عظم أمر الشّيعة في الأعوام العشرة

(١) « أهل البيت بنظرة وحدويّة حديثة » (ص:٤٢٥).

(٢) « الشّيعة والحاكمون » (ص:١٤٣).

الأخيرة من حكم معاوية، وانتشرت دعوتهم أيّ انتشار في شرق البلاد الإسلاميّة، وفي جنوب بلاد العرب، ومات معاوية حين مات، وكثير من النّاس، وعامّة أهل العراق بنوع خاص يرون بغض بني أميّة، وحبّ أهل البيت لأنفسهم ديناً »[1] .

بين الحسن والحسين:

يرى المحقّقون بأنّه لا فرق بين الإمامين. فهما سبطا محمّدﷺ، إمامان معصومان قاما أو قعدا، وسيّدا شباب أهل الجنّة.

« فمسالمة الحسن لخصمه كمجاهدة الحسين لعدوّه. ومدّ يد الأوّل لمعاوية النّاكث، كتقديم الثّاني نفسه لمدية يزيد. وفي تحمّل الحسن للذلّ عزّ وذلّت دعوة الأمويّين وافتضح أمرهم. كما أنّ في تحمّل الحسين للقتل عاش وماتت دعوة الأمويّين »[2] .

« فكلّ من الحسنين، بالنّهاية، قد لاءم بين أسباب ثورته ونتائجها. فمهّد لغاية مفردة، وتعاونا على ثلّ عرش بصبر الأوّل ودم الثّاني، فجاءت رسالتهما تامّة كاملة في غاية التّمام و الكمال.

فنهضة الحسين وليدة صلح الحسن، بل هي جزء متمّم له، أو هي فصل ثالث يدخل في تسلسل الرّواية التي قام بها علي و مثّل فيها ابناه وكان أبطالها:علي والحسن والحسين. »[3] .

---

(١) المصدر السّابق (ص:١٤٣) .

(٢) كامل سليمان : « الحسن بن علي » (ص:١٤٣- ١٤٤).

(٣) كامل سليمان : « الحسن بن علي » (ص:١٤٣- ١٤٤).

من أقواله عليه السلام:

١ – « بالعقل تدرك الدّاران جميعاً، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً »[١].

٢ – « من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان:

آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة منتظرة، وكلمة تدلّه على الهدى أو تردّه عن ردى، وترك الذّنوب حياء أو خشية »[٢].

٣– « اتّقوا الله، عباد الله، وجدّوا في الطّلب، واتّجاه الهرب، و بادروا العمل قبل مقطّعات النّقمات، وهادم اللذّات ؛ فإنّ الدّنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجيعها، ولا تتوقّى في مساويها، غرور حائل، وسناد مائل. فاتّعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر، وازدجروا بالنّعيم، وانتفعوا بالمواعظ، فكفى بالله معتصماً ونصيراً، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً، وكفى بالجنّة ثواباً، وكفى بالنّار عقاباً ووبالاً »[٣].

٤ – وقال لبعض ولده :

« يا بني لا تواخ أحداً حتّى تعرف موارده ومصادره، فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة فآخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة »[٤].

٥ – « إذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته جلّ و علا، و إذا نازعتك إلى صحبة الرّجال

---

(١) « موسوعة الإمام علي » (ص:٥٤١).
(٢) « أهل البيت (ع) بنظرة وحدويّة » (ص:٢٦٧).
(٣) المصدر السّابق (ص:٢٦٧–٢٦٨).
(٤) المصدر السّابق (ص:٢٦٧).

حاجة، فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت معونة أعانك، وإذا قلت صدّق قولك، وإذا صلت شدّ صولك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن سكتّ عنه ابتدأك، وإن نزلت بك إحدى الملمّات واساك، لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطّرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك »[1].

(١) « موسوعة الإمام علي (ع) » (ص:٥٤١).

(٣) الإمام الحسين بن علي عليه السلام

ثالث أئمّة أهل البيت عليهم السلام ولد في الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة. وبين ميلاده وميلاد أخيه الحسن عشرة أشهر وعشرون يوما. وردت في فضله وفضائله الكثير من الرّوايات منها:

قول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : « حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط »[1] .

و تعدّ شخصيّة الإمام الحسين شخصيّة مميّزة واستثنائيّة. وقد تجلّت بعظمتها و بجميع أبعادها في يوم عاشوراء على أرض كربلاء،حيث الملحمة الإنسانيّة الخالدة التي كانت ولا تزال مثار الاهتمام والإعجاب والاعتزاز على مدى العصور والدّهور.

ثورة الحسين عليه السلام:

كانت بيعة يزيد خطراً عظيماً يتهدّد الأُمّة والدّين، وكان لا بدّ من تصحيح الانحراف ولو بسفك المهج والتّضحية بالغالي والنّفيس،فكانت ثورة الحسين عليه السلام .

وكان من نتائجها إزالة الشّرعيّة عن منصب الخلافة وتعريته من لبوس

---

(١) « الأدب المفرد » (ص:١٢٩) «وسنن الترمذي » (ج٥/ص:٦٥٨-٦٥٩) و «ذخائر القربى» (ص:١٣٣).

القداسة الدّينيّة المزيّف.كما أدّت إلى فضح يزيد وكشف حقيقته، وأوجدت حالة من المعارضة والرّفض للظّلم والانحراف، وبذرت بذور ثورات لا زالت تتفاعل إلى يومنا هذا.

إنّ كربلاء الحسين بما حملته من قيم أقضّت مضاجع الأمويّين وزلزلت عروشهم وأتت على دولتهم ومحت ذكرهم من الوجود.

ومن نتائجها أيضاً: إعادة الاعتبار للقيم الإسلاميّة العظيمة التي كادت تنسى بعد مرور نصف قرن على وفاة الرّسول ﷺ.

ويمكن القول بأنّ هذه النّهضة قد نفخت في الأُمّة روحاً جديدة وأيقظتها بعد سباتها وموتها، وأثارت غيرتها وحميّتها على دينها وأعطتها دروساً بليغة في المقاومة والصّبر والثّبات وأسقطت عنها حاجز الرّعب والخوف والتر ّ دّد. حتّى صار شعار « يا لثارات الحسين »، أنشودة للثّائرين ضد الظّلم والجور والطّغيان. وصار الحسين عليه السلام رمزاً للأحرار و الثّوّار حتّى من غير المسلمين.

مراثيه عليه السلام:

تبارى الشعراء والأدباء والفصحاء في رثاء الحسين عليه السلام، فقالوا وأجادوا. ولا عجب في ذلك فإنّ « للحسين محبّة مكنونة في قلوب المؤمنين».

ومن قصيدة لدعبل الخزاعي في رثائه عليه السلام جاء فيها:

« ذكرت محلّ الرّبع من عرفات فأجريت دمع العين بالعبرات

وفلّ عرى صبري وهاجت صبابتي رسـوم ديـار أقفـرت وعـرات
مـدارس آيـات خلـت مـن تـلاوة ومنـزل وحـي مقفـر العرصـات
لآل رسـول الله بـالخيف مـن منـى وبـالرّكن والتّعريـف والجمـرات
قفـا نـسأل الـدّار التـي خـفّ أهلهـا متى عهـدها بالـصوم والـصّلوات؟
قبـور بكوفـان وأخـرى بطيبـة وأخـرى بفـخّ نالهـا صـلواتي
نفـوس لـدى النّهـرين مـن أرض كـربلا معرّسـهم فيهـا بـشطّ فـرات
تقـسّمهم ريـب الزّمـان كـما تـرى لهـم عقـرة مغـشيّة الحجـرات
إذا وتـروا مـدّوا إلى أهـل وتـرهم أكفّـا مـن الأوتـار منقبـضات.. »[1]

من أقواله عليه السلام:

- « من أحبّك نهاك، ومن أبغضك أغراك »[2].

- « مـن حـاول أمـراً بمعـصية الله كـان أفـوت لمـا يرجـو و أسرع لمـا يحذر»[3].

- « إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجّار، وإنّ قومـاً عبـدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شـكراً فتلـك عبـادة الأحـرار، وهي أفضل العبادة »[4].

(١) « ديوان دعبل » (ص: ٥٩ — ٦٤). « المناقب لابن شهر آشوب » (ص:ج٣/ ص:٣٦٥) .
(٢) « موسوعة الإمام علي عليه السلام »:(ص: ٥٤٤).
(٣) « تحف العقول » (ص:٢٤٥-٢٤٨).
(٤) « تحف العقول » (ص:٢٤٥-٢٤٨).

(٤) الإمام علي بن الحسين عليه السلام

هو الرابع من أئمّة أهل البيت عليهم السلام. من ألقابه زين العابدين والسجّاد.

ولد بالمدينة في يوم الخميس الخامس عشر من شهر جمادي الآخرة (على الأرجح)، سنة ٣٨ من الهجرة. وعاش حوالي ٥٧ عاما، قضى بضع سنين منها في كنف جده أمير المؤمنين عليه السلام.

نشأ و ترعرع في مدرسة النبوّة والعترة الطاهرة.

وبرز « على الصعيد العلمي والدّيني إماماً في الدّين ومناراً في العلم ومرجعاً في الحلال والحرام ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، وآمن المسلمون جميعاً بحلمه واستقامته وأفضليّته وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيته»[1].

وممّا قيل عنه :

قال الزّهري : « ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ولا أفقه منه ».

وقال سعيد بن المسيّب: « ما رأيت قط مثل علي بن الحسين».

وقال الإمام مالك : «سمي زين العابدين لكثرة عبادته».

وقال سفيان بن عيينة: « ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه».

---

(١) مقدمة (الصحيفة السجادية) بقلم الشهيد الصدر (ص: ١١).

وعد الإمام الشافعي علي بن الحسين « أفقه أهل المدينة ».

وقال عمر بن عبد العزيز: « سراج الدنيا وجمال الإسلام زين العابدين »[1] .

وقال الجاحظ : « وأمّا علي بن الحسين فالناس على اختلاف مذاهبهم مجمعون على فضله، ولا يشكّ أحد في تقديمه وإمامته »[2] .

وقال الحافظ الذهبي: « كان أهلاً للإمامة العظمى، لشرفه وسؤدده، وعلمه وتألّهه، وكمال عقله»[3] .

وكان للإمام زين العابدين مكانة خاصّة لدى المسلمين عموماً كما كان لهم تعلّق عاطفي كبير به وولاء روحي عميق له.

وقد تجلّى ذلك في عدّة مواقف منها ما سجّله « الفرزدق » في قصيدته الشهيرة.

ذلك أن هشام بن عبد الملك حجّ في إحدى السنوات و لمّا طاف لم يتمكّن من استلام الحجر الأسود لشدّة الزحام.فوقف على مقربة ينتظر ويشاهد . فإذا به يرى الإمام زين العابدين وهو يطوف فلمّا بلغ موضع الحجر انفرجت له الجماهير لعلمهم بقدره ومكانته.

ولمّا سئل هشام من قبل مرافقيه عن هوية الرجل ادّعى عدم معرفته فأجابه الفرزدق بقصيدة شهيرة جاء فيها :

---

(١) المصدر السابق (ص:١١ – ١٢).

(٢) ينابيع المودّة (ص: ١٥٣) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ص:٣٩٨) .

يا سائلي أين حلّ الجود والكرم عنـدي بيـان إذا طلّابـه قـدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيـت يعرفـه والحلّ والحـرم
هـذا ابـن خـير عبـاد الله كلّهـم هـذا التّقـي النّقـي الطـاهر العلـم
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لخـرّ يلـثم منـه مـا وطـأ القـدم
إذا رأتـه قـريش قـال قائلهـا: إلى مكـارم هـذا ينتهـي الكـرم
وليس قولك: من هذا؟ بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
ما قال لا - قط - إلّا في تشهده لـولا التـشهد كانـت لاءه نعـم[1]

قيل الكثير عن عبادة زين العابدين وورعه وتقواه وحلمه .. وكان كثير الصدقة بالليل.

وممّا روي عنه، قوله عليه السلام :

« صدقة الليل تطفئ غضب الربّ، وتنور القلب والقبر، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة ».

ولقد قاسم الله تعالى ماله مرّتين .

ولّما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل.

من أشهر آثاره عليه السلام:

رسالة الحقوق والصحيفة السجاديّة والمناجاة الخمسة عشر .

ورسالة الحقوق : عبارة عن مجموعة من القواعد الحقوقية الشرعيّة

---

(١) « ديوان الفرزدق » (ص:٤٥٤-٤٥٦).

صيغت بأسلوب رائع بليغ. وقد استوعبت جوانب إسلامية عدّة منها العقائدي والسلوكي والأخلاقي والاجتماعي.

وقد استطاع الإمام من خلالها « أن يضع بين أيدي المسلمين وغيرهم صورة ناصعة عما حقّقه الإسلام .

أو يريد له أن يتحقّق في مجتمعه على مستوى العقيدة والعبادة والأخلاق:

ـ دستور أخلاقي اجتماعي عبادي يشتمل على أهم النظريّات الأخلاقية الشاملة التي تغذّي العلاقة الإنسانيّة على صعيدها الفردي والجماعي بشكل رائع متناسق ومتكامل .

ـ منهاج شامل لعلاقة الفرد بخالقه وبنفسه وبالآخر، على أسس متناهية من الجمال والمودّة والرحمة والتحاب والتآلف.

ـ نظريات وأسس متكاملة لبعث الحياة الفاضلة في كلّ علاقات الإنسان، بمحيطه ودوائره الخاصة والعامة وبسبله المختلفة لضمان سعادته الدنيويّة والأخرويّة وبناله الفوز في جميع ميادين عيشه»[1] .

وامتازت هذه الحقوق في مفرداتها، « بالشمول والسعة وبعد النظر والغوص في أعماق المشكلات الإنسانيّة التي تتضارب فيها رغبات الناس وميولهم ومنافعهم الذاتية، وفي جميع الاتجاهات والمجالات التي عرفتها

(١) « علي كما وصف نفسه » (ص:٦).

البشرية في تاريخها المديد »[1] .

أمّا الصحيفة السجاديّة : فهي باقة من الأدعية العظيمة والجليلة جمعت بين جمال الأسلوب وروعة المحتوى.وكانت بحق نقلة نوعية في عالم الدعاء والاتصال بالسماء.أعادت لهذه العبادة رونقها ووظيفتها في خدمة غايات تربوية وروحية وأخلاقية سامية .

أما المناجاة الخمسة عشر: فهي من الكنوز والأرصدة الروحيّة والأخلاقيّة العظيمة التي فتحت آفاقا كبيرة في دنيا الإسلام وعالم الاتصال بالله عزّ وجلّ.

ويرى بعض الباحثين أن أدعية الإمام السّجّاد عليه السلام كانت شكلاً من أشكال المقاومة والمعارضة السياسيّة.

« حتّى أنّ الدعاء أصبح لأوّل مرة في تاريخ الإسلام، وعلى لسان الإمام علي بن الحسين، أحد الأسلحة الفعّالة التي تشهرها المعارضة في حقل إعلامها السياسي ضد الحكم الظالم الغاشم والحكّام الطغاة الجائرين»[2] .

من أشهر تلامذته عليه السلام:

أبان بن تغلب، وأبو حمزة الثمالي، وربيعة بن عثمان، المعروف بربيعة الرأي، أستاذ أبي حنيفة، وسعيد بن جبير، وسليم بن قيس الكوفي، وشرحبيل بن سعد، وطاووس بن كيسان، وظالم بن عمرو، المعروف بأبي

---

(١) « الأئمّة الاثنا عشر: سيرة وتاريخ » (ص: ج١/ ص:٤٠٦).
(٢) المصدر السّابق (ص:٤٢٠).

الأسود الدؤلي، وعامر بن واثلة، المعروف بأبي الطفيل، والفرزدق الشاعر، ومحمّد بن شهاب الزهري، وغيرهم كثير[1].

حزنه على أبيه :

قيل الكثير عن حزن الإمام و بكائه. إذ أن محنة كربلاء تركت في نفسه آثاراً عميقة لم تمحها الأيام.

وكان جوابه لمن راجعه في ذلك: إنّ يعقوب عليه السلام بكى حتّى ابيضّت عيناه على يوسف ولم يعلم أنّه مات، وإنّي رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة، فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً؟

مختارات من كلماته عليه السلام :

١ـ « خف الله لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك، ولا تعادينّ أحداً، وإن ظننت أنّه لا يضرّك، ولا تزهدن بصداقة أحد، وإن ظننت أنّه لا ينفعك.. ولا يعتذر إليك أحد إلّا قبلت عذره، وإن علمت أنّه كاذب »[2] .

٢ـ « الكريم يبتهج بفضله، واللئيم يفتخر بملكه »[3] .

٣ـ « أكبر ما يكون ابن آدم في اليوم الذي يلد من أمه ». لأنّ حياته تبتدئ من هذا اليوم، فكلـّما تقدّمت به السنّ كلما قلّت ونقصت تماما. كقاطع المسافة كلّما تقدّم خطوات كلما قصرت. قال الحكماء : ما سبقه إلى هذا المعنى أحد[4].

---

(١) « أهل البيت عليهم السلام بنظرة وحدويّة حديثة » (ص:٤٤-٤٥).

(٢) « موسوعة الإمام علي عليه السلام » (ص: ٥٤٩).

(٣) المصدر السابق (ص: ٥٥٠) .

(٤) المصدر السّابق (ص: ٥٥٠) .

٤ـ « أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت. والساعة التي يقوم فيها من قبره.

والساعة التي يقف فيها بين يدي ربّه، إمّا إلى جنّة، و إمّا إلى نار »[١] .

٥ـ « من قنع بما قسم الله له، فهو من أغنى الناس »[٢] .

٦ـ عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان علي بن الحسين عليه السلام يقول:

« ويل لمن غلبت آحاده عشراته، فقلت له : وكيف هذا؟ فقال : أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا ﴾[٣].

فالحسنة الواحدة إذا عملها كتبت له عشراً، والسيئة الواحدة كتبت له واحدة »[٤] .

٧ـ قيل له : إن الحسن البصري قال: ليس العجب ممن هلك كيف هلك وإنّما العجب ممن نجا كيف نجا».

فقال عليه السلام : « أنا أقول : ليس العجب ممن نجا كيف نجا، إنّما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله »[٥] .

---

(١) المصدر السّابق (ص: ٥٥٠) .

(٢) « بحار الأنوار » (ج٧٥ / ص: ١٣٥ / ح٥) و« حلية الأولياء » (ج٣ / ص:١٣٥).

(٣) الأنعام (٦): ١٦٠.

(٤) « وسائل الشيعة » (ج١١ / ص: ٣٨٣ / ح٢).

(٥) السيّد المرتضى : « الأمالي » (ج١/ص:١١٣).

٨ـ « إنّ الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة : أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرنّ شيئاً من طاعته فربّما وافق رضاه وأنت لا تعلم، وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرنّ شيئاً من معصيته، فربّما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم، وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرنّ شيئا من دعائه فربّما وافق إجابته وأنت لا تعلم، وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرنّ عبداً من عبيد الله، فربّما يكون وليّه وأنت لا تعلم »[1] .

وفاته عليه السلام :

توفّي عليه السلام بمدينة جده صلى الله عليه وآله مسموماً، بأمر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وذلك يوم السبت لإحدى عشر ليلة بقيت من المحرّم سنة (٩٥ هـ). ودفن بمقبرة البقيع بجوار عمّه الحسن عليه السلام[2] .

---

(١) الصّدوق : «الخصال» (ص: ٢٠٩/ح٣١) و « بحار الأنوار » (ج ٦٨/ص:١٨٦/ح١٧).

(٢) « الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام « سيرة وتاريخ » (ج١/ص:٣٨٥-٣٨٦) .

(٥) الإمام محمّد بن علي عليه السلام

كنيته أبو جعفر ولقبه الباقر. هو الخامس من أئمّة أهل البيت عليهم السلام. ولد في المدينة يوم الثلاثاء في الثالث من صفر سنة ٥٧ من الهجرة. وتوفّي بها في السابع من ذي الحجّة سنة ١١٤ مسموماً بأمر الخليفة هشام بن عبد الملك[١]. ودفن بالبقيع مع أبيه علي وعمّه الحسن عليهما السلام.

عاش في كنف جده الحسين أربع سنوات، وشاهد جميع المصائب والمآسي التي مرّت على أهل البيت عليهم السلام.

وأمّه هي السيّدة فاطمة ابنة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وهو أوّل علوي يولد من أبوين علويين.

عاش الإمام الباقر عليه السلام أحداث عصره المليء بالفجائع والمآسي، سواء منها ما حل بأهل البيت عليهم السلام خاصّة أو بالأُمة عامّة.

وقد أفرغ ذلك كلّه في وثيقة تاريخية قيّمة تعكس لنا مجمل ما نطلب معرفته عن تلك الأيام السود، مأثورة على لسان الإمام عليه السلام مخاطباً بعض أصحابه، قال: « يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيّانا وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس، إنّ رسول صلى الله عليه وآله لّما قبض وقد أخبر أنّا أولى النّاس بالنّاس، فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه،

---

(١) « الأئمّة الاثنا عشر (ج١/ ص: ٥١٦-٥١٧) .

واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا، ثمّ تداولتها قريش واحد بعد واحد، حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتّى قتل،فبويع الحسن ابنه وعوهد ثمّ غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتّى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمّ أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق ّ قليل، ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثمّ غدروا به،وخرجوا عليه ـ وبيعته في أعناقهم ـ وقتلوه . ثمّ لم نزل ـ أهل البيت ـ نستذلّ و نستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء، وعمّال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغّضونا إلى النّاس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام . فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظِّنّة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره.

ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد، إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام . ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظنّة وتهمة، حتّى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعة علي، وحتّى صار الرجل الذي يذكر بالخير ـ ولعله يكون ورعاً صدوقاً ـ يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاّة، ولم

يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت، ولا وقعت، وهو يحسب أنّه حقّ لكثرة من قد رواها »[1].

قيل الكثير في فضل الباقر عليه السلام وعلمه وعبقريّته. وممّا قيل فيه:

قال الحافظ ابن كثير، وهو يصف الباقر عليه السلام: كان « أحد أعلام هذه الأُمّة علماً، وعملاً، وسيادة، وشرفاً، وكان ذاكراً، خاشعاً، صابراً ».

وقال سديف المكّي: « ما رأيت محمّديّا قط يعدله ».

وقال كمال الدين الشّافعي: « هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، ومتفوّق درّه وراضعه، صفا قلبه، وزكا عمله، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت عليه سيماء الازدلاف ».

وقال الشيخ المفيد: « كان الباقر محمّد بن علي بن الحسين من بين إخوانه خليفة أبيه ووصيّه، والقائم بالإمامة بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والسؤدد، وكان أنبههم ذكراً، وأجلّهم في العامّة والخاصّة، وأعظمهم قدراً، ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين، والآثار، والسنّة وعلم القرآن، والسيرة، وفنون الآداب، ما ظهر عن أبي جعفر. وروى عنه معالم الدين بقايا الصّحابة ووجوه التّابعين، ورؤساء فقهاء المسلمين، وصار بالفضل علماً لأهله، وتضرب به الأمثال وتسمو بوصفه الآثار والأشعار.. »[2].

(١) «شرح نهج البلاغة» (ج١/ص:٤٣-٤٤) نقلا عن«الأئمّة الاثنا عشر» (ج١/ص:٤٨٨-٨٩).

(٢) محمّد حسين الصّغير: « الإمام محمّد الباقر مجدّد الحضارة الإسلاميّة » (ص: ٢١-٢٢).

ويعدّ الإمام الباقر عليه السلام مؤسس جامعة أهل البيت عليهم السلام. وإليه يعود الفضل في تأسيس عدد من العلوم منها: علم أصول الفقه وعلم التوحيد (أو علم الكلام)، وعلم فقه القرآن، و سائر العلوم القرآنية[1].

تلامذته والرواة عنه:

أحصى الشيخ باقر شريف القرشي عدد تلامذة الإمام عليه السلام والروّاة عنه، فكانوا ٤٨٢ من أعلام التابعين، وتابعي التابعين.

من أبرزهم: « جابر بن يزيد الجعفي، وكيسان السختياني صاحب الصوفية، و عبد الله بن المبارك،و الزهري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك بن أنس(..) وزياد بن المنذر، وحمران بن أعين، وعمرو بن دينار، وعطاء بن رباح. وليث، وابن جريح، وحجّاج بن أرطأة. وآخرين »[2].

من آثاره عليه السلام:

١- كتاب في تفسير القرآن، رواه أبو الجارود، زياد بن المنذر.

٢- رسالته إلى سعد الخير من بني أميّة.

٣- رسالة أخرى أوردها الكليني في الكافي.

٤- كتاب الهداية ذكره ابن النّديم.

« وقد روي عنه في فنون العلم الشيء الكثير، و ألّف أصحابه في ذلك المؤلّفات الكثيرة المذكورة في تراجمهم.. »[3].

---

(١) لمزيد الإطّلاع حول الموضوع يمكن الرّجوع لكتاب « الإمام الباقر مجدّد الحضارة الإسلاميّة » للدكتور الشيخ محمّد حسين الصّغير.

(٢) حسن الأمين « دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعية » (ج١/ص:٤٦١-٤٦٢).

(٣) المصدر السّابق (ص:٤٦٢).

مختارات من كلماته عليه السلام:

١ -« عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد »[١].

٢ - « اعرف المودّة في قلب أخيك بما له في قلبك »[٢] .

٣ - « تعلّموا العلم، فإنّ تعلّمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وبذله لأهله قربة.وهو ثمار الجنّة،وأنس الوحشة، وصاحب في الغربة،ورفيق في الخلوة،ودليل على السّرّاء، وعون على الضرّاء. ودين عند الأخلاّء، وسلاح على الأعداء، يرفع الله به قوماً، فيجعلهم في الخير سادة، وللنّاس أئمّة، يقتدى بأفعالهم،ويقتصّ آثارهم، ويصلّي عليهم كلّ رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامّه، وسباع البرّ وأنعامه»[٣] .

٤ - « قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة،واستدرّ به الملوك، واستطال به على النّاس...ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه، وضيّع حدوده،وأقامه إقامة القدح...ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله،وأظمأ به نهاره، وقام به في مساجده، وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يديل الله عزّ وجلّ من الأعداء، وبأولئك ينزّل الله الغيث من السّماء »[٤] .

---

(١) « موسوعة الإمام علي عليه السلام » (ص:٥٥٥).

(٢) المصدر السّابق (ص:٥٥٦).

(٣) المصدر السّابق (ص:٥٥٧).

(٤) « الكافي » (ج٢/ص:٦٢٧).

(٦) الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

هو السادس من أئمّة أهل البيت عليهم السلام . كنيته أبو عبد الله، و لقبه الصادق ولد بالمدينة يوم الجمعة ١٧ ربيع الأوّل سنة٨٣ من الهجرة. و توفّي بها في شهر شوال سنة ١٤٨ مسموماً بأمر المنصور العبّاسي[١].

ودفن في البقيع مع أبيه محمّد وجدّه علي وعمّه الحسن عليه السلام .

وتقول إحدى الروايات : أنّ المنصور لما بلغه خبر وفاة الإمام أسرع بالكتابة إلى واليه على المدينة: « إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدّمه وأضرب عنقه » .

فرجع الجواب إليه : أنّه أوصى إلى خمسة : أبي جعفر المنصور ومحمّد ابن سليمان وأبنيه موسى وعبد الله وزوجته حميدة »[٢].

وأمّه: أم فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وأمّها أسماء بنت عبد الرحمان بن أبي بكر، وهذا معنى قول الإمام جعفر عليه السلام : « أنّ أبا بكر و لدني مرّتين ».

وفي ذلك يقول الشريف الرضي:

وحزناً عتيقاً وهو غاية فخركم ... بمولد بنت القاسم بن محمّد

(١) « الأئمّة الاثنا عشر » (ج١ (ص: ٦٢٧) .

(٢) « بحار الأنوار » (ج:٤٧ / ص:٣).

يقول الشيخ محمّد حسن آل ياسين:

إن كلمة السلف والخلف، من علماء الدين، وأئمّة المذاهب الفقهيّة، وكتّاب الحديث و التراجم والتاريخ، في القديم والحديث، قد أجمعت على كون الإمام الصادقعليه السلام هو المعلّم الأكبر لرجال الفكر والعلم في عصره، والأستاذ الأوّل الذي انتشرت عنه المعارف و نقلت منه العلوم[1].

ومما قيل فيهعليه السلام :

قال ابن خلّكان: « أحد الأئمّة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت، ولقّب بالصّادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر» .

وقال: « وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيّان.. قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة، تتضمّن رسائل جعفر الصّادق، وهي خمسمائة رسالة »[2] .

وقال الشهرستاني: « وهو ذو علم غزير في الدّين والأدب، كامل في الحكمة، وزهد بالغ وورع تام عن الشّهوات »[3] .

وقال ابن حجر في صواعقه: « إنّ الناس نقلوا عن الصادق من العلوم ما سارت به الرّكبان، وانتشر صيته في جميع البلدان»[4] .

وقال الشيخ المفيد في الإرشاد «... لم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته

---

(١) « الأئمّة الاثنا عشر » (ج١/ص:٥٧٧) .

(٢) المظفّر : « الإمام الصّادقعليه السلام » (ج١/ص:٧٣) .

(٣) المصدر السّابق (ج١/ص:٧٧).

(٤) « الصّواعق المحرقة » (ص:٢٠١-٢٠٢).

ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ولا نقلوا عنهم ما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثّقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل »[1].

وروى النجاشي في رجاله بسنده عن الحسن بن علي الوشّا في حديث أنّه قال: أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كلّ يقول: حدّثني جعفر بن محمّد.

وكان عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل »[2].

ومن أشهر تلامذته الإمام: مالك بن أنس، الذي قال فيه: « ما رأت عين ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفر الصّادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً »[3].

ومن تلامذته أيضا الإمام أبي حنيفة الذي قال عنه حينما سئل: من أفقه من رأيت؟ « قال: جعفر بن محمّد »[4].

وقال عمر بن أبي المقدام: « كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أنّه

---

(١) « أعيان الشيعة :(ج٢ / ص: ٥٠٩).

(٢) « أعيان الشيعة :(ج٢ / ص: ٥٠٩).

(٣) « الإمام الصادق عليه السلام : (ج١ / ص: ٧٩).

(٤) المصدر السابق (ج١ / ص: ٧٩).

من سلالة النبيين »[1].

وقال اليعقوبي:

« كان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا: أخبرنا العالم»[2].

يقول الشيخ محمّد آل ياسين:

إنّ مترجمو الإمام قد اتّفقوا ـ وفيهم عدد من الحفّاظ البارزين ـ على كونه « قد حدّث عنه الأئمّة » و« احتجّ به سائر الأُمّة » لأنّه « ثقة لا يسأل عن مثله » كما يقول أبو حاتم، « و نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمّة و أعلامهم... و عدّوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها » كما يقول ابن طلحة الشّافعي، وروى ابن أبي الحديد المعتزلي: إنّ علم جميع فقهاء المذاهب الإسلامية عائد إلى جعفر بن محمّد ومستمدّ منه، لأنّ « أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمّد وغيرهم أخذوا عن أبي حنيفة، وأمّا الشّافعي فقرأ عن محمّد بن الحسن فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة، وأمّا أحمد بن حنبل فقرأ على الشّافعي فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد عليه السلام ».

ولن يضير الإمام الصادق بعد هذا الإجماع الإسلامي عليه أن يشذّ البخاري فيعزف عنه ولا يسند إليه حديثاً في كتابه. قال الشريف الحضرمي محمّد بن عقيل معلّقاً على هذا العزوف:

---

(١) « الأئمّة الاثنا عشر » (ج١/ص:٥٩٤).

(٢) « تاريخ اليعقوبي » (ج٣/ص:١١٥.

« احتج الستّة في صحاحهم بجعفر الصّادق إلّا البخاري... ولا يدرى بماذا يعتذر عن البخاري..، وقد قيل في هذا المعنى:

قـــضية أشـــبه بـــالمرزأة | هـــذا البخـــاريّ إمـــام الفئـــة
بـ« الصّادق » الصدّيق ما احتجّ | صـــحيحه واحـــتجّ بالمرجئـــة
ومثـل عمـران بـن حطّـان أو | مـروان وابـن المـرأة المخطئـة
مـــشكلة ذات عـــوار إلى | حـيرة أربـاب النّهـى ملجئـه
حـق ّ بيـت يمّمتـه الـورى | مغـــذّة في الـــسير أو مبطئـــه
إنّ الإمـام « الـصادق » المجتبـى | بفـــضله الآي أتـــت منبئـــه
أجـــلّ مـــن في عـــصره رتبـــة | لم يقـــترف في عمـــره ســـيئة
قلامـــة مـــن ظفـــر إبهامـــه | تعدل من مثل البخاري مئة»[1]

وخلاصة القول الّذي اتفقت الكلمة عليه أنّ إعراض البخاري عن الإمام لم يأبه به المحقّقون، لأنّ الإجماع الإسلامي قائم على الاحتجاج بحديثه[2].

من أقواله عليه السلام :

١ - « المؤمن لا يغلبه فرجه، ولا يفضحه بطنه »[3] .

٢ -« العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق، فلا تزيده سرعة السير إلّا بعداً »[4] .

---

(١) « الأئمّة الاثنا عشر » (ج١/ ص:٦٤٠ - ٦٤١) .
(٢) المصدر السابق (ص:٦٤٢) .
(٣) « تحف العقول » (ص:٢٦٠).
(٤) المصدر السابق (ص:٢٦٤).

٣-« من استصغر زلّة نفسه استعظم زلّة غيره، ومن كشف حجاب غيره انكشفت عورات نفسه، ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً سقط فيها »[١] .

٤ -« إذا بلغك عن أخيك ما يسوؤك فلا تغتم، فإن كان كما يقول، كانت عقوبة عجّلت، وإن كانت على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها»[٢].

٥ -« الرجل يجزع من الذلّ الصغير، فيدخله ذلك في الذل الكبير »[٣] .

٦ -« ثلاثة أشياء يحتاج إليها جميع الناس: الأمن، والعدل، والخصب»[٤].

٧- كتب المنصور له : « لما لا تغشانا كما يغشانا الناس؟

فأجابه الإمام: ليس لنا من الدّنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك به، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا في نقمة فنعزّيك.

فكتب إليه المنصور ثانية: تصحبنا لتنصحنا.

فأجابه الإمام: من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك.

فقال المنصور: والله لقد ميّز عندي منازل النّاس من يريد الدّنيا ممّن يريد الآخرة لا الدّنيا »[٥].

---

(١) « موسوعة الإمام علي (ع) » (ص: ٥٥٩).
(٢) المصدر السابق (ص:٥٥٩).
(٣) المصدر السابق (ص: ٥٦٠).
(٤) المصدر السابق (ص:٥٦٠).
(٥) « بحار الأنوار » (ج٤٧/ص:١٨٤/ح٢٩) و « كشف الغمّة » (ج٢/ ص: ٤٢٧).

(٧) الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

هو السّابع من أئمّة أهل البيت عليهم السلام. أُمّه: حميدة (البربرية)، وكنيته: أبو إبراهيم، وأشهر ألقابه: الكاظم. « ونصّ عدد من المؤرّخين على أنّه قد لقّب به لفرط حلمه وكظمه الغيظ وتجاوزه عن المسيئين إليه »(١).

ولد بالأبواء، (بين مكّة والمدينة)، في السّابع من شهر صفر سنة ١٢٨ هجري. واستشهد في بغداد مسموماً في سجن هارون الرشيد يوم الجمعة في الخامس والعشرين من رجب سنة ١٨٣. ودفن في الجانب الغربي من بغداد، في المقبرة المعروفة بمقابر قريش.

وتعرف المدينة التي فيها قبره الشريف بالكاظميّة، نسبة إليه. واشتهر بعد وفاته، لاسيّما عند أهل العراق، « بباب قضاء الحوائج وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسّلين به »(٢).

من أقوال العلماء فيه :

قال الشيخ المفيد في « الإرشاد »: « كان موسى بن جعفر عليه السلام أجلّ ولد أبي عبد الله قدراً، وأعظمهم محلاً، وأبعدهم في الناس صيتاً، ولم ير في زمانه أسخى منه ولا أكرم نفساً وعشرة، وكان أعبد أهل زمانه، و أورعهم و أجلّهم وأفقههم، واجتمع جمهور شيعة أبيه على القول بإمامته، والتعظيم

---

(١) « الأئمّة الاثنا عشر » (ج٢/ ص:١٥).

(٢) المصدر السابق (ج٢/ص:١٦).

لحقّه والتسليم لأمره، ورووا عن أبيه عليه السلام نصّاً عليه بالإمامة، وإشارة إليه بالخلافة، وأخذوا عنه معالم دينهم »[1] .

وقال ابن شهر آشوب: « كان أفقه أهل زمانه و أحفظهم لكتاب الله، و أحسنهم صوتاً بالقرآن، فكان إذا قرأ تحزّن وبكى السّامعون لتلاوته، وكان أجلّ الناس شأناً، وأعلاهم في الدين مكاناً، وأفصحهم لساناً، وأشجعهم جناناً، قد خصّه الله بشرف الولاية، وحاز إرث النبوّة، وبوء محل الخلافة، سليل النبوّة وعقيدة الخلافة »[2] .

وقال محمّد بن طلحة الشافعي: « موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن الكبير، المجتهد الجاد في الاجتهاد، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النّهار متصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه، دعي كاظماً، كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمّى بالعبد الصّالح، ويعرف بالعراق بباب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسّلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول، وتقضي بأنّ له عند الله تعالى قدم صدق لا تزلّ ولا تزول »[3].

مختارات من كلماته عليه السلام :

١ -ليس حسن الجوار كفّ الأذى، ولكن حسن الجوار الصّبر على

(١) « أعيان الشيعة » (ج٢/ص:٥٣٣).

(٢) المصدر السابق (ص:٥٣٥).

(٣) باقر شريف القرشي : « حياة الإمام موسى بن جعفر(ع) » (ج١/ص:١٧٢).

الأذى»[1].

٢- « ينادي مناد يوم القيامة : ألا من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من عفا و أصلح فأجره على الله »[2].

٣- « المصيبة للصّابر واحدة، و للجازع اثنتان »[3] .

٤- وقال عليه السلام عند قبر حضره: « إن شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوّله. وإن شيئا هذا أوّله لحقيق أن يخاف آخره »[4].

٥- « فقيه واحد أشدّ على إبليس من ألف عابد، لأنّ العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه ؛ ولذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابد »[5].

٦- « لا تكوننّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه صلى الله عليه وآله كفر »[6].

٧- « ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدّعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلّا كان ذلك البلاء طويلاً، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ »[7].

---

(١) « تحف العقول عن آل الرسول » (ص: ٣٠١).

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٠٣).

(٣) « موسوعة الإمام علي عليه السلام » (ص: ٥٦٣).

(٤) المصدر السابق (ص: ٥٦٢) و « تحف العقول.. » (ص: ٣٠٠).

(٥) « الاحتجاج » (ص: ٢١٥).

(٦) « الكافي » (ج١/ ص: ٥٧).

(٧) المصدر السابق (ص: ٤٧١).

(٨) الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت عليهم السلام. ولد بالمدينة في شهر شوال سنة ١٤٨ من الهجرة على الأرجح، وتوفّي في صفر سنة ٢٠٣. ودفن بطوس من أرض خراسان. وأمّه هي السيّدة « تكتّم »، الّتي جاء اسمها في قول الشاعر:

« ألا إنّ خير النّاس نفساً ووالداً ... ورهطا وأجدادا عليّ المعظّمُ

أتتنا به للعلم والحلم ثامناً ... إماما يؤدي حجّة الله تكتّمُ »[1]

وكنيته أبو الحسن، وأشهر ألقابه الرضا.

« وكان الإمام الرضا عليه السلام، أفضل ولد أبيه، وأنبههم ذكراً، وأعظمهم قدراً، وأعلمهم فضلاً، وأظهرهم علماً وحلماً وورعاً. وقد قال عنه إبراهيم ابن العبّاس الأديب المعروف:

ما رأيت الرضا سئل عن شيء قط إلّا علمه، ولا رأيت أعلم منه »[2].

وقال عنه المأمون العبّاسي: « إنّه لم يبق أحد على ظهرها، أبين فضلاً، ولا أظهر عفة، ولا أروع ولا أزهد زهداً في الدنيا، ولا أطلق نفساً، ولا أرضى في الخاصّة والعامّة، ولا أشدّ في ذات الله منه »[3].

---

(١) القرشي: « حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام » (ج١/ ص: ٢١).

(٢) « أهل البيت بنظرة وحدوية » (ص: ١١٩).

(٣) « أهل البيت بنظرة وحدوية » (ص: ١١٩).

بويع للرضاعليه السلام بولاية العهد سنة (٢٠١ هـ) من قبل المأمون العبّاسي.

وقد قامعليه السلام بنشر علوم آل محمّد في الآفاق.

وقد ترجم الشيخ القرشي في كتابه عن الرضاعليه السلام، لثلاثمائة وسبعة وستين (٣٦٧) عالماً من مختلف المذاهب، ممّن نهلوا من علومه، في المدينة وفي مرو عاصمة المأمون.

وبهذا « يفسّر كثرة الأحاديث المروية عن الإمام الرضا، وكثرة ما أثر عنه من آثار في مختلف المواضيع، التي كانت تثار في تلك الحقبة، حول الخالق وصفاته، والإنسان وفعاله، واليوم الآخر، وحول العقائد والمذاهب المختلفة التي كانت سائدة في عصره، والجدال حولها، هذا بالإضافة إلى بيان أحكام الشريعة والتفسير، وتصحيح المفاهيم الفكرية المنحرفة »[1] .

من أثارهعليه السلام :

١ -رسالته في جوامع الشريعة، أملاها على الفضل بن سهل، بناء على طلب المأمون.

٢ -رسالته في الطب:التي أمر المأمون بأن تكتب بماء الذهب، وقد حظيت هذه الرسالة بشروح كثيرة خلال أكثر من ألف عام.

٣ -صحيفة الرضا، والمعروفة بمسند الإمام الرضاعليه السلام .

٤ -الفقه الرضوي[2].

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣٣٩).

(٢) « أهل البيت بنظرة وحدوية » (ص: ١٢١ ـ ١٢٢) .

من أقواله عليه السلام :

١ - « لا يتم عقل إمرء مسلم حتّى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يملّ من طلب العلم طول دهره، الفقر في الله أحبّ إليه من الغنى، والذلّ في الله أحبّ إليه من العزّ في عدوه، والخمول أشهى إليه من الشّهرة.

ثم قال عليه السلام : العاشرة وما العاشرة، قيل له: ما هي، قال عليه السلام : لا يرى أحدا إلا قال: هو خير منّي وأتقى. إنّما النّاس رجلان: رجل خير منه وأتقى، ورجل شرّ منه وأدنى. فإذ لقي شرّ منه وأدنى قال: لعلّ خير هذا باطن وهو خير له، وخيري ظاهر وهو شرّ لي.

وإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، فإذا فعل فقد علا مجده، وطاب خيره، وحسن ذكره، وساد أهل زمانه.. »[١] .

٢ -« صديق كلّ إمرء عقله، وعدوّه جهله »[٢] .

٣ -« يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء تسعة في اعتزال الناس، وواحد في الصمت »[٣] .

٤المؤمن إذا غضب لم يخرج عن حق ّ ، وإذا رضي لم يدخل في باطل، وإذا قدر لم يأخذ أكثر من حقه »[٤] .

(١) « تحف العقول » (ص: ٣٢٦).
(٢) المصدر السابق (ص: ٣٢٦).
(٣) « موسوعة الإمام علي عليه السلام » (ص: ٥٦٥).
(٤) المصدر السابق (ص:٥٦٦).

٥ -« إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، ونـشاطاً وفتـوراً، فـإذا أقبلـت بـصرت وفهمـت، وإذا أدبـرت كلّـت وملّـت، فخـذوها عنـد إقبالهـا ونـشاطها، واتركوها عند إدبارها وفتورها »[١].

(١) المصدر السابق (ص:٥٦٦).

(٩) الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام

هو التاسع من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، كنيته: أبو جعفر، ولقبه: الجواد. وقد ذكر بأنّه قد اشتهر بين النّاس بالكرم، وسخاء اليد وكثرة العطاء ولذلك سمّى« بالجواد »[١].

ولد في المدينة، في التاسع عشر من شهر رمضان سنة ١٩٥ من الهجرة. وتوفي ببغداد في شهر ذي القعدة سنة ٢٢٠.

ودفن مع جدّه الإمام موسى الكاظم في الكاظمية حيث مقامهما الشامخ الشهير.

قال الشيخ عبد الله نعمة: « وكان له يوم توفّي والده الإمام الرّضا، حوالي سبع سنين، وقد آتاه الله الحكمة، والإمامة، والعلم وهو في هذه السن المبكرة، كما أتى الله سبحانه يحيى الحكم صبيا.

وقد بلغ الإمام الجواد ـ وهو في سنه المبكرة ـ من الفضل، والعلم، والحكمة، والورع، والعبادة، والسّخاء، والكمال، ما لم يبلغه أحد من ذوي السّنان، حتّى شغف به المأمون حبّاً وإعظاماً، وإكباراً، فرفع منزلته، وقرّبه، ونوّه به، وزوّجه ابنته (أم الفضل)»[٢].

قال الشيخ المفيد: « إنّ المأمون كان قد شغف بالجواد، لما رأى من

---

(١) « الأئمّة الاثنا عشر.. » (ج٢ / ص: ٢٦٥).
(٢) « روح التشيّع » (ص: ٣٤٨ ـ ٣٤٩).

فضله مع صغر سنّه، وبلوغه في الحكمة، والعلم، والأدب، وكمال العقل، ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوّجه ابنته أم الفضل، وحملها معه إلى المدينة، وكان متوفّراً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره »[1] .

وقد قيل الكثير في مناقبه عليه السلام من ذلك :

ما قاله سبط ابن الجوزي: « كان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود »[2] .

وقال الداوودي: « كان جليل القدر عظيم المنزلة »[3] .

وقال الصفدي: « كان من سرورات آل النبوّة »[4]

بعض مناظراته عليه السلام:

ذكر الشيخ نعمة: أنّ بني العبّاس ساورهم الخوف من انتقال الخلافة إلى العلويين. وذلك بعد تقريب المأمون للجواد عليه السلام وتصميمه على تزويجه من ابنته (أم الفضل). فراجعوه في ذلك لكنّه أبي.

« فقالوا: إنّه صبي ولا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدّب ويتفقّه في الدّين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم، إنّي أعرف به منكم، إنّه من أهل البيت، علمهم من

(١) « دائرة المعارف الشيعية » (ج١/ ص: ٤٩٣).

(٢) « تذكرة الخواص » (ص: ٣٦٨).

(٣) « عمدة الطالب » (ص: ١٨٨).

(٤) « الوافي بالوفيات » (ج٤/ ص: ١٠٥).

الله. وإن شئتم فامتحنوه بها يتبيّن لكم ذلك، قالوا قد رضينا »[1].

« ثمّ أجمع رأيهم على امتحانه، وكان المتولّي لذلك قاضي القضاة يحيى ابن أكثم. فابتدر يحيى بسؤال الإمام، وقال له: ما تقول ـ جعلني الله فداك ـ في محرّم قتل صيداً ؟ فقال الإمام أبو جعفر: قتله في حلّ أو حرم، عالماً كان المحرم أم جاهلاً، قتله عمداً أو خطأً، حرّاً كان المحرم أم عبداً، صغيراً كان أو كبيراً، مبتدئاً بالقتل أم معيداً، من ذوات الطير كان الصّيد أم من غيرها، من صغار الصيد كان أم من كبارها، مصرّاً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصّيد أم نهاراً، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ؟

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتّى عرف أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثمّ نظر إلى أهل بيته، وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه»؟

ثمّ طلب المأمون من الإمام بيان حكم كل صنف من الأصناف المذكورة فأجابه.

« فأقبل المأمون على من حضره من أقربائه وقال لهم:

إنّ أهل هذا البيت خصّوا من دون الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال. أما علمتم أن رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام،

(١) « روح التشيّع » (ص: ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنّه غيره.

وبايع الحسن والحسين وهما دون ست سنين، ولم يبايع صبياً غيرهما. أفلا تعلمون الآن ما اختصّ الله به هؤلاء القوم ؟ إنهم ذرّية بعضهم من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم »[1] .

من أقواله عليه السلام:

١ - « أوحى الله إلى بعض أنبيائه: أمّا زهدك في الدنيا فيعجلّ لك الرّاحة، و أمّا انقطاعك إليّ فيعزّزك بيّ [أي يقرّبك مني]، ولكن هل عاديت لي عدوّاً، أو واليت لي وليا »[2] ؟!

٢ - « من عمل على غير علم، كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح »[3] .

٣ - « من أطاع هواه أعطى عدوّه مناه »[4] .

٤ - « من لم يعرف الموارد أعيته المصادر »[5] .

٥ - « المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممّن ينصحه »[6] .

٦ - « إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له »[7] .

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣٥٠ ـ ٣٥٢).

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٥٠ ـ ٣٥٢).

(٣) موسوعة الإمام علي عليه السلام (ص: ٥٦٧ ـ ٥٦٨).

(٤) المصدر السابق (ص: ٥٦٨).

(٥) المصدر السابق (ص: ٥٦٨).

(٦) « تحف العقول » (ص: ٣٣٦).

(٧) المصدر السابق (ص: ٣٣٦).

٧- « تأخير التوبة اغترار،وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله « فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون »[١] .

٨- « الدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع »[٢].

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣٣٥)، الأعراف (٧): ٩٩.

(٢) « الفصول المهمة » (ص: ٢٥٥).

(١٠) الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام

هو الإمام العاشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام . كنيته: أبو الحسن، وأشهر ألقابه: الهادي والنقي.

ولد بقرية في ضواحي المدينة، تسمّى « صريا » للنصف من ذي الحجّة سنة ٢١٢ من الهجرة. وتوفّي ودفن في سامراء في شهر رجب سنة ٢٥٤. حيث فرض عليه المتوكّل العباسي الإقامة الجبرية ليكون تحت سمعه وبصره.

وأمّه: سمانة المغربية وتلقّب بأم الفضل.

وأمّا عن مناقبه عليه السلام فهي كثيرة. وممّا قيل فيه:

قال الأديب الأربلي: « كانت نفسه مهذّبة وأخلاقه مستعذبة، وسيرته عادلة وخلاله فاضلة، ومبارّه إلى العفاة واصلة ». « إذا قال بزّ الفصحاء وحيّر البلغاء وأسكت العلماء »[١] .

وقال الحافظ الذهبي: « كان فقيهاً إماماً متعبّداً »[٢] .

وقال الحافظ ابن كثير: « كان عابداً زاهداً »[٣] .

ووصفه العلامة المجلسي في بحاره: «كان أطيب الناس مهجة،

---

(١) « كشف الغمة » (ج٣ / ص: ١٩٣).
(٢) « العبر » (ج١ / ص: ٣٦٤).
(٣) « البداية والنهاية » (ج١١ / ص: ١٥).

وأصدقهم لهجة، وأصلحهم من قريب، وأكملهم من بعيد. إذا صمت علته هيبة الوقار، وإذا تكلّم علاه سيماء البهاء ! وهو من بيت الإمامة ومقرّ الوصيّة والخلافة، شعبة من دوحة النبوّة منتضاة، وثمرة من شجرة الرّسالة مجتناة مجتباة »[1] .

روى عن الإمام الهادي وتتلمذ على يديه الكثير من العلماء من مختلف المذاهب. وقد ترجم الشيخ القرشي لمائة وسبع وسبعين (١٧٧) منهم.

من آثاره عليه السلام :

- رسالته في الردّ على أهل الجبر والتفويض، وإثبات العدل.
- أجوبته ليحيى بن أكثم عن مسائله.
- رسالة في إحكام الدين.

كما روي عنه كتب عديدة في علل الصلاة وفي مسائل علم الرّجال، وفي أجوبة المسائل في الفقه وغيره من أنواع العلوم[2].

الهادي من المتوكّل:

جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي:

« نمى إلى المتوكّل بعلي بن محمّد الهادي، أنّ في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنّه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك فهاجموا داره ليلاً، فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصى، وهو

---

(١) « بحار الأنوار » (ج٥٠ / ص: ١١٤).

(٢) « أعيان الشيعة » (ج٢ / ص: ٥٨٤) بتصرف.

متوجه إلى الله تعالى، يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك إلى المتوكّل، وقالوا للمتوكّل لم نجد في بيته شيئا، ووجدناه يقرأ القرآن، مستقبلا القبلة، وكان المتوكل جالساً في مجلس الشراب، فأدخل عليه والكأس في يد المتوكّل، فلما رآه هابه وعظّمه، وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده، فقال: والله ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني، فعفاه.

فقال له: أنشدني شعراً، فقال علي: أنا قليل الرواية للشعر، فقال: لابدّ، فأنشده علي:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم وأسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرّة والتّيجان و الحلل
أين الوجوه التي كانت منعّمة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكّل حتّى بلّت لحيته دموع عينيه، وبكى الحاضرون، ورفع إلى علي أربعة آلاف دينار، ثمّ ردّه إلى منزله مكرّما »[1].

من أقواله عليه السلام:

١ - « الشاكر أسعد بالشكر منه بالنّعمة التي أوجبت الشكر، لأنّ

(١) « تذكرة الخواص » (ص: ٣٢٣).

النعم متاع والشكر نعم وعقبى »[1].

٢ - « إن الله جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، وجعل بلوى الدّنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدّنيا عوضاً »[2] .

٣- « من رضي عن نفسه كثر عليه الساخطون »[3] .

٤ - « من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق »[4] .

٥ - « من كان على بيّنة من ربّه هانت عليه مصائب الدنيا، ولو قرّض ونشر »[5] .

٦ - إن المحقّ السفيه يكاد يطفئ نور حقّه بسفهه »[6] .

٧- « من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه »[7] .

(١) « تحف العقول » (ص: ٣٥٧) .
(٢) المصدر السابق (ص: ٣٥٧).
(٣) موسوعة الإمام علي عليه السلام (ص: ٥٧١).
(٤) المصدر السابق (ص: ٥٧١).
(٥) المصدر السابق (ص: ٥٧١).
(٦) المصدر السابق (ص: ٥٧٠).
(٧) « تحف العقول » (ص: ٣٦٢).

(١١) الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

هو الحادي عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام. كنيته: أبو محمّد، ولقبه العسكري (نسبة إلى محلّة كان يسكنها تعرف بعسكر).

ولد بالمدينة في العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٢ من الهجرة. وتوفّي بسامرّاء مسموماً بأمر الخليفة المعتمد العبّاسي، في الثّامن من شهر ربيع الأوّل سنة ٢٦٠. ودفن عليه السلام إلى جوار أبيه الهادي عليه السلام بسامراء، حيث مشهدهما العظيم والشّامخ. و كان عليه السلام كثير المناقب.

وممّا قيل فيه:

- قال ابن الراوندي: « هو من تعظّمه الخاصّة والعامّة، ويبجّلونه ويقدّرونه لفضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته. كان جليلاً نبيلاً فاضلاً كريماً »[1].

- وقال علي بن عيسى الأربلي: « واحد زمانه غير مدافع، ونسيج وحده غير منازع، وسيّد أهل عصره، و إمام أهل دهره، فارس العلوم الذي لا يجارى، ومبيّن غامضها فلا يجادل ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، ومظهر الدقائق بفكره الثاقب، صاحب الدلائل والآيات والمعجزات، والله أقسم قسماً برّاً: أنّ من عدّ محمّداً جدّاً وعليّاً أباً وفاطمة أمّاً والأئمّة آباء والمهدي ولداً، لجدير أن يطول السّماء علاء وشرفاً،

(١) « الخرائج والجرائح » (ج٢/ ص: ٩٠٢).

والأملاك سلفاً و ذاتاً وخلفاً »[1] .

- وقـال ابـن الـصبّاغ المـالكي: « مناقـب سـيّدنا أبي محمّـد الحـسن العـسكري، دالّـة عـلى أنّـه الـسري ابـن الـسري، فـلا يـشكّ في إمامتـه أحـد ولايمتري، واحد زمانه من غير مدافع، ونسيج وحده من غير منازع »[2] .

- قال عنه أحمد بن خاقان، وهو أحد قادة الدولة العبّاسيّة: « ما رأيـت و لا عرفـت بـسرّ مـن رأى مـن العلويّـة مثـل الحـسن بـن عـلي بـن محمّـد بـن الرضا، ولا سمعت بمثله في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمـه، ولم أر لـه وليّاً ولا عدوّاً إلّا ويحسن القول فيه والثّناء عليه »[3] .

ورغم قصر حياة الإمام العسكري (٢٨ عاما)،فقد ترك « ثـروة كـبرى مـن علـوم القـرآن الكريم،والـسنّة الـشريفة،وأحكام الـشريعة،والآداب والمعارف الإسلاميّة »[4] .

من أقواله عليه السلام :

١ - « من الفواقر التي تقسم الظّهـر جـار إن رأى حـسنة أطفأهـا، وإن رأى سيّئة أفشاها »[5] .

٢ - « ليست العبادة كثرة الصّيام والصّلاة، وإنّما العبادة كثرة التفكّر في

---

(١) « كشف الغمّة » (ج٣/ ص: ٢٣٠-٢٣١).

(٢) « الفصول المهمّة » (ص:٢٧٢).

(٣) « أهل البيت بنظرة وحدويّة » (ص:١٤٧).

(٤) المصدر السابق: (ص١٤٧).

(٥) المصدر السابق (ص: ١٥٧).

أمر الله »[1] .

٣- « بسم الله الرّحمان الرّحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها »[2] .

٤- « بغض الفجّار للأبرار زين للأبرار »[3] .

٥- من مدح غير المستحقّ فقد قام مقام المتّهم »[4] .

٦- « من كان الورع سجيّته، والعلم حليته انتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه »[5] .

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٥٨).

(٢) المصدر السابق: (ص١٥٨).

(٣) « موسوعة الإمام علي عليه السلام » (ص:٥٧٢).

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

(١٢) الإمام الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام

هو الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام. ولد في سامرّاء (أو سرّ من رأى) صبيحة الجمعة ١٥ شعبان سنة (٢٥٥) من الهجرة. و أمّه نرجس بنت يشوعا بن قيصر الروم.

ونظراً لأهمّيّة هذا الموضوع الذي بالغ المغرضون، من أعداء الشيعة، في تصويره وتحريفه، فإنّ من المناسب أن نفرد له بحثاً خاصاً يمكن إيجازه في هذه النقاط :

(١) - تضافر الروايات :

يرى الشهيد الصّدر أنّ فكرة المهدي، بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم، قد جاءت في أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عموماً، وفي روايات أهل البيت عليهم السلام خصوصاً، و أكّدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشكّ.

وقد أُحصي أربعمائة حديث عن النبي صلى الله عليه وآله من طريق أهل السنّة، كما أُحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهدي من طريق الشيعة والسنّة فكان أكثر من ستة آلاف رواية، وهذا رقم إحصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهيّة التي لا يشكّ فيها مسلم عادة[1].

---

(١) « بحث حول المهدي » (ص:٤٧-٤٨).

من ذلك ما قاله الرسول الأعظم ﷺ :

١ - « أبشّركم بالمهدي، رجل من قريش من عترتي، يُبعث في أُمّتي على اختلاف من النّاس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[١].

٢ - « لو لم يبق من الدّهر إلّا يوم لبعث الله رجل من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً »[٢] .

٣ - « لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد. لطوّل الله ذلك اليوم، حتّى يملك رجل من أهل بيتي، تجري الملاحم على يديه، ويظهر الإسلام، والله لا يخلف الميعاد »[٣] .

٤ - « القائم المهدي من ولدي، اسمه من اسمي، وكنيته من كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً » .

٥ - « لا تخل الأرض من قائم بحجّة، إمّا ظاهر مشهور، أو خائف مستور، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته »[٤] .

هذا وإن المهدي ليس مجرّد فكرة أو افتراض وإنّما هو حقيقة ثبت

---

(١) « الصواعق المحرقة » (ص:٩٩) و« الحاوي » (ج٢/ ص:١٢٤) و« إسعاف الرّاغبين » (ص:٢٤٣).

(٢) «سنن أبي داود » (ج٢/ص:٤٢٢) و« الصواعق المحرقة » (ص:٩٧) و« الفصول المهمّة » (ص:٢٧٣) و« الحاوي» (ج٢/ص:١٢٥) و« نور الأبصار » (ص:١٧٥).

(٣) « يوم الخلاص » (ص:٣١).

(٤) المصدر السّابق (ص:٢٥).

وجودها بالتجربة التاريخية.

فالمهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وقد تواترت الروايات في ذلك من كتب الفريقين (السنّة والشيعة).

وهذه الأحاديث لم تأت تقريراً أو انعكاساً لواقع معين وإنّما هي «تعبير عن حقيقة ربّانية نطق بها من لا ينطق عن هوى، فقال: « إنّ الخلفاء بعدي اثنا عشر». وجاء الوقع الإمامي الاثنى عشري، ابتداءً من الإمام علي وانتهاءً بالمهدي: ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوي الشريف »[1].

(٢) - فكرة المهدي:

إنّ فكرة المهدي الموعود ليست وليدة العقيدة الإسلامية أو ذات منشأ ديني فحسب و إنّما هي « عنوان لطموح اتّجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله، على الرغم من تنوّع عقائدهم و وسائلهم إلى الغيب، أنّ للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض، تحقّق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي »[2].

وإنّما قام به الإسلام في هذا الإطار، هو إعطاء الفكرة معالمها التفصيلية وتحويلها « من غيب إلى واقع، ومن مستقبل إلى حاضر، ومن التطلّع إلى منقذ تتمخّض عنه الدنيا في المستقبل البعيد المجهول إلى الإيمان بوجود المنقذ فعلاً، وتطلّعه مع المتطلّعين إلى اليوم الموعود، واكتمال كلّ الظروف

---

(١) المصدر السّابق (ص:٢٥).

(٢) محمّد باقر الصدر: « بحث حول المهدي » (ص:٩).

التي تسمح له بممارسة دوره العظيم »[1] .

ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ المهدويّة ترتقي إلى درجة الحتميّة التاريخيّة وأنّ الوجود بغيرها ليس سوى عبث محض لا هدف ولا غاية من ورائه، ذلك أن بها ومن خلالها يتمّ تحقيق المشروع الإلهي[2]، وهي ليست أمراً متوقعاً حدوثه على الأرض وحدها، بل هو قانون جار في العوالم الأخرى أيضاً[3] .

(٣) - الحكمة من غياب الإمام المهدي عليه السلام :

جاء في بعض أجوبة الأئمّة عليهم السلام :

- « ما كلّ ما يعلم يقال، ولا كلّ ما يقال حان وقته، ولا كلّ ما حان وقته حضر أهله »[4] .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

- « إنّ القائم منّا إذا قام، لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته، ويغيّب شخصه»[5] .

وروي عن الإمام الحسن عليه السلام أنّه قال :

- « إنّ الله عزّ وجلّ يخفي ولادته، ويغيّب شخصه، لئلا يكون لأحد في

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٠-١١).

(٢)انظر كتاب« الطور المهدوي » (لسبيط النيلي) (ص:١٠٦) وما قبلها.

(٣) المصدر السّابق (ص:٨) .

(٤) « بحار الأنوار » (ج٥٣ / ص: ١١٥) و « إ لزام الناصب.. » (ص: ٦١).

(٥) « يوم الخلاص » (ص: ٨٨- ٨٩).

عنقه، بيعة إذا خرج »[1] .

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام :

- « القائد منّا يخفى على الناس ولادته حتّى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة »[2] .

وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال:

- «... له غيبة يطول أمدها، خوفا على نفسه من القتل، يرتدّ فيها قوم و يثبت آخرون »[3] .

(٤) - الغيبة الصغرى :

وهي الأولى ودامت حوالي سبعين عاماً وكان يتصل به أثناءها سفراؤه ونوابّه وهم من أجلّاء شيعته. ويرى الشهيد الصدر بأنّ الغيبة الصغرى تعبّر عن المرحلة الأولى من إمامة القائد المنتظر عليه السلام . وقد جاءت لتمهّد للغيبة الكبرى، حتّى لا يكون في الأمر مفاجئة أو صدمة للقواعد الشعبيّة للإمامة الذين اعتادوا على الاتصال بالإمام في كلّ عصر والتفاعل معه والرجوع إليه .

وقد ورد عن الأمام الصادق عليه السلام قوله :

« إنّما هي محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه »[4] .

وقوله عليه السلام : « اعرف إمامك، فانّك إن عرفته لم يضرّك تقدّم هذا الأمر

---

(١) المصدر السابق (ص: ٨٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ٩٠).

(٣) المصدر السابق (ص: ٩٦).

(٤) « بحار الأنوار » (ج٥١ / ص: ١٥٠) و (ج٥٢ / ص: ١١٣).

أو تأخرّ »[1] .

(٥) - سفراؤه الأربعة :

شغل مركز النيابة عن الإمام خلال غيبته الصغرى أربعة ممن أجمع الشيعة على تقواهم و ورعهم و نزاهتهم وهم:

١) عثمان بن سعيد العمري (توفّي سنة ٢٨٧هـ).

٢) محمّد بن عثمان بن سعيد العمري (توفي سنة ٣٠٥ هـ).

٣) أبو القاسم الحسين بن روح (توفي سنة ٣٢٦ هـ).

٤) أبو الحسين علي بن محمّد السّمري (توفي سنة ٣٢٩ هـ) .

وقد مارس هؤلاء النيابة بالترتيب، كلّما مات أحدهم خلّفه الآخر بتعيين من الإمام المهدي عليه السلام .

« وكان النائب يتصل بالشيعة ويحمل أسئلتهم إلى الإمام، ويعرض مشاكلهم عليه، ويحمل إليهم أجوبته شفهية أحياناً، وتحريريّة في كثير من الأحيان... »[2] .

وبوفاة السمري ابتدأت مرحلة جديدة وهي الغيبة الكبرى حيث لا يوجد نواب أو أشخاص معيّنون للوساطة بين الإمام والشيعة .

« وتحّولت النيابة من أفراد منصوصين إلى خطّ عام، وهو خطّ المجتهد العادل البصير بأمور الدنيا والدين، تبعاً لتحول الغيبة الصغرى إلى غيبة

---

(١) « يوم الخلاص » (ص: ١٤٢).

(٢) بحث حول المهدي (ص: ٥٢).

كبرى »[1] .

وممّا ورد عن الحجّة عليه السلام في أواخر كتبه ومراسلاته الشريفة :

« ... أمّا الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم، و أنا حجّة عليهم... »[2] .

(٦) - كيف ينتفع به عليه السلام دون رؤيته ؟ :

روي عن النبي صلى الله عليه وآله (بعد أن سأله جابر بن عبد الله الأنصاري: هل ينتفع الشيعة بالقائم في غيبته)؟

قوله: « أي والذي بعثني بالنبوّة، إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولا يته في غيابه كانتفاع النّاس بالشمس و إن جلّلها السحاب »[3] .

(٧) - العمر الطويل :

ورد عن الصادق عليه السلام قوله (مجيباً لبعض أصحابه ممن تعجّب من طول غيبة القائم عليه السلام):

« إنّ الله تعالى أدار في القائم منّا ثلاثة أدارها لثلاثة من الرسل:

قدّر مولده تقدير مولد موسى، وقدر غيبته تقدير غيبة عيسى، وقدّر إبطاءه تقدير إبطاء نوح، وجعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح – أعني الخضر عليه السلام - دليلاً على عمره... »[4] .

---

(١) المصدر السابق (ص: ٥٢).

(٢) يوم الخلاص (ص: ١٥٩).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٠٩).

(٤) يوم الخلاص (ص: ١٢١).

(٨) – إمكانيّة العمر الطويل:

يرى الشهيد الصدر: بأن كلمة الإمكان تعني أحد ثلاثة معان:

١ – الإمكان العملي

٢ – الإمكان العلمي

٣– الإمكان المنطقي أو الفلسفي.

وإنّ طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقيّاً وعلمياً، ولكنّه لا يزال غير ممكن عمليّاً، إلّا أنّ اتّجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل.

ويخلص الشهيد الصدر، إلى أنّه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقيّاً و علميّاً، وثبت أن العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلى إمكان عملي تدريجاً، لا يبقى للاستغراب محتوى إلا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه، فيتحوّل الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوّره إلى مستوى القدرة الفعليّة على هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان.

ثمّ يتساءل الشهيد الصدر: إذا كانت المسألة هي أنّه كيف سبق الإسلام ـ الذي صمّم عمر هذا القائد المنتظر ـ حركة العلم في مجال هذا التحويل ؟

فالجواب:بأنّه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم[1].

---

(١) بحث حول المهدي عليه السلام (ص:٢٣ ـ ٢٥).

ويذهب الشهيد الصدر بأنّه حتّى لو افترضنا بأنّ العمر الطويل غير ممكن علمياً، وأنّ قانون الشيخوخة قانون صارم، فإنّ ذلك يعني بأنّ إطالة عمر الإنسان ـ كنوح أو المهدي ـ قروناً متعددة هي على خلاف القوانين الطّبيعيّة. وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطّلت قانوناً طبيعيّاً في حالة معيّنة للحفاظ على حياة الشّخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السّماء .

وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدّة من نصّ القرآن و السنّة[1].

(٩) – الفائدة من العمر الطّويل :

يرى الشّهيد الصّدر: بأنّ عمليّة التّغيير الكبرى تتطلّب وضعا نفسيّاً فريداً في القائد الممارس لها، مشحوناً بالشّعور بالتّفوّق والإحساس بضآلة الكيانات الشّامخة التي أعدّ للقضاء عليها و تحويلها حضاريّا إلى عالم جديد.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ التّجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة و المواجهة المباشرة لحركتها وتطوّراتها لها أثر كبير في الإعداد الفكري وتعميق الخبرة لليوم الموعود .

وتعطي لهذا الشّخص قدرة أكبر على تقويم الظّواهر الاجتماعيّة بالوعي الكامل على أسبابها وكلّ ملابساتها التّاريخيّة.

ثمّ إنّ عمليّة التغيير المدّخرة للقائد المنتظر تقوم على أساس رسالة معيّنة هي رسالة الإسلام، ومن الطّبيعي أن تتطلّب العمليّة في هذه الحالة

---

(١) المصدر السّابق (ص: ٢٦-٢٧).

قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأولى، قد بنيت شخصيّته بناءاً كاملاً بصورة مستقلّة ومنفصلة عن مؤثّرات الحضارة التي يقدّر لليوم الموعود أن يحاربها[1].

(١٠) - لماذا لم يظهر عليه السلام ؟

يرى الشهيد الصدر: أنّ كلّ عملية تغيّر اجتماعي يرتبط نجاحها بشروط وظروف موضوعية لا يتأتّى لها أن تحقق هدفها إلّا عندما تتوفّر تلك الشروط و الظروف.

وتتميّز عمليات التغيير الاجتماعي التي تفجّرها السّماء على الأرض بأنّها لا ترتبط في جانبها الرسالي بالظروف الموضوعيّة، لأنّ الرسالة التي تعتمدها عمليّة التغيير هنا ربّانيّة ومن صنع السماء، لا من صنع الظروف الموضوعيّة، ولكنّها في جانبها التنفيذي تعتمد الظروف الموضوعية ويرتبط نجاحها وتوقيتها بتلك الظروف. ومن أجل ذلك انتظرت السماء مرور خمسة قرون من الجاهلية حتّى أنزلت آخر رسالاتها على يد النبي محمّد صلى الله عليه وآله.

وقد جرت سنّة الله تعالى ـ التي لا تجد لها تحويلاً ـ في عمليّات التغيير الربّاني على التقيّد من النّاحية التّنفيذيّة بالظروف الموضوعيّة التي تحقّق المناخ المناسب والجو العام لإنجاح عمليّة التغيير، ومن هنا لم يأت الإسلام إلا بعد فترة من الرسل وفراغ مرير استمرّ قروناً من الزمن .

ولذلك فإنّ عملية التغيير التي أعدّ لها الإمام المهدي ترتبط من الناحية

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣٢ ـ ٣٥).

التنفيذية ـ كأيّ عملية تغيير اجتماعي أخرى ـ بظروف موضوعية تساهم في توفير المناخ الملائم لها، ومن هنا كان من الطبيعي أن توقّت وفقاً لذلك.

ومن المعلوم أن المهدي لم يكن قد أعدّ نفسه لعمل اجتماعي محدود، ولا لعملية تغيير تقتصر على هذا الجزء من العالم أو ذاك، لأنّ رسالته التي أدخر لها من قبل الله سبحانه وتعالى هي تغيير العالم تغييراً شاملاً، وإخراج البشريّة، كلّ البشريّة، من ظلمات الجور إلى نور العدل، وعمليّة التغيير الكبرى هذه لا يكفي في ممارستها مجرّد وصول الرسالة والقائد الصالح، وإلا لتمّت شروطها في عصر النبوّة بالذات، وإنّما تتطلب مناخاً عالمياً مناسباً، وجوّاً عامّاً مساعداً يحقّق الظروف الموضوعيّة المطلوبة لعملية التغيير العالمية[1] .

(١١) – إنكار المهدويّة :

يرى الباحث عالم سبيط النّيلي، أنّ إنكار المهدويّة يأتي تتويجاً لسلسلة طويلة من عمليات التّحريف في عقائد وأساسيّات الدّين القويم.

وإنّ المهدويّة، بشكلها العام، ظلّت تقريباً الوحيدة من العقائد الكثيرة للدّين الإسلامي صامدة بوجه التّحريف قياساً بغيرها من أسس الدّين لأنّها بقيت مذكورة كفكرة وإن كانت فارغة المحتوى.

ذلك أنّ المهدويّة بشكل عام هي ما اتّفق عليه جميع الأُمّة بلا استثناء . ولم يتمّ هذا الاتفاق إلّا بعد إخراج الفكرة من محتواها العقائدي والشّمولي

(١) المصدر السابق (ص:٥٧-٦٠).

وتحجيمها بالشّكل الذي يناسب الطّغاة ولا يقضّ مضاجعهم[1].

لكن رغم ذلك فإنّه لا تزال طائفة كبيرة من الأُمّة وفيّة صابرة منتظرة للفرج فعسى أن يكون قريباً. إن شاء الله تعالى.

(١) « الطّور المهدوي » (ص: ٣٣).

القسم الثاني

صفحات من

تاريخ التشيّع في تونس

الفصل الأوّل :

لمحة عن إفريقية

(١) الموطن والسكان

تعدّ تونس من الناحية الجغرافية جزءاً لا يتجزأ من بلاد المغرب الإسلامي.

وقديماً أطلق الرومان اسم « إفريقيّة » على قسم منها هو شمالها الشرقي ثمّ عمّت التسمية، إبّان الفتح الإسلامي، لتشمل كامل القطر.

أمّا السكّان الأصليون لبلاد المغرب (ومنها تونس) فهم من البربر.

وهي تسمية أطلقها الرومان عليهم وعلى كلّ من يعدّونه أجنبيّاً عن حضارتهم . فنعتوهم بالهمج (Barbari). ومنه استعمل العرب كلمة برابر و برابرة (مفردة بربري).

أمّا الأهالي ((فكثيراً ما كانوا يسمّون أنفسهم « أما زيغ »، (مؤنثه تمازيغت وجمعه أمازيغن)، ومعناه « الرجال الأحرار » ثم « النبلاء »))[١].

والبربر (أو الأمازيغ) شعب قويّ البنية، موصوف بالصبر والجلد (على قساوة العيش وغير الزمان)، والغيرة (على المبدأ)، وهو لا يخلو من بعض الجفاء و الخشونة والعناد والتعصّب.

---

(١) « تاريخ إفريقيا الشمالية » (ج١/ ص:١٢).

ويرى بعض الباحثين بأنّ الجنس البربري يتمتّع بحيويّة لا تنضب، لكن ليست له شخصيّة إيجابيّة، « وأنّه يكتفي حتّى في أبسط الأشياء بدور «الظل الأبدي »، وأنّ المشكلة التاريخية ترجع إلى معرفة كيف « أن الخيبة المطلقة كانت نتيجة لتسلسل خيبات محدودة (أ. ف. قوتيه) »[1] .

وككل الشعوب فإن البربر ينقسمون إلى قبائل وعشائر متعدّدة من أشهرها:

كتامة (في جبال زواوة أو القبائل) بالجزائر أو المغرب الأوسط.

وهوّارة (بتونس وغرب طرابلس).

ولواتة وصنهاجة (بالجزائر).

ومصمودة وهنتاتة (بالمغرب الأقصى).

وللبربر لغة خاصّة بهم تعرف « بالبربريّة » أو « الأمازيغيّة » أو «الشلحة»، لا يزال يتكلّم بها قسم كبير منهم لاسيّما « في جبال (القبائل) بالجزائر وفي بلاد السوس والصحراء وفي الرّيف من المغرب الأقصى »[2] .

أمّا في تونس فلم يعدّ لها أثر يذكر سوى في بعض الجهات الجنوبية .

وتقع تونس(أو البلاد التونسية) شمال غرب القارة الأفريقية . ويحدّها شمالاً وشرقاً البحر (الأبيض المتوسط) وغرباً الجزائر وجنوباً ليبيا.

ونظراً لموقعها المميّز، من حيث اتصالها المباشر بحوض البحر

---

(١) المصدر السابق (ج١/ص:١٥).

(٢) حسن حسني عبد الوهاب : « خلاصة تاريخ تونس »(ص:١٥).

المتوسط، وقربها من أوروبا (حيث لا تبعد أقصى نقطة في شمال تونس سوى ١٤٠ كلم عن سواحل ايطاليا).

ونظراً لسهولة تضاريسها نسبيّاً فإنّ تونس« تأثرت بمؤثرات آتية من الشرق والغرب على التناوب وبنفس السهولة »[1] .

(١) « تاريخ إفريقيا الشمالية » (ج١/ص:٢٦).

(٢) التضاريس والمناخ

التضاريس:

تتميّز الطبيعة في تونس بالتنوّع من حيث أشكال التضاريس والمناخات والغطاء النباتي.

كما تتميّز بقلّة الارتفاع، إذ لا يتجاوز ارتفاع ثلثي أراضيها ٢٠٠م.

وضمن تضاريس البلاد التونسيّة يمكن أن نميّز بين ثلاثة أقسام:

١ - المنطقة الجبليّة: (أو السلسلة الظهريّة) التي هي امتداد لسلسلة جبال الأطلس (الصحراوي) وتشق البلاد متجهة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ثمّ تنحدر شيئاً فشيئاً حتّى هضاب شبه جزيرة الوطن القبلي. وهذه المنطقة تفصل بين قسمين أو بالأحرى بين تونسين هما : تونس التلّ وتونس السباسب.

٢ - منطقة التل: وهي امتداد طبيعي للتل الجزائري. وتوجد بها جهتان جبليّتان تحيطان شمالاً وجنوباً بالسهول التي يشقّها وادي مجرّدة وروافده.

٣- منطقة السباسب: وتبدأ جنوب السلسلة الظهريّة. وتنقسم إلى قسمين:

السباسب العليا غرب البلاد، « حيث تنصبّ في الأفق الرتيب الجبال الكلسيّة العارية حتّى جنوب قفصة، ومنه تبدأ الصحراء. وهناك السباسب السفلى في الجهة الشرقيّة،وهي سهول مترامية الأطراف تمتدّ من الجبال إلى

البحر »[1].

وعموماً تتميّز تونس بقلّة الارتفاع وباتساع السهول والمنخفضات.

المناخ :

يتأثّر مناخ تونس بالمؤثّرات البحرية والصحراوية.

فهو معتدل متوسطي على الساحل الشرقي والشمالي، قارّي حار في الوسط، صحراوي في الجنوب، يمتدّ تأثيره نحو الشمال صيفاً لعدم وجود حواجز جبلية مهمّة في البلاد.

ويمكن التمييز عموماً بين ثلاثة مجالات طبيعية في تونس لكلّ منها ميزات خاصّة من حيث المناخ والتربة والنبات و الملامح البشرية، وهي:

١ - المنطقة الشمالية (المطيرة):وتتميّز باعتدال الحرارة خاصة قرب السواحل.وتتوفّر على تربة جيدة وغطاء نباتي مهم، خاصّة في المرتفعات، وجريان نهري دائم .

٢- المنطقة الوسطى (شبه الجافة): وتتميّز باعتدال الحرارة بالسواحل وارتفاعها في الداخل، وضعف خصوبة التربة، وغطاء نباتي (عبارة عن سهوب)، وجريان نهري غير دائم.

٣- المنطقة الجنوبية (الجافة): وتتميّز بارتفاع المدى الحراري، خاصّة في الداخل والجنوب. وقلّة الغطاء النباتي، وانحصار الزراعة في

(١) المصدر السابق (ج١/ص:٢٥) .

الواحات[1].

وعلى كلّ حال فمن السهل أن تتبيّن إلى أي حدّ أثرّت جغرافية تونس في تاريخها. فلقد تنازعتها وخلال عصورها المختلفة مؤثّرات أوروبيّة ومتوسّطيّة وإفريقيّة بل و آسيوية أيضا .

(١) المصدر السابق (ج١/ص:١٦) .

لمحة تاريخيّة

(إفريقية منذ الفتح الإسلامي)

كانت إفريقية قبل الفتح الإسلامي بلاداً « يعوزها التماسك، تتباعد عن مدنيّة متحضرة، وتستعيض تدريجيّاً عن المؤسسات الرومانيّة بالتقاليد العريقة »[1] .

فتح مصر :

كانت مصر بمثابة البوّابة لشمال إفريقيا و بالتالي الممر الطبيعي للجيوش الإسلامية الفاتحة، ولذلك فإنّ فتحها كان يمثل أهميّة إستراتيجية كبيرة مهّدت لفتح بلاد المغرب والأندلس.

ولقد تمّ فتح مصر على دفعات : أوّلها سنة (١٩ هـ / ٦٤٠ م) وآخرها سنة (٢٥هـ/ ٦٤٣ م).

وشارك فيه عدد كبير من الشخصيّات الإسلامية المشهورة من الصحابة و التابعين.

فتح شمال إفريقيا : وقد تمّ على مراحل:

أوّلها: سنة (٢٧هـ / ٦٤٥ م). عندما دخل أوّل جيش للمسلمين إلى إفريقيّة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح (والي عثمان على

(١) « تاريخ إفريقيا الشمالية »(ج٢/ص:١٠).

مصر).واستطاع هذا الجيش أن يلحق الهزيمة بالإمبراطور (المستقل) «جرجير»(*) والاستيلاء على عاصمته سبيطلة.

ثمّ أرسل عبد الله الفيالق و السرايا إلى أماكن عدّة من إفريقية، لاسيّما جنوبها، ممّا اضطرّ الروم والبربر إلى مصالحته. فقفل راجعاً إلى مصر مكتفياً بالغنائم الكبيرة التي حصّل عليها دون أن يترك عاملاً أو يؤسّس مدينة .

الثانية: (سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م). حينما أرسل معاوية واليه على مصر، معاوية بن حديج الكندي، على رأس جيش تمكّن من هزم بقايا الروم وافتتاح مدن عديدة منها بنزرت وسوسة (حضرموت).

الثالثة: بدأت (سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م) لمّا توجّه القائد عقبة بن نافع الفهري، الذي خلّف معاوية بن حديج على رأس الجيش، إلى إفريقية.

وكان الهدف من هذه الغزوة هو تثبيت حكم الخلافة الإسلامية، وإيجاد عاصمة للمسلمين في المغرب.

فقام عقبة بتأسيس مدينة (القيروان) التي أصبحت بعد سنوات قليلة عاصمة المسلمين في بلاد المغرب، ومركزاً للإشعاع الفكري و العلمي والديني في شمال إفريقيا لقرون عديدة.

ثمّ عاد عقبة من جديد إلى إفريقية سنة (٦٢ هـ / ٦٨٠ م)، وواصل فتوحاته إلى أن بلغ ساحل المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى.

ثمّ ما لبث أن استشهد(رحمه الله)، (سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م) على يد

(*) والي بيزنطة على إفريقية،قبل أن يستقلّ عنها سنة (٦٤٦م) وينصّب نفسه إمبراطوراً.

كسيلة البرنسي .

وعلى اثر ذلك سيطر البربر على افريقية من جديد، واستولوا على عاصمة المسلمين فيها (لكن إلى حين).

وفي سنة (٦٩ هـ / ٦٨٨م) زحف زهير بن قيس البلوي إلى إفريقية، فاستعاد القيروان ومعها هيبة الخلافة وثأر لمقتل عقبة بن نافع، قبل أن يستشهد هو بدوره، في طريقه إلى مصر، على يد الروم.

الرابعة : وهي الحاسمة، وتعدّ من قبل البعض بأنّها الفتح النهائي أو الحقيقي . وبدأت سنة (٧٧هـ / ٦٩٦م) حين توجّه حسّان بن النعمان الغسّاني على رأس أكبر جيش ترسله الخلافة إلى المغرب (وهو ٤٠ ألف مقاتل).

فقصد قرطاجنة، عاصمة الروم في إفريقية وقاعدة ملكهم، فافتتحها. لكنّه ما لبث أن انهزم تحت وطأة ضربات البربر، بقيادة الكاهنة . التي سيطرت على كافة بلاد المغرب (من طرابلس إلى طنجة)، لمدة خمس سنوات، وأمرت بتخريب البلاد ظناً منها بأنّ المسلمين لا يطمعون في أرض خراب.

لكن حسان أعاد الكرّة من جديد سنة (٨٤ هـ/ ٧٠٢م) على رأس جيش كبير فهزم الكاهنة واقتفى أثرها إلى أن قضى عليها. فهدأ البربر (ولو لحين).

واستتب الأمر بذلك للمسلمين ودانت إفريقية و بلاد المغرب للإسلام.

ثمّ بدأت مرحلة جديدة للحكم الإسلامي ببلاد المغرب على يد موسى بن نصير الذي تقلّد ولاية إفريقية سنة (٨٥ هـ / ٧٠٤ م)، وتولّى فتح بعض المناطق التي لم تفتح بعد . كما قام بتسخير عدد من العرب لتعليم البربر مبادئ الإسلام واللغة العربية.

ثمّ أرسل تابعه طارق بن زياد (البربري) لفتح الأندلس. ففتحها سنة (٩٣ هـ / ٧١١م).

ثمّ تعاقبت الولاة بعد ذلك على إفريقية وبسطوا نفوذهم على جميع بلاد المغرب والأندلس.

ومن أبرز هؤلاء :

- عبيد الله بن الحبحاب (١١٦-١٢٣هـ / ٧٣٤-٧٤٠م)، وهو الذي بنى جامع الزيتونة بتونس سنة (١١٦هـ / ٧٣٤م)

- عبد الرحمان بن حبيب الفهري (١٢٧-١٣٧هـ)، وكان في بدايته ثائراً ضد الحكم الأموي وضد الخوارج على السواء، ثمّ استقلّ بحكم افريقية حوالي عشر سنوات قبل أن يعلن انفصاله على مركز الخلافة العباسية في المشرق.

وكان لانفصاله قصّة طريفة خلاصتها :

أنّه لمّا تولّى المنصور العباسي الخلافة، أقرّ عبد الرحمان على إفريقية، وأرسل إليه خلعة سوداء، فلبسها، وأرسل بدوره إلى المنصور هدية مع كتاب جاء فيه : «إنّ افريقية اليوم إسلامية كلّها، وقد انقطع السبي منها

والمال، فلا تطلب منّا مالاً ».

فغضب المنصور عليه، وبعث يهدده، فما كان من عبد الرحمان إلّا أن خلع الخليفة المنصور بإفريقية، ومزّق خلعته.

قال ابن عذارى في كتابه « البيان المغرب في أخبار المغرب »:

« فلمّا وصل إليه [يعني عبد الرحمان بن حبيب] الكتاب غضب غضباً شديداً ثمّ نادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج عبد الرحمان في مطرف خزّ فصعد المنبر . فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ أخذ في سبّ أبي جعفر، وقال : إنّني ظننت أن هذا الخائن يدعو إلى الحق، ويقوم به حتّى تبين خلاف ما بايعته عليه من إقامة العدل، وإنّي الآن قد خلعته كما خلعت نعلي هذا، وقذفه من رجله، ثم دعا بخلع السود وأمر بتحريقها »[1].

وهذه أوّل مرّة تستقلّ افريقية رسمياً عن مركز الخلافة في المشرق.

- إبراهيم بن الأغلب (١٨٤هـ/ ٨٠٠م).

وهو مؤسّس الدولة الأغلبية، وفي عهده أصبحت إفريقية تتمتّع باستقلالها (الذاتي) عن مركز الخلافة الذي تقتصر علاقتها به على الأمور العامة (كتسمية الولاة). كما أصبح الحكم في إفريقية وراثياً.

وعلى هذا الأساس حكمت الأسرة الأغلبية ما يزيد عن مائة عام من سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م) إلى سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٩م).

---

(١) ابن عذارى : « البيان المغرب في أخبار المغرب » (ج١/ص:٥٧).

ظهور الخوارج في إفريقية

يعرّف صاحب الملل والنحل الخوارج بأنّهم:

« كلّمن خرج على الإمام الحقّ الذي اتفقت الجماعة عليه...، سواء كان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمّة الرّاشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمّة في كلّ زمان »(١) .

ويعود ظهور نحلة الخوارج إلى حادثة التحكيم الذي اضطرّ أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام إلى قبوله.

وتحت شعار « لاحكم إلّا لله » خرج جماعة من الذين كانوا يطالبون بالتحكيم بدعوى أنّ بقاءهم قد يفسر بأنّه اعتراف وإقرار بإخضاع « كلمة الله » لحكم البشر .

هذا وقد اختلف الباحثون في علّة ظهور الخوارج إلى أكثر من رأي:

فمنهم من رأى بأنّ « الخوارج كانوا عرباً من قبائل تميم و حنيفة وربيعة، الذين كان لهم في الجاهلية شأن كبير بين العرب، وقد اعتنقوا الإسلام لإعجابهم بمبادئه الديمقراطية وأبلوا في الفتوح بلاء عظيماً، وطمعوا في مجد جديد يضيفونه إلى مجدهم التليد، ولكنهم غلبوا على أمرهم، واستأثرت أرستقراطية مكّة و المدينة فأعادوا حركة الردة ولكن في

---

(١) الشهرستاني : « الملل والنحل » (ج١/ص:١٢٩).

صورة إسلامية وبدا هذا في موقفهم من التحكيم »[1] .

ومنهم من ذهب إلى أنّ العلّة في خروجهم تكمن في تشدّدهم في الدين الناتج عن جهلهم بالإسلام وبساطة تفكيرهم. ولذلك تجدهم يسرفون في تكفير من سواهم ويوجبون جهاد من خالفهم .

وانقسم الخوارج إلى فرق كثيرة تجاوزت العشرين . من أشهرها: الإباضيّة والصفريّة والأزارقة.

والأولى : تنسب إلى عبد الله بن إباض.

والثانية : إلى زيادة بن الأصفر.

والثالثة: إلى نافع بن الأزرق[2].

وعلى كلّ، فقد استغلّ نفر من الخوارج، الفارّين من الشرق، حالة الظلم الاجتماعي و السياسي التي كانت تعيشها بلاد المغرب لاسيّما في أواخر العهد الأموي وبداية العهد العباسي.

« فتغلغلوا في صفوف البربر، وأخذوا يحرّضونهم على الثورة ضد ما يقع عليهم من ظلم ويبيّنون لهم حقوقهم في دولة المسلمين التي أصبحوا مواطنين فيها. ووجد الخوارج في هؤلاء البربر النفوس المستعدّة لتقبّل تعاليمهم التي تلاءم نزعاتهم » .

---

(١) العبادي : « صور من التاريخ الإسلامي » نقلاً عن كتاب « الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة » للحسني (ص:٤٠).

(٢) انظر « الفرق بين الفرق » للبغدادي (ص:٥٤-٥٥).

فأمّلوا في تأسيس دول خاصّة بنحلتهم يناوؤن بها سلطة الخلافة بالشرق ويقضون مضاجعها.

وفي الواقع لم تعكس صورة بلاد المغرب تحت الحكم العربي، (الأموي و العباسي)، سوى الارتباك و الاضطراب. فلقد كانت سياسة الأمويين في بلاد المغرب وظلم ولاتهم وتعسّفهم وتمييزهم (العنصري) بين السكان، وإرهاقهم لكاهلهم بالضرائب المجحفة، التي هي أشبه بالخراج والجزية التي كانت مفروضة على غير المسلمين، سبباً مباشراً في أغلب الثورات التي قامت ضدّهم في هذه البلاد.

ففي أواخر عهد الأمويين عمّت الفوضى بلاد المغرب ولم يكن للخليفة أيّة سلطة تذكر. وسيطر الخوارج على المشهد السياسي في البلاد.

ذلك أنّ بعض الولاة كانوا يتعاملون مع بلاد المغرب، بوصفهم جباة وجامعي غنائم. بل إنّ بعضهم كان يتقرّب إلى أسياده في مصر ودمشق بالإمعان في السلب والنهب وتحصيل الغنائم حتّى أنّ شدّة ولائه وإخلاصه كان يقاس بكمية ما يجمعه.

وبلغ الأمر ببعضهم إلى اعتبار البربر موالي، فكانوا يعاملونهم معاملة السيّد لعبده. بل حدث ما هو أدهى وأنكى وأخطر حيث عمد أحد عمّال الوالي[1] إلى تخميس البربر زاعماً أنّهم فيء المسلمين[2] . فكان« فعله الذميم هذا سبباً لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤديّة إلى كثير القتل في

---

(١) هو عامل ابن الحبحاب على طنجة (سنة ١١١هـ/٧٣٤م).

(٢) « البيان المغرب »(ج١/ص:٥٢).

العباد»[1].

وكان أوّل ظهور الخوارج في المغرب، كحركة معارضة ضد الظلم و الانحراف. ثمّ سرعان ما تحوّلت هذه الحركة إلى ثورة أودت بحياة عشرات الآلاف من الناس[2].

ولقد صبغ الخوارج، وكان معظمهم من زناته[3]، بحسب المستشرق (قوتيه Gautier)[4]، معارضتهم بالصبغة الدينية ليظهروا بمظهر المدافع عن الدين وعن قيمه الأصلية، وبذلك اكتسبت حركتهم بعض الشعبية وتلاءمت مع البربر الذين كانوا مفطورين على التمرّد و الثورة.

وكان لحركة الخوارج، في بلاد المغرب أبعادها الاجتماعية والسياسية الصرفة، وإن حاولوا إظهارها بمظهر ديني ومذهبي، ممّا ألبس الأمر على بعض الباحثين الذين رأوا بأن معارضتهم كانت عقائدية.

فلقد كان مذهب الخوارج في بدايته عبارة عن تمرّد أو ردّ فعل سياسي على طغيان الولاة من العرب وحيفهم واستبدادهم وسرعان ما تحوّلت حركتهم إلى نحلة أو مذهب بسبب تفاعل طائفة كبيرة من البربر معها

---

(١) « البيان المغرب »(ج١/ص:٥٢).

(٢) فلقد قتل في معركتي القرن والأصنام (سنة ١٢٤هـ) أكثر من (١٨٠ ألفا) .حسبما ورد في كتاب « القيروان » للجنحاني (ص:٤٧).

(٣) وهي قبيلة بربرية عرفت، و منذ دخولها للإسلام، ببغضها الشديد للعرب، وحرصها على تأسيس ملك أو حكم بربري.

(٤) « تاريخ إفريقيا الشمالية » (ج٢/ص:٣٥).

(لاسيما الزناتيون)، نظراً لملاءمتها لطبيعتهم ولما « فطروا عليه من نزوع إلى الثورة والتمرّد »[1].

وكانت أولى ثورات الخوارج سنة (١٢٢هـ) بقيادة (ميسرة المضغري أو المدغري)[2]، الذي زحف من طنجة وأعلن الانفصال عن الوالي ثمّ سمّى نفسه خليفة . ثمّ تعاقبت الثورات.ولم يكن الثائرون كلّهم من الخوارج . إلّا أنّ قيادتهم كانت في الغالب خارجية وهذا ما أدى إلى نتائج سلبية وعكسية وهزائم متعاقبة.

والخوارج كما غالوا في العبادة، غالوا أيضاً في الاعتقاد وتطرّفوا في أحكامهم، حتّى أنّهم حكموا بكفر مرتكب الكبيرة بل و الصغيرة أحياناً.

كما كفّر بعضهم كلّ من خالفهم من المسلمين و حكموا باستباحة دمائهم وأعراضهم فضلاً عن أموالهم. دون أن يرحموا صغيراً أو كبيراً ولا امرأة ولا شيخاً عاجزاً ولا حتّى رضيعاً .

وان تشدّدهم وانغماسهم في الدماء لعنة عليهم و على حركتهم ممّا أدّى إلى فشلهم و تسفيه مبادئهم .

ويعود السرّ في فشل الخوارج وانتكاسهم بل واضمحلالهم، إلى أسباب عديدة من أهمّها :

(١) « تاريخ إفريقيا الشمالية » (ج٢/ص:٣٥).

(٢) الذي ذهب إلى الشام،قبل الثورة،على رأس وفد للتظلم من جور والي إفريقيّة.إلا أنّ الوفد لبث أيّاما وهو ينتظر الإذن بالدخول على الخليفة (هشام بن عبد الملك)، لكن دون جدوى.ممّا اضطره للعودة إلى افريقية ناقماً...

١ – إسرافهم في تكفير من خالفهم دون أيّ دليل من كتاب أو سنّة أو عقل، واستباحتهم لدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم باسم الدين.

٢ – مبالغتهم في استعمال حقّهم في نقض بيعة من خالفهم من أمرائهم ممّا أدّى إلى حالة من الفوضى وقلّة الطاعة والولاء وكثرة الخلافات و المعارك بينهم لأتفه الأسباب وأبسطها.

٣– شبهة ارتدادهم عن الدين بسبب بروز بعض الاجتهادات المنافية لأصول الدين بينهم. والتي فسرّت بأنّها محاولة لهدم الإسلام من أساسه[١].

٤ – سفاهة أحلامهم و بساطة تفكيرهم وسذاجتهم وجهلهم المركّب بأبسط القواعد العقلية والدينية[٢].

ومجمل القول في هذا الموضوع: « لقد وقف الخوارج في ناحية ووقف المسلمون كلّهم في ناحية، واختطّوا لأنفسهم طريقاً خالفوا فيه جميع المسلمين، فلقد حاولوا تطبيق جميع تصرّفاتهم على الدين من الزاوية التي يفهمونها .

فالباحث في تاريخهم من جميع نواحيه يجدهم يتخطون الواقع والمنطق والدين و العلم في جميع تصرفاتهم وآرائهم، ولذلك كانوا منبوذين من جميع فرق المسلمين على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم، ولم يستطيعوا في جميع

---

(١) لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع.يمكن الرجوع إلى كتاب « الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة » (ص:٤٨ وما قبلها).

(٢) انظر بعض نوادرهم (لا سيما دسائس المهلب بن صفرة) :المصدر السابق (ص:٤٣-٤٦).

حالاتهم ومواقفهم المتعدّدة .. أن يربحوا عطف الشعوب، ولا أن يحقّقوا شيئاً من آمالهم وأمانيهم ومنيت حركاتهم بالفشل بعد جهاد استمرّعشرات الأعوام و السنين »[1] .

كالتي ﴿**نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا**﴾[2](*) .

(1) « الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة » (ص:٤٩-٥٠).

(2) النحل (١٦) : ٩٢.

(*) وهذا القول يصدق أيضا على الخوارج الجدد الذين أساءوا للإسلام وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

الفصل الثاني:

صفحات من تاريخ التشيّع في إفريقية

تمهيد:

قبل الدخول في صلب الموضوع يحسن التمهيد بمقدّمة نميزّ فيها بين نوعين من التشيّع:

(التشيّع العام و التشيّع الخاص).

التشيّع العام: هو التشيّع في خطوطه العريضة، ويشمل جميع من يتولّى أمير المؤمنين علي وأهل بيته عليهم السلام بصرف النظر عن جزئيات وتفاصيل هذا الولاء وحيثيّاته. فيدخل تحت هذا القسم كلّ من انتسب إلى التشيّع بسبب ولو كان واهياً أو باطلاً.

التشيّع الخاص: وهو التشيّع الحقيقي بكلّ مفرداته الخاصّة ومكّوناته الأساسيّة وعناصره المميّزة.

ويشتمل بالإضافة إلى الموالاة والمحبّة والتقديم، على كافّة جوانب التشيّع بوصفه صيغة إسلاميّة مميّزة عمل الأئمّة عليهم السلام على تأصيلها في واقع الأُمّة، بما تحمله هذه الصيغة من أبعاد عقائدية وروحية وفقهية وسياسية.

ويمكن أن نميّز بين النوعين المذكورين من التشيّع من خلال النقاط التالية:

١ – التشيّع الأوّل (أو العام) : هو تشيّع ظاهري فحسب ينظر للشكل

دون المضمون.

أما التشيّع الثاني (أوالخاص): فهـو تـشيّع مبدئي جوهري يؤكّد عـلى المضمون أكثر من اهتمامه بالشكل.

٢- كما يوجد بين الإسلام والإيمان عموم وخصوص مطلق. فكل مؤمن مسلم ولكن ليس كلّ مسلم مؤمنا.

فكذلك يوجد بين التشيّعين العام والخاص عموم وخصوص مطلق.

فكلّ شيعي بالمعنى الخاص هو كذلك بالمعنى العام ولكن ليس كل من كان شيعياً بالمعنى العام هو كذلك بالمعنى الخاص .

٣- التـشيّع الأول هـو بالدرجة الأولى عـاطفي، بيـنما الثـاني عقـلاني وواعي تلعب فيه الإرادة والاختيار دوراً كبيراً .

٤- يمكن أن تقبل ممن ينسب نفسه إلى الأوّل مجرّد قوله أو ادعاءه بينما لايمكن قبول ذلك من الثاني .

٥- التشيّع الثاني (أو الخاص) هو حركة واعية بينما الأول (أو العـام) هو مجرد شعور وانتساب.

٦- التشيّع الخاص يتسع إلى كافّة أبعاد التشيّع العقائدية والروحية والفقهية وغيرها. بينما التشيّع العام لا يهتم سوى بالعناوين الرئيسية (كالإمامة).

٧- كما أنّ الإسلام يشكلّ القاعدة الأساسية أو البنية التحتية للإيمان، فإنّ التشيّع العام يمكن أن يمهد أو يهيئ الأرضية المناسبة لظهور التشيّع

الخاص.

وعلى كلّ حال فإنّ التشيّع بقسميه (العام والخاص) ليس سوى الموالاة والمحبّة والمتابعة لأهل البيت عليهم السلام، اعترافاً بحقّهم وقدرهم وفضلهم ومكانتهم، وذلك كلّه تقرباً وامتثالاً وطاعة لأوامره تعالى.

وبالنظر لما تقدّم من تفصيل يمكن القول بل الجزم بأنّ التشيّع بمعناه الثاني (أي الخاص) لايمكن أن ينطبق سوى على طائفة واحدة من الشيعة وهي الإمامية (الاثني عشرية).

أمّا التشيّع بمعناه الأوّل (أو العام) فيمكن أن تدخل تحته جميع المذاهب والفرق (الشيعية).

كما أنّ في النصوص المروية عن أهل البيت عليهم السلام ما يؤيد هذا المنحى أو الاتجاه. فقد ورد في «بحار الأنوار» للعلّامة المجلسي:

أنّ رجلاً قال للحسن بن علي عليه السلام: إنّي من شيعتكم، فقال الحسن: «يا عبد الله، إن كنت تابعاً لنا في أوامرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها. لا تقل لنا أنا من شيعتكم، ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعدائكم»[(1)].

وقال رجل للحسين عليه السلام: يا بن رسول الله أنا من شيعتكم، فقال عليه السلام: «إنّ شيعتنا من سلمت قلوبهم من كلّ غشّ وغلّ ودغل»[(2)].

---

(1) «بحار الأنوار» (ج٦٨/ص:١٥٦).

(2) «بحار الأنوار» (ج٦٨/ص:١٥٦).

ومن كتاب أبي القاسم بن قولويه عن محمّد بن عمر بن حنظله قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « ليس من شيعتنا من قال بلسانه، وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، لكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه وتبع آثارنا وعمل بأعمالنا أولئك شيعتنا »[1].

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام: « شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كلّ محرّم »[2].

وعن نوف بن عبد الله البكالي، قال: قال لي علي عليه السلام: « يا نوف خلقنا من طينة طيّبة، وخلق شيعتنا من طينتنا، فإذا كان يوم القيامة ألحقوا بنا».

قال نوف: فقلت: صف لي شيعتك يا أمير المؤمنين فبكى لذكر شيعته وقال: « يا نوف شيعتي والله الحلماء، العلماء بالله ودينه، العاملون بطاعته وأمره، المهتدون بحبّه، أنضاء عبادة، أحلاس زهادة، صفر الوجوه من التهجّد، عمش العيون من البكاء، ذبل الشفاه من الذكر، خمص البطون من الطوى، تعرف الربّانيّة في وجوههم والرّهبانية في سمتهم، مصابيح كلّ ظلمة، وريحان كلّ قبيل، لا يثنون من المسلمين سلفاً، ولا يقفون لهم خلفاً، شرورهم مكنونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، أنفسهم منهم في عناء، والناس منهم في راحة، فهم الكاسة الألباء،

(١) المصدر السابق (ج٦٨/ ص: ١٦٤/ ح١٣).

(٢) المصدر السابق (ج٦٨/ ص: ١٦٧).

والخالصة النجباء، فهم الرواغون فراراً بدينهم، إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، أولئك شيعتي الأطيبون وإخواني الأكرمون، ألا هاه شوقاً إليهم »[1].

(١) المصدر السابق (ج٦٨/ ص: ١٧٧).

تاريخ التشيّع في إفريقية(*)

(خلال خمسة قرون)
(من بداية الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري)

يمكن تقسيم هذا التاريخ إلى ثلاثة مراحل:

الأولى : من بداية الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الثاني (للهجرة)

الثانية : من منتصف القرن الثاني إلى منتهى القرن الثالث

الثالثة: من نهاية القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس.

لكن قبل البدء تجدر الإشارة إلى بعض الملاحظات الهامة.

ملاحظات :

١ - إنّ ما يهمّنا في هذا القسم هو التشيّع بمعناه الواسع والعام ولذلك فإن للتشيّع (الفاطمي أو والإسماعيلي) حظّه أو نصيبه في هذا البحث .

٢ - لم يكن ذكري لبعض المحطات من تاريخ الفاطميين ميلاً إليهم أو دفاعاً عنهم أو تنويهاً أو إشادة بهم، وإنّما اقتضت خطّة البحث المرور بهذه المحطّات لأنّها شكّلت منعرجاً هاماً في تاريخ التشيّع في إفريقية وبلاد

(*) لا عجب أن يوجد بين الباحثين والمتابعين، من له حسّاسية مفرطة اتّجاه موضوع التشيّع في بلاد المغرب. و نصيحتي لهؤلاء جميعاً بأن يحاولوا التخلّص من التعصّب المذهبي الموروث الذي كان أحد أسباب تخلّف أمّتنا وتأخّرها عن ركب الحضارة والتقدّم، وأن ينظروا للأمور بموضوعية وتجرّد بعيداً عن الأهواء والميول.

المغرب. مع العلم بأنّ مسألة الحكم على الفاطميين أو لهم، أو بعبارة أخرى محاكمتهم، هي من الأمور الخارجة عن موضوع هذا البحث تخصّصاً وتخصيصاً.

٣- ربّما لاحظ القارئ الكريم بأنّ بعض فقرات هذا الفصل وردت بشكل متناثر دون رابط أو ناظم ينظّمها أو يجمعها. لكن عند التأمّل يتبيّن بأنّها أتت جميعها لتؤدّي دورها في سياق البحث ولو بشكل محطّات.

٤- وقع الاستشهاد بفقرات طويلة تمّ اقتباسها من المصادر الفاطمية بعناية، وذلك بغية إعطاء صورة واضحة عن الموضوع، ومختلفة عما دأبت عليه بعض المصادر الأخرى.

٥- إن إيراد بعض المقاطع الشعرية التي تمدح أو ترثي الخلفاء الفاطميين لا يعني الرضا بمضمونها، بل إنّ الهدف منه هو محاولة تحقيق غايتين على الأقلّ:

الأولى: هي جمالية ذوقية.

والثانية: إظهار قيمة وعظمة شعراء إفريقية (من الشيعة).

٦- قد يلاحظ عدم التوازن في الاهتمام ببعض المباحث وهذا مما له علاقة بموضوع البحث وخطّته.

فمثلاً بالنسبة لثورة صاحب الحمار تمّ التوقف عندها مليّاً، وبشكل مفصّل، وذلك لعدّة أسباب:

أولاً: إنّ محاولة فهم طبيعة هذه الثورة وخلفياتها ودوافعها ومراحلها

منذ نشأتها إلى أفولها ونهايتها قد يسهم في إعطاء بعض الإجابات المفيدة و الهامّة على أكثر من صعيد.

لاسيّما بأنّ منطقتنا تعاني هذه الأيام من ظاهرة الإسلام التكفيري أو ما يمكن أن نسميه « بالخوارج الجدد ».

ثانياً : إظهار دور التعصّب المذهبي في الكوارث التي حلّت بإفريقية وبلاد المغرب.

إذ إنّه ما من شكّ في أن نتائج حركة الخارجي « أبي يزيد » كانت كارثية على البلاد والعباد على السواء وعلى أكثر من صعيد.

لكن قلة قليلة فقط تعلم بالدور الكبير الذي قام به فقهاء السنّة (من المالكية) في تأييد هذه الثورة و تأجيجها بل المشاركة فيها أيضاً، ممّا أدّى إلى نتائج سلبية وردود فعل عكسية.

ثالثاً: إنّ الفرق بين المصادر الفاطميّة وغيرها في تناول موضوع هذه الثورة:

أنّ الأولى، زيادة على أنّها أكثر دقّة ووضوحاً وتفصيلاً، فهي أقرب ما تكون إلى الموضوعية .

بينما الثانية نجدها، وفي معظمها، انتقائية، بل إن بعضها لم يتخلّص من عقدة التعصّب البغيض، حتّى أنّه لم يخف تشفيّه بل وأسفه من عدم وصول تلك الثورة إلى غاياتها ومبتغاها (وهو القضاء على الخلافة الفاطمية).

٧- فيما يتعلّق « بوقعة الشيعة » حاولت إعطاء صورة أكمل عن

الموضوع وإبراز دور التعصب المذهبي في هذه الفتنة أو المأساة والجريمة.

٨- أمّا بخصوص « الزحف الهلالي » فلقد حاولت إظهاره بشكل أقرب للوضوح وبيان كيف أنه كان نتيجة لإطلاق العنان للتعصّب المذهبي البغيض ولشهوة الانتقام.

وبشكل عام حاولت تقديم صورة شبه متكاملة (ولو بانورامية) عن التشيّع في إفريقية .

(١) المرحلة الأولى

(من بداية الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الثاني الهجري)

في الواقع لا توجد معلومات دقيقة حول تاريخ التشيّع في هذه المرحلة سوى شذرات وردت بشكل متفرّق بين ثنايا بعض الكتب.

والظاهر أن التشيّع لآل البيت عليهم السلام قد دخل إفريقية مع الفاتحين الأوائل، لاسيّما وأن فيهم عدد من الصحابة والتابعين ممن لا يخفى ميلهم لعلي عليه السلام.

وعلى رأس هؤلاء: عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر.

وذلك ضمن أوّل غزوة قام بها المسلمون لافريقية سنة (٢٧هـ)، وهي المسمّاة بغزوة العبادلة السبعة[(١)(*)].

وبعدها توالت الفتوحات على إفريقية وبلاد المغرب حتّى استتبّ الأمر للمسلمين وكسرت شوكة أعدائهم ولو لحين.

وإذا كان (الفتح العسكري) قد أدّى إلى استتباب الأمن واستقرار الأمور، إلّا أنّ الفتح بمفهومه الديني، لم يترافق مع النصر العسكري، بل لم

---

(١) انظر« خلاصة تاريخ تونس » (ص:٤٤).

(*) وأمّا بقيّة السبعة فهم :عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد ابن مسعود، وعبد الله بن عمر بن الخطّاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص.

يحصل إلّا في مرحلة متأخّرة.

بل إنّ الكثير من الفتن وحركات الردّة المتتالية التي سبقت الفتح كان سببها أنّ معظم الولاة الذين تعاقبوا على إفريقية كانوا يتعاملون مع البلاد بوصفهم جامعي ضرائب وغنائم وأسلاب. أمّا أمر الدعوة والفتح (الديني) فلم يكن من اهتماماتهم، بل لم يكن يعنيهم في شيء.

وعلى كلّ حال فإنّ البربر كانوا من المسارعين والمبادرين لتعلّم مبادئ الإسلام واللغة العربية، رغم الجراح التي تسبب فيها بعض الولاة ومن ورائهم الخلافة في المشرق.

ومما ساعد على نشر الإسلام وترسخ قيمه ومبادئه قدوم بعض أهل العلم والفضل من المشرق لهذا الغرض.

ويروى أنّ من مآثر الخليفة (عمر بن العزيز) أنّه انتدب سنة (١٠٠ هـ/ ٧١٨م)، بعثة من عشرة فقهاء من أعيان التابعين وقام بإرسالهم إلى بلاد المغرب لتعليم البربر وإرشادهم. ومن بين هؤلاء العلماء:

- أبو عبد الرحمان عبد الله الجبلي، وكان رئيس البعثة .

- وإسماعيل بن عبيد المعروف « بتاجر الله » (وقد لقّب كذلك لأنه جعل كسبه لله يصرفه في وجوه البر).

- وأبو الجهم عبد الرحمان بن رافع التنوخي[1] .

ورغم أنّ اختيار أعضاء البعثات كان يتم وفق مواصفات خاصّة

(١) المصدر السابق (ص:٤٩).

(سياسية ومذهبية وأسرية)، وهذا الأمر ممّا دأبت عليه السياسة الأموية.

فقد خرج من بين هؤلاء من اجتهد في الدعوة إلى أهل البيت عليهم السلام والتعريف بفضلهم وفضائلهم ومظلوميتهم حتّى فشا ذلك الأمر بين الناس وانتشر.

دولة الأدارسة في المغرب

عند الحديث عن تاريخ التشيّع في بلاد المغرب وإفريقية لا يمكن أن نتجاوز مرحلة هامّة من هذا التاريخ ما تزال آثارها باقية إلى يومنا هذا. وهي دولة الأدارسة.

ويعود نسب إدريس الأول إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

وكان من ضمن النفر القليل الذي نجا من المجزرة التي أعقبت وقعة «فخ» قرب مكة سنة (٧٨٦م).

وكان سبب هذه الوقعة:

أنّه لمّا تولّى الخليفة العباسي (موسى الهادي) الحكم (سنة ١٦٩هـ)، وكان شرس الأخلاق[1]. فاسد المزاج، استهلّ ولايته بالتشديد على العلويين والتضييق عليهم ومطاردتهم. فما كان منهم إلا أن عادوا إلى سالف سيرتهم في معارضتهم للسلطة و التحرّك ضدّها.

وكان رجلهم في هذه المرحلة ومحطّ أنظارهم وآمالهم هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. لما كان عليه من فضل وكرم وأخلاق فاضلة، ناهيك عن نشأته في عائلة «ثورية» أو ثائرة، قضى رجالاتها أعمارهم في مناهضة الظلم والطغيان ومعارضة الانحراف

(١) «مروج الذهب» (ج٢/ص:٢٥٧).

والاستبداد، ومضى معظمهم شهداء في هذا السبيل.

وكان خروج الحسين بعد بيعة أهل المدينة له. وكان في نفر قليل لا يتجاوز عددهم (٣٠٠)، بينما كان الجيش العباسي يفوق الأربعة آلاف.

والتقى الجيشان في فخ، وهي على ستّة أميال من مكة، وانجلت المعركة عن استشهاد الحسين بن علي وثلث من معه تقريباً وانسحاب الباقين واختلاطهم بالحجّاج.

و«اعتبرت وقعة فخ من النكبات العظمى التي حلّت بالبيت العلوي، قال الإمام محمّد الجواد بن علي الرضا عليه السلام: لم يكن لنا بعد الطف ـ يعني كربلاء ـ مصرع أعظم من فخ»[1].

وكان إدريس بن الحسن بن الحسن من ضمن من نجي من هذه الوقعة الأليمة.

بعد نجاته من وقعة « فخ » خرج إدريس خائفاً يترقّب صحبة مولاه الوفي « راشد »، واتجه صوب مصر ومنها إلى بلاد المغرب.

فلم يقرّ له قرار لا في إفريقية التي ظلّت، على ما يبدو، وفية للخلافة (العباسية). ولا في المغرب الأوسط (الجزائر) الذي كان تحت سيطرة الخوارج.

وحطّ إدريس رحاله في طنجة بالمغرب الأقصى، التي كانت بعيدة عن مركز نفوذ الخلافة. وحلّ ضيفاً، ثم رئيسا فإماماً، لقبيلة « أوربة » البربرية،

(١) « ثورات العلويين »(ص:٣٠١).

التي رأت في نسبه وخصاله ومعارضته للخلافة، التي كانوا يمقتونها، ما جعلها تلتف حوله وتقتدي به.

ثمّ التحق به عدد من العرب الموالين لأهل البيتعليهم السلام والفارّيين من بطش العباسيين. فاستطاع خلال فترة قصيرة تأسيس دويلته التي استطاعت الصمود ولو لحين.

وإثر استشهاده مسموما، على يد أعوان الخليفة هارون الرشيد سنة (٧٩٤م)، خلّفه ابنه إدريس الثاني الذي جعل من مدينة فاس، التي أسّسها أبوه، عاصمة له سنة (٨٠٩م) .

وكان بحق مؤسّس « أوّل دولة للمغرب الأقصى »[١] . وتمكّن من جمع شتات عدد كبير من القبائل البربرية تحت لواء « سلطة إسلامية واحدة »[٢].

وبعد وفاته سنة (٨٢٨م) اقتسم أبناؤه العشرة إرثه. فأصبح الصرح السياسي الذي أسّسه والدهم عبارة عن إمارات ظلّت « تتقاوى على نفسها حتّى قدوم الفاطميين (سنة ٩٢١م) .

ثمّ تشبّث أعقاب الأدارسة بجبال طنجة المجاورة، حتّى سقطت هذه الدولة سنة ٩٧٤م على قوّاد قرطبة »[٣] .

لكن رغم ذلك فإنّ الإرث الحضاري والإشعاع الذي خلّفته تلك

---

(١) « تاريخ إفريقيا الشمالية » (ج٢/ص:٥٨).

(٢) « تاريخ إفريقيا الشمالية » (ج٢/ص:٥٨).

(٣) المصدر السابق (ج٢/ ص:٥٩).

الفترة لازالت آثاره ماثلة إلى العيان.

ويكفي أن مدينة فاس هي: « المدينة الوحيدة الحريّة بهذا الاسم بالمغرب الأقصى في تلك الفترة »[1].

بل وإحدى أهم المدن المغربية إلى الآن.

(١) المصدر السابق (ج٢/ ص:٥٩).

(٢) المرحلة الثانية

(من منتصف القرن الثاني إلى نهاية القرن الثالث)

وهي من أهم المراحل بل ربّما أهمّها، وسيأتي بيان ذلك مفصّلاً (إن شاء الله) .

ورد في كتاب « افتتاح الدعوة » (للقاضي النعمان)[١]، الذي يعود تأليفه إلى سنة (٣٤٦هـ / ٩٥٧م) والذي هو بحق « أهمّ المصادر الأصلية لمعرفة أمر الفاطميين بالمغرب و « المفتاح » لاقتحام ما كان مجهولاً من تاريخهم ببلادنا، واستجلاء حقيقة دعوتهم وإبراز ما شعّ من نور الحضارة في عهدهم »[٢] .

ما يلي نصّه:

« قدم إلى المغرب في سنة خمسة وأربعين ومائة رجلان من المشرق، قيل

---

(١) هو أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمّد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي. ولد في رقادة، نهاية القرن الثالث الهجري. دخل في خدمة الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م . وفي نهاية خلافة القائم عين في منصب قاضي طرابلس.

ثمّ أسندت له مهمّة قاضي قضاة المملكة في عهد الخليفة المنصور.

وفي عهد الخليفة المعزّ أصبح النعمان مؤرخاً وفقيهاً، وأسندت له مهمّة كتابة التاريخ الفاطمي، وتدوين الفقه الإسماعيلي .

(٢) فرحات الدشراوي : « افتتاح الدعوة » (ص:أ).

إنّ أبا عبد الله جعفر بن محمّد (صلوات الله عليه) بعثهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمّة، (صلوات الله عليهم) وينشروا فضلهم.وأمرهما أن يتجاوزوا إفريقية إلى حدود البربر، ثم يفترقان فينزل كلّ واحد منهما ناحية.

فلمّا صارا إلى مرماجنّة نزل أحدهما - وكان يعرف بأبي سفيان- بها بموضع يقال له : تالا.

فابتنى مسجداً، وتزوّج وكان له من الفضل والعبادة والذكر في الناحية ما قد اشتهر به ذكره.

وكان أهل تلك النواحي يأتونه، ويسمعون فضائل أهل البيت (صلوات الله عليهم) منه ويأخذونها عنه. فمن قبله تشيّع من تشيّع من أهل مرماجنّة، وهن دار شيعة، وهو كان سبب تشيعهم، وكذلك أهل الأربس. ويقال إنّه كان أيضاً سبب تشيع أهل نفطة.وذلك أن قوماً منهم كانوا يختلفون بالتمر إلى تلك الناحية،ويشترون القمح منها. وكانوا يأتونه ويستمعون منه، ويأخذون عنه، وكان له في الفضل والعبادة أخبار كثيرة.

وأمّا الثاني: فكان يعرف بالحلواني، وأنّه تقدّم حتّى وصل إلى سوجمار، فنزل منه موضعاً يقال له الناظور، فبني مسجداً، وتزوّج. وكان في العبادة والفضل والعلم علماً في موضعه. فاشتهر به ذكره، وضرب الناس من القبائل إليه، وتشيّع كثير منهم على يده من كتامة ونفزة، وسماتة، وكان يقول لهم: بعثت - أنا وأبو سفيان-، فقيل لنا: اذهبا إلى المغرب، فإنّكما تأتيان أرضاً بوراً، فاحرثاها، وكرّباها، وذلّلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر،

فيجدها مذلّلة فيبذر حبّه فيها »[1] .

ويمكن أن يستفاد من النصّ السابق ما يلي:

١ - أنّ الاهتمام ببلاد المغرب لم يكن بعيداً عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، بل كان ضمن دائرة همومهم واهتمامهم رغم الظروف الصعبة والقاسية التي كانوا يعيشونها بسبب القيود والحظر والحصار المفروض عليهم من قبل أجهزة الحكم.

٢ - أنّ التشيّع في إفريقية وبلاد المغرب سابق على الدعوة الفاطميّة.

٣- أنّ الداعيتين، المذكورين في النصّ، كانا من الإمامية وذلك لعدّة قرائن أهمّها :

- أنّهما مرسلان من قبل أحد أئمّة أهل البيت عليهم السلام وهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

- أنّهما مكلفان بنشر ظاهر علم الأئمّة عليهم السلام مما يعني ابتعادهم عن الباطن.

- أنّ مبادرتهما لبناء المسجدين المنسوبين إليهما دليل على مركزية المسجد في عقيدتهما وهذا الأمر، وإن لم يكن مختصّاً بالإمامية، إلّا أنّه بعيد إلى حدّ ما عن المذهب الإسماعيلي الذي عادة ما يركز اهتمامه على الجوانب الباطنية.

ومن القرائن الأخرى على أسبقيّة التشيّع على الدعوة الفاطميّة، النصّ

(١) القاضي النعمان « افتتاح الدعوة » (ص:٢٦-٢٩).

الوارد في كتاب« افتتاح الدعوة »، أيضاً، و المتعلّق بأحد الشعراء الشيعة، (وهو محمّد بن رمضان)،الذي يبدو أنّه كان إمامياً.

والنصّ هو التالي:

« وكان ببلزمّة رجل من أهل نفطة، كان شيعيّاً، وكان يذكر انقطاع أمر بني الأغلب، فطلب، فصار إلى بلزمّة - وكان شاعراً، يقال له محمّد بن رمضان- .

فتحرّم ببني مالك، - وكان يمدحهم – فحموه، ومنعوه .

فاتّصل بهم قتل إبراهيم [بن أحمد الأغلبي] البلزميّن، وهو عندهم، فقال في ذلك :

جلّ المصاب لئن كان الذي ذكروا ... ممّا أتتنا به الأنباء والخبر
..قل لابن أحمد إبراهيم مالكة ... عن الخبير بما يأتي وما يذر
عن المشرّد في حبّ الأئمّة من ... آل النّبيّ وخير النّاس إن ذكروا
اعلم بأنّ شرار النّاس أطولهم ... يدا بمكروههم يوما إذا قدروا
...فما اعتذارك من عار ومنقصة ... أتيتها عامدا إن قام معتذر
جرّعت ضيفك كأسا أنت شاربها ... عمّا قليل وأمر الله ينتظر
فدولة القائم المهدي قد أزفت ... أيّامها والذي أنبأ به الأثر
عن النّبيّ وفيها قطع مدّتكم ... يا آل أغلب أهل الغدر فاقتصروا
وقطع أمر بني العبّاس بعدكم ... وقطع آل بني مروان(*)إذ بطروا(1)

(1) « افتتاح الدعوة » (ص:٧١-٧٣) . والأبيات من البحر البسيط .
(*) بالأندلس.

وكان محمّد بن رمضان هذا يذكر المهدي كثيراً في شعره [وممّا قال فيه]:

سلا ظبية القنّاص أين احتلالها   فقد هاجني تقتيرها وامتذالها

لعلّ التي عنها تفرّق أهلها   فبادت مغانيها وطال اختبالها

أرقت لها من بعد أن نام أنسها   حناط فما رام الظّباء جمالها

فعد عن الدّار التي بان أهلها   وعن كيف من بعد البلى صار حالها

ـذا أوان الحق ّ قد حان حينه   ودولة أهل البغي آن زوالها

كأنّي بشمس الأرض قد طلعت لنا   من الغرب مقروناً إليها هلالها

فيملأ أرض الله قسطاً بعدله   بما ضمّ منها سهلها وجبالها

وآمن فيها ما أخاف وأتّقي   وأظفر بالزّلفى بها وأنالها[1]

---

(١) المصدر السابق (ص:٧٤-٧٥).

بداية الدعوة الفاطميّة

حوّل دعاة المذهب الإسماعيلي اهتمامهم صوب بلاد المغرب، بعد أن بلغهم حبّ أهلها لآل البيت عليهم السلام. وذلك بواسطة بعض الحجّاج الوافدين منها. فعزموا على إرسال بعض دعاتهم إليها، وذلك بداية من سنة (٢٨٠هـ).

ويبدو أنّ اختيار الدعاة وانتقائهم من الأمور التي برع فيها الإسماعيليون وتفنّنوا كما برعوا أيضاً في اختراع أساليب الدعاية ونشر الأفكار والتعاليم.

ومن أشهر دعاتهم بل أشهرهم على الإطلاق، اثنان هما:صاحب دعوة اليمن وداعي المغرب.

أمّا الأوّل فهو:

أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زدان الكوفي، وسمي «المنصور باليمن لما أتيح له من النّصر... »[1].

و« كان من أهل الكوفة من أهل بيت علم وتشيّع، وكان قد قرأ القرآن وقومه وطلب الحديث والفقه، وكان ممن يذهب إلى مذهب الإمامية الاثني عشرية... »[2].

ثمّ إنّ داعي اليمن، وعلى ما ذكره القاضي النعمان، عدل عن مذهب

---

(١) المصدر السابق (ص:٣).

(٢) المصدر السابق (ص:٣- ٤).

الإمامية بعد لقائه بعبيد الله المهدي (إمام الإسماعيلية) وكان سبب عدوله، على ما يبدو، هو حيرته أو « ضيق صدره» من مسألة غيبة الإمام الثاني عشر[1].

فتلقّاه عبيد الله ورأى فيه من النباهة والعلم والفضل والعزم ما جعله يعجب به، ويعرّفه بنفسه وبأنّه « إمام الزمان »، قبل أن يرسله إلى اليمن ليكون صاحب دعوته هناك. ومما قاله له:

« البيت يماني والركن يماني والدين يماني والكعبة يمانية ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره إلّا من قبل اليمن... اعزم على اسم الله، فو الله ليظهرنّ الله أمرك ولتصدرنّ الدعاة آفاق الأرض عنك... »[2].

و« قال له فيم عهده إليه: إن لقيت من هو ألحن بالحجّة منك، فانغمس له في الباطن.

قال: وكيف ذلك ؟

قال: تقطع الكلام، وتريه أنّ تحت ما تريد الجواب به باطناً لا يمكنك ذكره، فتحتجز منه إلى أن يتهيأ الحجّة عليه... »[3][*].

---

(١) المصدر السابق (ص: ٦– ٧).

(٢) المصدر السابق (ص:٨– ١١).

(٣) المصدر السابق (ص:١٢).

(*)الظاهر أنّ هذا هو عين الأسلوب الذي اتّبعه عبيد الله المهدي مع داعية اليمن حين سأله عن غيبة الإمام وعن مسائل أخرى..؟

إذ أنّه تعذّر بالباطن وتمثّل بقصّة موسى مع الخضر عليه السلام وكيف أنّه لم يستطع معه صبراً لأنّه أعلم منه بالباطن.

وكان لأبي القاسم، صاحب دعوة اليمن، شأناً عظيماً وفضلاً كبيراً على المذهب (الإسماعيلي) برمّته، فله ينسب ظهور أمر الدعوة في اليمن، وانتشارها.

كما أنّه « فرّق الدّعاة في نواحي اليمن، وإلى سائر البلدان، إلى اليمامة، والبحرين، والسّند، والهند، وناحية مصر والمغرب... »[1].

وأمّا الثاني فهو:

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمّد بن زكريا، كوفي الأصل[2].

وجاء في « الافتتاح »:

أنّه كان « ذا علم، وعقل، ودين، وورع، وأمانة، ونزاهة. وكان أكثر علمه الباطن، ونظر في علم الظاهر نظراً لم يبالغ فيه. فلمّا تمكنت الدعوة باليمن، وظهر أمرها، أرسل الإمام أبا عبد الله إلى أبي القاسم داعي اليمن. فكتب إليه في أنّ يبصّره ويرشده ويلقّنه.

وقيل لأبي عبد الله : امتثل سيرته، وانظر إلى مخارج أعماله ومجاري أفعاله فاحتذها، وامتثلها واعمل عليها، ثمّ اذهب حيث شئت فادع.

وقيل : بل حدّ له المغرب وأرسل إلى بلد كتامة، وهذا أثبت الأمرين. فصحبه إلى أن وصل إلى بلد كتامة، فأحكم أمره... »[3].

---

(١) المصدر السابق (ص:١٨).

(٢) وفي الكامل لابن الأثير: أنّه صنعاني.والأوّل (أي كونه كوفياً)،هو الصحيح.كذا ذكره المقريزي في « الاتعاظ.. »،وابن خلدون في تاريخه.

(٣) المصدر السابق (ص:٣٠- ٣١).

على أنّ أبا عبد الله أظهر أمره لكتامة على أنّه صنعاني فاشتهر عنه ذلك حتّى أنّ أعداءه كانوا يلعنونه من على المنابر بهذا الوصف.

وهكذا فإنّ أبا عبد الله يعدّ، وبلا شك، من أشهر دعاة المذهب الإسماعيلي، وأحد أهمّ من قام بنشر المذهب وترويجه.

ويرى الدكتور الجنحاني، أنّ أبا عبد الله :

« كان زعيماً سياسياً من أذكى وأمهر ما عرفه المغرب، في العصر الوسيط، وكان في نفس الوقت قائداً عملياً ناجحاً.

اجتمعت في داعية الفاطميين أهمّ ميّزات القائد السياسي الحامل لمذهب جديد،وقد اتبع أبو عبد الله في المغرب أساليب سياسيّة، يمكن أن نقارنها اليوم، بأحدث وأنجح الأساليب في نشر إيديولوجية ما»[1] .

ولقد تمّ إرسال أبي عبد الله إلى المغرب، بعد أن تأكّد لقادة الدعوة (الإسماعيلية)، أمران، هما :

١ – خصوبة بلاد المغرب و قابليّتها لانتشار مذهبهم، و...

٢ – قدرة داعيتهم و كفاءته لأداء المهمّة الموكّلة إليه . وهي نشر الدعوة بين قبائل البربر، لا سيّما كتامة، وتكوين قوّة سياسيّة وعسكريّة، « هدفها: تأسيس دولة فاطميّة في المغرب، كمرحلة أولى، لتأسيس خلافة فاطميّة يمتدّ نفوذها إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي القديم »[2] .

---

(١) « القيروان » (ص:٨٤).

(٢) « القيروان » (ص:٨٤).

علـى أنّ بعـض البـاحثين يـرى بـأنّ دعـوة أبي عبـد الله لم تكـن دينيّـة فحسب، بل كانت سياسيّة تعتمد على تحليل الأوضاع والظروف السياسيّة القائمة ودراستها[1].

نبذة عن سيرة أبي عبد الله (من خلال كتاب الافتتاح) :

كـان لأبي عبـد الله، داعيـة المغـرب، مـن الخـصال الفاضـلة والـسجايا الحميدة ما جمع حوله، وخلال فترة قصيرة، عموم كتامة . التي دخل أرضها بداية سنة (٢٨٠هـ) .

واشتهر أمره وسمّي« المشرقي، لقدومه من المشرق. ثمّ نسب إليه كلّ من بايعه، ودخل في دعوته، وسمّوا المشارقة، وإذا دخل الواحد منهم في ذلك قيل: تشرّق.

ورأى الناس من صلاح أحوال من دخل دعوته وتورّعهم عما كانوا يعرفونهم عليه، وإقبالهم على الصلاة والصيام، وأعمال البرّ، ما رغبهم في الدخول في ذلك »[2] .

« فلـم يـر النـاس، ولا انتهـى إلـيهم أنّ قومـاً كـانوا مـن صـلاح الحـال والاستقامة على مثل ما كان عليه أصحاب أبي عبد الله... ثـمّ كـان مـن نزاهته وصيانته، وعفته، وأمانته فيهم ما علموه وعظم في أعينهم من أجله، أنّه أقام فيهم مدّة طويلة لا يذكر امرأة ولا يلوي على ذكرها.

---

(١) « القيروان » (ص:٨٤).

(٢) « افتتاح الدعوة » (ص:٧٩).

ومن ذلك أنّه عاملهم بالوقار، والتهيّب، فلم ير فيهم ضاحكاً ولا ممازحاً، ولا يسمع يقول هجراً، ولا عبثاً، ولا باطلاً. ولم يكن مع ذلك بالعبوس المنقبض ولا بالطّلق المنبسط، ولكنّه كان متوسّطاً بين الأمرين : لا يبسطهم فيبطرهم إن نطق بحق ّ ، وصواب وحكمة، وإن صمت، صمت بوقار، وحلم وهيبة، ولا ينقبض عنهم، فيوحشهم وينفرهم. وكان يشاورهم، ويخليهم ويسرّ إليهم، ويدنيهم على قدر مواضعهم واستحقاقهم، ويقدّم أهل الدين والسوابق الصالحة منهم.

ومن ذلك أنّه كان يتعاهدهم بالوصايا والتذكرة، ويكرّر عليهم المواعظ والحكمة، ويجمع لذلك، ويجلس لهم أكثر أيّامه، ويأمر من أطلقه من الدعاة بذلك، ويربّيه عليه. فكانت أيّامهم أكثرها مشاهد، وسماع مواعظ.

فكان أبو عبد الله سبباً من الخير سبّبه الله لهم، وباباً من البركة فتحه الله عليهم، وسعادة ساقها إليهم، وبصّرهم به من الجهالة، وهداهم من الضّلالة، وأوسع به عليهم في النعمة »[1] .

ثمّ إنّ أبا عبد الله استطاع وخلال فترة وجيزة تحقيق إنجاز عسكري كبير انتهى بالقضاء على دولة بني الأغلب بعد معارك طاحنة أبلى فيها البربر (الشيعة) البلاء الحسن.

وكان دخول أبي عبد الله إلى إفريقية فاتحاً « يوم السبت غرّة رجب سنة٢٩٦ ست وتسعين ومائتين... »[2] .

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٢٢-١٣٢).

(٢)المصدر السابق (ص: ٢٤٥).

ويذكر القاضي النعمان في« الافتتاح » أنّه لما استقر أبو عبد الله برقادة أمر منادياً فنادى بالقيروان بالأمان التام للعامّة ورجوع من كان تنحّى عن وطنه إليه فرجع الناس إلى أوطانهم وقرّوا في قرارهم.

وأخرج العمّال إلى البلدان ونادى فيها بالأمان وطلب أهل الدعارة والفساد فأنكأهم عقوبة فسكنت الدّهماء وأمنت السبل ومشت السيّارة وخاف أهل الأذى والدّعارة وقتلوا حيثما ثقفوا وطلبوا أين توجّهوا. وأمر بقطع شرب المسكر وكلّ ما ظهر من المنكر ونشر العدل وأذاعه، واستوت الأمور واعتدلت، واشتدت المملكة وقويت.. »[1] .

« ولما حضرت الجمعة أمر بإقامتها وقدّم خطيباً بجامع رقّادة وخطيباً بجامع القيروان وكتب بذلك إلى البلدان. وأمر في الخطبة بالصلاة على محمّد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين علي وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين. وأمر يوم دخل بالأذان (بحي على خير العمل)»[2].

وكان نسخة الكتاب الذي كتب إلى البلدان بالأمان:

« بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على رسوله محمّد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين.

أمّا بعد فالحمد لله النّاصر لأوليائه لما سبق لهم من وعده، وخاذل أعدائه بعد الإعذار إليهم بوعيده، الذي لم يجمع بين أنصارالحق ّ وأتباع

---

(١) المصدر السابق (ص:٢٤٦-٢٤٧).

(٢)المصدر السابق (ص: ٢٤٩-٢٥٠).

الباطل في موطن من مواطن التحاكم إلّا وهب لأنصار دينه النصر وأيّدهم بالعزّ وأنزل بأعدائهم البأس والنقمة والدمار والهلكة إظهاراً لفضل منزلة الحق عنده وإذلالاً لمن عند عن سبيله و صدف عن حقّه حمداً يرضاه ويتقبّله ويحسن المزيد عليه من فضله.

وإنّي لم أزل بحمد الله ونعمته مذ قمت لله بواجب حقّه ذابّاً عن دينه طالباً ثأر أوليائه، آمر بالمعروف وأدعو إليه، وأنهى عن المنكر وأحذّر منه.

أحيي من أماته الظالمون من معالم الحق وأجاهد أعداء الله المارقين المغتصبين حق آل رسول الله ﷺ...

وأنتم – معشر أهل بلد كذا– داخلون فيما أدخلتهم فيه وصائرون في الأمان والحفظ والحوطة إلى ما أمرتهم إليه ما قبلتم ذلك، وما أقبلتم عليه، وعرفتم فضل النعمة عليكم به.

فاسمعوا، وأطيعوا، وأثبتوا، وأجيبوا، واحمدوا ربّكم على ما وهب لكم ودافع عنكم، وكونوا في الحق أعواناً وعلى إماتة الباطل أنصاراً، تظفروا بحظكم . واشكروا الله على إنعامه عليكم يدم لكم ذلكم ويزدكم . ولا تكفروا فيوقع بأسه بكم فإنّه يقول وهو أصدق القائلين: (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)... »[1] .

(١) المصدر السابق (ص:٢٥٣-٢٥٦) ، إبراهيم (١٤): ٧.

(٣) المرحلة الثالثة

(من نهاية القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس)

وأهمّ الأحداث في هذه المرحلة هي التالية :

١ – قيام الدولة الفاطمية.

٢ – ثورة صاحب الحمار .

٣ – انتقال مركز الخلافة الفاطمية إلى مصر .

٤ – زحف بني هلال .

وسنعالجها (إن شاء الله تعالى) تباعاً بشيء من التفصيل مع الحرص على الأخذ من المصادر الفاطمية وذلك لأنّ الصورة التي تعطيها هي أشدّ وضوحاً وأكثر دقّة وتفصيلاً.

قيام الدولة الفاطمية (من خلال كتاب الافتتاح):

من هو عبيد الله المهدي ؟

هو مؤسّس الدولة الفاطمية و أوّل خلفائها.ولد في « السلميّة » في سوريا سنة٢٥٩هـ ومات ودفن في المهديّة سنة٣٢٢هـ.و يعود نسبه إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

نشأ وترعرع في « السلميّة » بالشام، التي كانت تضم أئمّة المذهب الإسماعيلي، ومنها يصدر الدعاة إلى سائر الأقطار.

ويعتبره الإسماعيليون المستعليّيون (البهرة)، بفرعيهم السليماني والداوودي، وهكذا الدروز، إماماً مستودعاً، أي بمعنى إماماً وكيلاً أو وصياً أو نائباً للإمام الأصيل لفترة زمنية محدودة، وليس له صلاحية توريث الإمامة لأحد من أولاده،مثله مثل (الإمام الحسن بن علي عليه السلام).

بينما يعتبره الإسماعيليون النزاريون إماماً مستقرّاً، وصاحب نصّ ثابت، فهو كالإمام (الحسين بن علي عليه السلام)، له صلاحية توريث الإمامة لمن يقع اختياره عليه من أولاده.

خرج عبيد الله من « السلميّة » سنة (٢٨٩هـ/ ٩٠٢م) قبيل سقوطها بيد القرامطة بزمن قصير. وتوجّه صوب مصر ومنها إلى بلاد المغرب.

ويبدو أنّ اليمن الواقع، في معظمه، حينذاك بيد دعاة الإسماعيلية (وعلى رأسهم ابن حوشب)، لم يكن ليغري عبيد الله ولا ليرضي طموحه، على أكثر من صعيد:

فعلى الصعيد الاجتماعي والسياسي، كان اليمن يشكو من بعض الاضطرابات التي تعصف به بين الحين والآخر .وذلك بسبب نسيجه القبلي المعقّد و ازدواجية الولاء التي كانت تميّز غالبية سكّانه. حيث تتوزّعهم الأهواء بين الولاء للقبيلة و الولاء للمبدأ والعقيدة.

وأمّا على الصعيد الاقتصادي، فإنّ محدوديّة الموارد ما كانت لتساعد على تأسيس دولة قويّة قادرة على مواجهة التحدّيات والأخطار و الوقوف أمام الأعاصير.

ولهذه الأسباب ولغيرها، فضّل عبيد الله، بلاد المغرب البعيدة،على

اليمن القريب، لاسيّما بعدما وصلته أخبار أبي عبد الله وفتوحاته، كما شجّعه على ذلك ما بلغه من أنباء عن إخلاص أهل المغرب وحبّهم لأهل البيت عليهم السلام.

وبعد رحلة طويلة مضنية قادته في البداية إلى سجلماسة، دخل عبيد الله المهدي القيروان مبشّراً بعهد جديد سمّاه العهد الفاطمي (نسبة إلى فاطمة الزهراء عليها السلام التي يدعي الانتساب إليها).

وبذلك دخل المغرب حقبة جديدة لازالت آثارها ماثلة للعيان إلى يومنا هذا.

وكان عمر المهدي حين دخوله إفريقية، منتصراً، سبعة وثلاثون سنة. وكان وصوله إليها « يوم الخميس لعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومائتين... »(١).

فدعي له بالخلافة وأنشده الشعراء ومدحوه.

وأوّل من مدحه من شعراء إفريقية « سعدون الورجيني » الذي يعدّ من فحول شعراء إفريقية في العهد الأغلبي، وهو من بلاد الجريد. وقد مدحه بأبيات، استهلّها بما يلي:

قف بالمطيّ على مرابع دور ليست معالمهن ثوب دثور
لعبت بها حتّى محت آثارها ريحان ريح صبا وريح دبور

إلى أن انتهى إلى قوله:

(١) المصدر السابق (ص:٢٩٠).

هـذا أمـير المـؤمنين تضعـضعت | لقدومـه أركـان كـلّ أمـير
هـذا الإمـام الفـاطميّ ومـن بـه | أمنـت مغاربها مـن المحـذور
والـشرق لـيس لـشامه وعراقـه | مـن مهـرب مـن جيـشه المنـصور
حتّـى يفـوز مـن الخلافـة بالمنـى | ويفـاز منـه بعدلـه المنـشور

ثمّ مر فيها إلى ذكر أبي عبد الله :

يـا مـن تخـيّر مـن خيـار دعاتـه | أرجـاهم للعـسر والميـسور
حتّـى اسـتمال إليـه كـلّ قبيلـة | ورمـى إليـه قيـاد كـلّ عثـور
أشـبهت موسـى وهـو حيتـك التـي | تلقـى فتلقـف كـلّ إفـك سـحور[1]

وهكذا دانت لعبيد الله المهدي جلّ بلاد المغرب . فأقام دولته المسمّاة بالفاطمية على أنقاض دول آخرين.

قال ابن الأثير في تاريخه:

« وزال ملك بني الأغلب وملك بني مدرار الذين منهم اليسع، وكان لهم ثلاثون ومائة سنة منفردين، وزال ملك بني رستم من تاهرت[*] ، ولهم ستون ومائة سنة تفرّدوا بتاهرت، وملك المهدي جميع ذلك... »[2] .

ثمّ سرعان ما عصفت بهذا الكيان الناشئ أولى الخلافات السياسية وإنّ اتّخذت، في ظاهرها، طابعاً دينياً مذهبياً.

---

(١) المصدر السابق (ص:٣٠٠-٣٠٢) .والشّعر من الكامل.

(*) تاهرت هي وهران حالياً بالجزائر.

(٢) « الكامل في التاريخ » (ج٨/ ص:٣٨).

فلقد اجتمع أبو عبد الله، بتحريض من أخيه أبو العباس، ببعض وجوه كتامة، وتذاكروا في أمر عبيد الله المهدي.

فأخبرهم أبو عبد الله بأنّه ربّما اشتبه في المهدي وأنّه ليس الإمام المنتظر. وممّا قاله لهم، بحسب بعض المصادر:

«أخشى أن أكون قد غلطت فيه وعرض لي ما عرض لإبراهيم الخليل إذ جن عليه الليل فرأى كوكباً، فقال هذا ربّي »[1] .

وعالج عبيد الله القضية بدهائه السياسي المعروف، « فسمّى عدداً من زعماء المعارضة السريّة في مناصب مختلفة بعيدة عن رقادة، ليشتت شملهم، ويتمكن من التخلص منهم »[2] .

ثم أمر باغتيالهم الواحد تلو الآخر، ومن بينهم أبي عبد الله وأخيه أبي العباس.

وهكذا « كان مصير أبي عبد الله الداعي – الذي كان من أدهى وأذكى زعماء المذهب الفاطمي – على يد الشخص الذي كرس حياته للدعوة إليه وخدمة مذهبه »[3] .

وحاله في ذلك شبيه بحال أبي مسلم الخراساني .

وكان لمقتل أبي عبد الله نتائج سياسية سلبية على حياة الدولة الناشئة .

---

(١) « البيان المغرب في أخبار المغرب » (ج١/ص:١٦١).

(٢) « القيروان » (ص:٨٩).

(٣) المصدر السابق (ص:٩٠).

فلقد كان معروفاً و محبوباً بين الناس، لاسيما أهل كتامة، أكثر من المهدي نفسه.

على أنّ الفتن التي أشعلها مقتل أبي عبد الله وأصحابه لم يقتصر أثرها على قبيلة كتامة فقط. بل اتسع مداها و تأثيرها ليعم سائر قبائل البربر(*).

واستطاع عبيد الله بحنكته ودهائه، استمالة وجوه كتامة من جديد بعد نفورهم منه وإعراضهم عنه بل وثورتهم عليه إثر مقتل أبي عبيد الله الذي كان وجيهاً عندهم. فأذعنوا له وأطاعوه وأخلصوا له ولبنيه من بعده.

وكذلك كانت حال جلّ البربر و شيمهم مع من ينتسب لأهل البيت عليهم السلام، أو يمتّ لهم بسبب، سواء أدانوا، (أي البربر)، بالتشيّع أم بقوا على تسنّنهم.

تأسيس المهدية :

لم يطمئن المهدي لبقائه في القيروان بسبب ولاء أهلها القديم للخلفاء، ومناصبة بعضهم العداء لأهل البيت عليهم السلام بسبب هوى أموي قديم أذكته السياسة وأنعشته الصراعات المذهبية.

فخرج عبيد الله سنة (٣٠٠هـ / ٩١٥م) « في طلب موضع لبناء مدينة

(*) وهذا ما يمكن لمسه في حركتين على الأقل:

أولاً: في ثورة الخارجي أبي يزيد صاحب الحمار، التي ما كانت لتنتشر لولا الأجواء السلبيّة التي أشاعتها الفتنة المذكورة.

ثانياً: في مباركة البربر وتأييدهم لاستقلال المغرب عن الخلافة الفاطميّة بعد انتقال مركزها إلى مصر.

تؤويه وتصون أهل بيته .

فأتى تونس وقرطاجنة وطاف الساحل التونسي إلى أن وقع اختياره على شبه جزيرة بين سوسة وصفا قس، فأمر ببناء مدينة في ذلك الموضع سمّاها المهدية نسبة إليه.

ولمّا تمّ تشييدها وتحصينها بأقوى ما يكون، انتقل إليها بمن معه سنة (٣٠٥هـ/ ٩٢٠م) مقرّاً لدولته »[١] .

وكان الهدف من بناء المهدية:

أولاً : « الابتعاد عن مركز إلى مذهب، ومأوى خليط من الناس من الصعب الاطمئنان إليهم نهائياً »[٢] .

ثانياً : الخشية من الأخطار التي قد يمثّلها زحف القبائل البربرية، لاسيّما من جبال الأوراس، على العاصمة .

إذ « أنّ اتّخاذ عاصمة على ساحل البحر متحصّنة بحصون منيعة من ناحية البرّ يجعل هذا الخطر أضعف بكثير من الخطر الذي يمكن أن يهدّد رقادة... »[٣] .

ثالثاً : إنّ اختيار المهدي لمكان عاصمته الجديدة لم يكن بعيداً عن برنامجه في إنشاء أسطول حربي « يحفظ للفاطميين السيادة المطلقة في حوض البحر الأبيض المتوسّط، ويستعمله في غزو مصر »[٤] .

---

(١) « خلاصة تاريخ تونس » (ص:٧٠) .

(٢) « القيروان » (ص:٩٢).

(٣) « القيروان » (ص:٩٢).

(٤) المصدر السابق (ص:٩٣).

ولقد أثبتت البحوث الأثرية « أنّ الطابع الذي ميز المهدية منذ تأسيسها هو طابع مدينة حربية تعتمد على أسطول حربي بني له فيها حوض لبناء السفن خصّيصاً وهذا ما يعلّل قلّة القصور فيها المعدّة لحياة مترفة، فهي مدينة إستراتيجية لخدمة هدف معين، أكثر منها عاصمة أمراء كما كان الشأن في مدينة رقادة مثلاً ... »[1] .

وبعد حياة حافلة بالانجازات (العسكرية و السياسية) توفّي المهدي سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٤م) عن عمر يناهز الثلاث وستين سنة.

ومن أروع ما قيل في رثائه، قصيدة للشاعر « عثمان بن سئيل الصيقل، وهو من شيعة القيروان، جاء فيها:

وهت مرر الصبر فانحلّت	ورثّت عرى الحزم فاجتثّت
وأي سبيل إلى سلوة	وأوعية الدمع قد فضّت
وكيف العزاء وقد خدّدت	خدود الخرائد واربدّت
جنود التجلّد قد ولّت	وألوية الوجد قد صفّت
وداهية قد أتت فجأة	فمنها المسامع قد سكّت
ألمّت فلم أر لي مذهبا	كأنّ المسالك قد سدّت
فأومأت أرمق نحو السماء	وأرنو إليها هل انشقّت
ألا ليت شعري أهل ميّزت	ـف المنيّة من بزّت...[2].

(١) المصدر السابق (ص:٩٣).

(٢) إدريس القرشي : « عيون الأخبار وفنون الآثار » (ج٥ / ص: ٧٧- ٧٨).

القائم بأمر الله :

تولّى الخلافة إثر وفاة أبيه عبيد الله المهدي سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٤م) واسمه نزار ولقّب نفسه « بالقائم بأمر الله ».

« واعتنى من أوّل ولايته بشأن الأسطول فجهّز سفناً عظيمة شحنها بالجنود وسيّرها بقيادة يعقوب بن إسحاق إلى بلاد الروم، فافتتح مدناً وقلاعاً عديدة منها جنوه، وغزا سردا نية وكورسيكا وغيرهما، وبذلك علا صيت المسلمين في البحر الأبيض المتوسّط وخشيهم نصارى السواحل...»[١].

وأثناء ولايته واجه القائم ثورة كادت تعصف بالفاطميين وتقتلعهم من بلاد المغرب.

ثورة صاحب الحمار:

« أبو يزيد » صاحب الحمار، واسمه مخلد بن كيداد،زناتي من منطقة الجريد (توزر) بجنوب تونس.

ولد سنة (٨٨٥م) بالسودان (بإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى)، حيث كان أبوه يتعاطى التجارة.

وكان « هذا الأعرج ذا مزاج عجيب كأنه فطر على الشغب فتمكّن بفضل دعايته المحمومة من إثارة المغرب وجعل الدولة الفاطمية على قاب قوسين أو أدنى من السقوط، ولم يكن جاهلاً، قال ابن حماد « فلمّا كبر

---

(١) « خلاصة تاريخ تونس » (ص:٧١).

وشبّ قرأ مذهب الإباضية ففقه فيه ومهر في الجدل عليه ». وبطبيعة الحال انتسب إلى النّكارة وهم أشدّ خوارج المغرب تقشّفاً وتطرّفاً »[1] .

وكان يعلّم الأطفال القرآن في «توزر»، ثمّ رحل نحو«تاهرت» (معقل الخوارج)، حيث بدأ دعوته ضدّ الفاطميين.

« ولم تنتشر دعوته إلّا بعد موت المهدي، فكان يجوب المغرب الأوسط ممتطياً حماره الأشهب مصحوباً بأبنائه الأربعة وزوجته.. لابساً كعامة الشعب جبّة بسيطة، ضارباً المثل بأشدّ ألوان الزهد، محرّضاً البربر على طرد الفاطميين وتعويضهم بمجلس من الشيوخ، أي من الفقهاء، حسب الطريقة المعمول بها ولا شك، في دول الخوارج... »[2] .

ولم تحض دعوته في البداية بالاهتمام سوى في الأوراس، حيث معاقل «زناتة».وكان لهذه الدعوة أسبابها وعواملها الاجتماعية وان كانت شعاراتها دينية،« كما اقتضت طبيعة تلك العصور»[3].

على أن حركة أبي يزيد ودعوته تدخل ضمن حركة الخوارج التي احتلّت مكانة خاصّة في تاريخ بلاد المغرب.

ويرى الدكتور الجنحاني :

أنّ مؤرّخ الحركات السياسية والدينية في المغرب الإسلامي تعترضه

---

(١) « تاريخ إفريقيا الشماليّة » (ج٢/ص:٨٢).

(٢) المصدر السابق (ص:٨٢-٨٣).

(٣) « القيروان » (ص:٩٤) .

شخصيّتان لامعتان ومختلفتان كلّ الاختلاف :

شخصية أبي عبد الله الشيعي(*)، ثمّ شخصية معلّم الصبيان بقرية تقيوس بالقرب من مدينة توزر : أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الزناتي.

كان أبو يزيد زعيماً ذكياً، وقائداً مقداماً، وكان خارجي المذهب متطرّفاً... [و] كان يلقب نفسه بشيخ المؤمنين وأخفى مذهبه الحقيقي على الجماهير الشعبية، وكان يعلن لمّنجاء يدعو للحق ، وبذلك اكتسب ثقة علماء السنة، وفقهاء القيروان. قال ابن عذارى « ولم يعلم الناس مذهبه فرجوا فيه الخير و القيام بالسنّة»(١) .

وكان لأبي يزيد ميزات الزعيم الخارجي : داعية ثوري، حياة متقشفة « يلبس الصوف ويركب الحمار ويأكل الخشن ».

ولمّا رأى أبو يزيد إمكانية نجاح دعوته غادر توزر، واتّجه إلى مناطق القبائل البربرية، إلى تاهرت، ثمّ إلى جبال الأوراس، تلك المناطق التي كانت الضمان الوحيد لنجاح أية حركة جديدة، وبدأ أبو يزيد يتنقل من قرية إلى أخرى، ولمّا كثر أنصاره بدأ يغزو المدن، ويهاجم جيش الفاطميين، وكان يبيح لجيشه ارتكاب جميع الجرائم في المدن التي يحتلّونها... »(٢) .

(*) وهذا قياس مع الفارق لأنّ أبي عبد الله مشرقي كوفي شيعي.وهو ليس إفرازاً للساحة المغاربية المليئة بالمتناقضات.

(١) « البيان المغرب في أخبار المغرب » (ج١/ص:٢٢٤).

(٢) « القيروان » (ص:٩٤-٩٥).

ثورة أبي يزيد صاحب الحمار

(من خلال المصادر الفاطمية)

اجتمع لمخلد « الدجال » على تعبير القاضي النعمان، خلق عظيم من لفيف الناس وطغامهم، وطمعوا في « باغاية » حين انصرف جموع كتامة عنها.

وكاتب أبو يزيد من حول « قسطيلية » من البربر كبني واسين وغيرهم يأمرهم بحصار قسطيلية، فحاصروهم ثمّ زحف إلى باغاية.

ومن بعدها إلى « تبسا » وعاث فيها قتلاً ونهباً وإفساداً.

ورحل إلى « مرماجنة » فلقيه رجل من أهلها يقال له ابن خلاف فاستأمنه وأهدى إليه حماراً أشهب . وكان الدجّال يركب ذلك الحمار و به سمي صاحب الحمار.

ثمّ أمر أبو يزيد أبا سليمان بن خيران الزويلي، وهو رجل كثير الشرّ من مزاته، وأمره أن يقتل من وافاه على الطريق، ويسبي ويحرق كلّ منزل يمرّ به ليرهب بذلك كتامة الذين « بدقة ».

وانهزمت كتامة وتمادوا إلى القيروان.

وغلب صاحب الحمار على « دقة ».ووجّه جماعة من أصحابه إلى «سبيبة» فغلبوا عليها. وصار « الدجّال » إلى «الأربس» فغدر بأهلها بعد أن

أعطاهم الأمان.

ودخل البربر « الأربس » وتغلّبوا عليها . وقتلوا المشارقة وأتباع السلام وكثيراً من أهل الأربس ونهبوها وأحرقوا كثيرا منها بالنار.

واجتمع لأبي يزيد خلق عظيم من كلّ ناحية من كلّ داعر ومفسد، وقاطع طريق، وسارق ومارق، وتوجه إلى باجة. فدخلها وأعمل فيها السيف وأحرق دورها، وحكم على أهلها بالقتل والسبي وفعل بهم الأفاعيل[1].

وكان في القيروان يومها خليل بن عدنان التميمي من قبل القائم ليحفظ الأمن بها ويدافع عنها.

لكن بدا منه من سوء الحكمة والتدبير والاستهانة بالعدو ما تسبب في سقوط القيروان بيد أبي يزيد وما رافق ذلك من مآس وكوارث كادت تودي بالخلافة الفاطمية.

قال صاحب كتاب عيون الأخبار:

« وظهر منه [أي خليل] سوء التدبير لما جرت به أحكام المقادير، وأراد الله التمحيص للمؤمنين ليزداد عتوّاً كلّ كفور »[2] .

وذلك أنّه « قد كاتب جماعة ممّن مع أبي يزيد، ووعدوه بقتل أبي يزيد ورجا ذلكواستخف بأمره.

---

(١) « عيون الأخبار.. » (ج٥/ص:٨١-٨٦).

(٢) المصدر السابق (ج٥/ص:٨٨-٨٩).

...ولم يكن في خليل تخلّق ولا سوء تدبير في ما قبل ذلك..، ولكنّها إذا جاءت بأمر الله المقادير، عمي لها الناظر البصير، وجهل عواقبها العروف الخبير... »[1].

واستولى أبو يزيد على القيروان وحكم في أهلها السيف قتلاً ونهباً وسبياً.

ثمّ « دخل البربر مدينة سوسة بالسيف، وانتهبوها، وقتلوا رجالها، وسبوا نساءها، وأخربوا منازلها... وأخلوا الأقاليم بإفريقية، فلم يبق سقف مرفوع، ولا مهاد موضوع...

وجمع البربر من السبايا المسلمات وأموال الناس التي اغتصبوها وانتهبوها إلى معسكر « الدجّال » وإلى القيروان، ثمّ إلى نواحيهم ما لا يحصى عدده، ولا يدرك أمده.

وكانت ظلمة عمّت المغرب ومحنة شملت على كلّ مسلم من كل بعيد ومقترب »[2].

ثمّ توجّه أبو يزيد صوب المهديّة وضرب حولها الحصار.

وفي تلك الأثناء أنشأ « القائم » خطبة يحرّض فيها المؤمنين على القتال وأمر « المروذيّ » قاضيه بالمهدية أن يقرأها عليهم، يقول فيها:

بعد حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على النبي محمّد وعلى آله الطاهرين.

---

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:٨٨-٨٩).

(٢) المصدر السابق (ج٥/ص:١٠٧-١٠٨).

أيّها الناس إنّ هذا اللعين النّكاريّ قد استشرى أشره واستوبأ مرتعه، وحملته الأماني الغرارة والنفس التي هي بالسوء أمّارة، على أن غمط نعمة الله – تعالى – عليه وسوّل له الشيطان، الذي هو قرينه، أن لا غالب له.

وإنّما أرخى له أمير المؤمنين في زمامه ليعثر في فضل خطامه، ولعنه الله لعناً وبيلاً، وأخزاه خزياً طويلاً، وصيّره إلى نار تلظّى ﴿ **لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾[1]، وقد علمتم يا معشر كتامة ما مضى عليه آباؤكم، وقدماء أسلافكم من لزوم الطاعة والاعتصام بحبلها، والتفيء بظلّها، والمجهدة في الله حقّ جهاده، وكتّم خبيئة الله لهذا الحقّ المحمّدي الفاطمي المهدي حتّى أظهره وأعلاه، وجعل لكم فخره وسناه.

أليس بكم أزال الله دول الظالمين التي مضت لها أحقاب السنين، حتّى جعلهم حصيداً خامدين، وأورثكم أرضهم وديارهم؟ فصرتم تَغْزُون بعد أن كنتم تُغْزَون؟

ونزل بإزائكم دجال ملعون في شرذمة ضالّة مضلّة، لم يستضيئوا بنور هداية فهم كالأنعام المجفلة. والخشب المسنّدة والحمر المستنفرة، إن أقاموا هلكوا، وإن طولبوا أدركوا. فلا تنكصوا بعد الإقدام وانتم حزب الله وهم حزب الشيطان.

فقاتلوا – رحمكم الله – أحزاب الضّلال وذئاب الطمع وفراش النّار،واطلبوا في نواحي الأرض وأقاصي البلدان، وجميع الآفاق حتّىيحقّ

(١) الليل (٩٢): ١٥ – ١٦.

الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون »[1] .

وكانت البربر تنهب ما بافريقية، وترجع إلى عسكر أبي يزيد . فحين أفنوا ما بافريقية كلها توقفوا عن الوصول إلى أبي يزيد ، ولم يبق معه غير أهل جبل أوراس وبني كملان.

وهو يبعث كل يوم في طلب الناس إلى البربر وإلى جبل أوراس، وإلى أعمال إفريقية فكان إذا أتاه قوم ذهب عنه آخرون .

ثم وافته بعد ذلك جيوش عظيمة. وتمادى الحصار على من بالمهدية وهرب منهم كثير في المراكب إلى الروم ومصر وطرابلس وصقلية.

ثمّ دارت رحى الحرب بين أبي يزيد وأهل المهدية وكانت سجالاً في البداية ثمّ انقلبت لصالح الفاطميين، بعدما انهزم عن مخلد أصحابه وتفرّق جنده فولّى راجعا إلى القيروان[2] .

ولّما وصلها « في قليل من العدد ويسير من العدد بذلّ الهزيمة، وضعف العزيمة. فبات بمصلى القيروان، وخرج إليه صاحبه أبو عمّار الأعمى فعنّفه ووبّخه، وقال له : تشاغلت عن الجهاد وأكلت لذيذ الطعام، ولبست لين الثياب، وافتضضت الأبكار حتّى أحبلت ثمانية عشر امرأة هم الآن مقيمات في عسكرك، وكثر ما أتيت به من منكرك وما كذا يفعل من قام لله، وأظهر نصر دينه؟

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:١٢٠-١٢١).

(٢) المصدر السابق (ج٥/ص:١٢٧-١٢٨).

فقال أبو يزيد : صدقت وإنّما كان ما كان لذنوبي، وأنا متنصّل مما فعلت. وأظهر التوبة بزعمه على يدي أبي عمّار وأشهد أصحابه على نفسه، ورجع إلى لبس الصّوف وركوب الحمار.

وكان فيما يقال من أذلّ خلق الله إذا خاف وأكثرهم بطراً وأشراً إذا أمن»[1] .

ولمّا رأى أهل القيروان ما هو عليه من الذلّ و القلّ، وما بلغ به من الهزيمة والفلّ، خافوا من عساكر الفاطميين أن تأتيهم، وعرفوا ما قدّموه من بغيهم وتعدّيهم. فاجتمع وجوههم وكاتبوا القائم وضمنوا له إن هو أرسل بجنده إليهم أن يقبضوا على أبي يزيد فلم يجبهم لما تقدّم من نكثهم ونفاقهم.

وتسامع كلّ من تفرّق من عسكر أبي يزيد بوقوفه في القيروان فجاوزوا من كلّ ناحية إليه، ووفدوا من كلّ وجهة عليه.

وكان أهل مدن إفريقية كاتبوا أبي القاسم أن يبعث إليهم عماله.

وقبض أهل سوسة على عامل مخلّد الدجال وعلى جماعة معه، ووجّهوا بهم إلى القائم[2].

واستولى البربر (أصحاب مخلّد) على تونس وملكوها بالسيف « فانهبوا ما فيها وقتلوا أهاليها واستبوا ذراريها، وأحرقوا المسجد الجامع فيها. ولجأ

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:١٣٤-١٣٥).

(٢) المصدر السابق (ج٥/ص:١٣٥-١٣٦).

كثير من أهلها إلى أن ارتموا في البحر، فماتوا غرقاً، ونجا منهم من نجا، فماتوا جوعاً وهزالاً »[1] .

وكان السّبي والنّهب بنواحي إفريقية في إقبال البربر وإدبارها وغدوّها ورواحها. وكانت البربر تدخل بالسبي والنهب إلى القيروان ما لا يحصى كثرة. وكلّما اتّصل ذلك بمخلّد، وما يلقى المسلمون ونساؤهم وأولادهم من البربر، سرّه ذلك وأبهجه وأقرّ قلبه وأثلجه.

وذكر له ذاكر ما يلقى الناس من بغيهم وما هم فيه من ضلالهم وغيّهم.

فقال : والله لأقتلنّ جميع من في المغرب بمن قتل من أولائي.

فقال له بعض جلسائه : العفو أقرب للتقوى، فأغضبه ذلك وأقبل يهيج كالبعير يكثر من القول النكير[2] .

ووجّه أبو يزيد حشاده ورجاله إلى قبائل البربر، فأتوه من كلّ جهة . ورجع من القوة إلى ما كان عليه وقد غلب على مدن إفريقية وقتل أكثر الجند والكتاميين الذين فيها.

وخرج إلى مدينة سوسة ليحاصرها وقد اجتمع إليه من البربر ومن أهل إفريقية والزويليين خلائق عظيمة.

فحاصرها حصاراً شديداً . وكان يقاتل أهلها كل يوم. فمرّة له ومرّة

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:١٣٧).

(٢) المصدر السابق (ج٥/ص:١٣٩).

عليه[1] .

الخليفة إسماعيل المنصور:

في تلك الأثناء، وبينما كانت الحرب على قدم وساق، نودي للأمير إسماعيل المنصور بولاية الأمر، بعد وفاة أبيه القائم سنة (٣٣٤ هـ / ٩٤٦م). وقد أبلى البلاء الحسن في إخماد فتنة أبي يزيد وفي القضاء على حركة الخوارج نهائيا.

وكانت للمنصور شمائل عظيمة وأخلاق فاضلة. وقد قيل الكثير عنه شعراً ونثراً .

من ذلك ما قاله الشاعر محمّد بن أبي القاسم التونسي:

توسّم صباح المجد من أين يشرق ... وعرف الرّضى والحلم من أن يعلق
ومثل على أن النّجوم كثيرة ... بأي سراج تهتدي وتوفق
لقد صحّ للمرتاد ما كان يبتغي ... وصاب له الغيث الذي كان يبرق
وقد كانت الأيام خرساً فأصبحت ... لها ألسن بالشكر لله تنطق
فما بعد هذا للوسائل ملجأ ... ولا المنى في غيره متعلّق[2]

عود على بدء :

ثمّ كرّ أهل سوسة ومعهم الجند الذين أرسلهم المنصور على أبي يزيد «فانكسر ونكص على عقبه وحف ّ به غزاته، وتوجّه هارباً منهزماً إلى مدينة

---

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:١٥٠).

(٢) المصدر السابق (ج٥/ص:١٥٥-١٥٦).والشعر من الطويل.

القيروان، لا يلوي على أحد. وهرب البربر على وجوههم، وافترقوا في كلّ جهة، وقتل منهم خلق كثير »[1] .

ثمّ توجّه المنصور إلى القيروان واستصلح أمرها وأمر بحفر خندق حولها. ودارت الحرب بينه وبين أبي يزيد إلى أن كانت المعركة الحاسمة.

وحمل [المنصور] بنفسه على (الدجّال المارق)، لا يريد سواه، ولا يقصد إلّا إيّاه. فكلّ من حال بينه وبينه من البربر، حمل عليه، فأرداه. وكرّ عليه بذي الفقار وقد انتضاه. فحين دنا الدجّال وكاد أن يصدّ مفرق رأسه بذي الفقار، أدبر ناكصاً على عقبيه. فانهزمت جيوشه شرّ انهزام.

« وأمكن الله من المارقين الأرجاس، وأراح من بغيهم وعتوهم الناس، وانصرف الدجّال في من بقي معه هاربين من جهات افريقية، متوغّلين في الفرار لخيفة الجنود المنصورة »[2] .

ثمّ خرج المنصور متعقّباً أثر أبي يزيد ودامت مطاردته له عاماً كاملاً إلى أن ظفر به أخيراً بموضع في جبال عقار، تحت قلعة شاكر، وهي متّصلة بقلعة كيانة، وقد اجتمع إليه جماعات كثيرة من الإباضية ممّن بذل نفسه واعتقد جهاد المسلمين فرضاً عليه لا ينبغي له تركه وقد اعتصموا بجبال كيانة وهي جبال شامخة، ومسالكها وعرة ضيّقة ﴿ **وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾[3] .

---

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:١٦٦).

(٢) المصدر السابق 'ج٥/ص:١٩٢-١٩٤.

(٣) المصدر السابق (ج٥/ص:٢٣٠)، الحشر (٥٩): ٢ .

وفي الأثناء أنشأ المنصور شعراً جميلا قال فيه :

تبــدّلت بعــد الزعفــران وطيبــه صدأ الدرع من مستحصلات المسامر
ألم تــرني بعــت المقامــة بالــسّرى ولــين الحــشايا بــالخيول الــضوامر
وفتيــان صــدق لا ضــغائن بيــنهم يثــورون ثــورات الأســود الخــوادر
أروني فتـى يغنـى غنـائي ومـشهدي إذا رهـج الـوادي بوقـع الحـوافر(١)

وبعد معارك عنيفة انهزم جيش الخوارج وقتل معظمهم. وأتي بأبي يزيد إلى المنصور، أسيراً بعد أن أثخن بالجراحات، فأمر بمداواة جراحه.

إقامة الحجّة على أبي يزيد :

ولمّا كان بعد يومين من أخذ « الدجّال »، أمر المنصور بإحضاره إليه لإقامة الحجّة عليه.

فدار بينهما حوار جاء فيه :

- المنصور: أي عدو الله. كيف رأيت صنع الله ألم ينصر الحق على قلّة أنصاره، وخذل الباطل على كثرة أعوانه ؟

- أبو يزيد : (طأطأ رأسه ولم يتكلّم).

- المنصور : « وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم، وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال: إني بريئ منكم. »

- أبو يزيد : قد أقدرك الله والعفو أولى بك.

---

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:٢١٧) والأبيات من البحر الطويل.

– المنصور :أي عدو الله . تشتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

– أبو يزيد : معاذ الله. وكيف أشتم عليّاً ونحن حزبه الذين نصرناه على أهل الشام ؟

– المنصور : أو كان علي محتاجاً إلى نصرك كلّا . والذي فضّله وكرّمه، سيف علي ناصره، والله مؤيّده لا أنت ولا غيرك...

– أبو يزيد : (لا جواب).

– المنصور : إنّما قمت زعمت للإسلام محتسباً.

– أبو يزيد : نعم .

– المنصور : فهل غيّر الإسلام ونقض شريعة محمّدﷺ وبدّل وأهلك أمّته غيرك ؟

– أبو يزيد : وكيف ؟

– المنصور : وكيف أيضاً ؟

– أبو يزيد : نعم وكيف ؟

– المنصور : بما ارتكبت من المحارم،وصغّرت من العظائم، وسفكت من الدّماء و هتكت من الحرمات.

– أبو يزيد : ذلك من أقوام سوء اتّبعوني.

– المنصور : ما تقول في بني كملان هؤلاء خاصة ؟

– أبو يزيد : قوم سوء ملاعين.

- المنصور : قد نقضت قولك وأكذبك الله بلسانك إذ زعمت أنّك جاهل بأهل الشرّ من أصحابك ثمّ هذا قولك في بني كملان وهم عهدتك، وعقدتك وآخر من خلص معك من أصحابك أصحاب الشيطان، ويل لك من الله.

- أبو زيد : فإنّي أتوب على يديك.

- المنصور : برئت إلى الله منك. لِمَ نقضت اعتقادَك وخالف قولُك فعلَك؟

- أبو يزيد : بماذا ؟

- المنصور : بالفرار من الزّحف، فهو من البائر عند أولياء الله وعندكم أيضاً أعداء الله، وأنت القائل : إنّ الموت عندك أشهى من الحياة، والضّامن لأصحابك أنّك لا تنهزم أبداً.

إلى أن قال له المنصور : قد أخذتك بالسيف قهراً، وصرت في يدي قسراً، أسيراً بلا عهد ولا عقد، فلأقتلنّك قتلة هي أضر عليك من كلّ قتلة.

- أبو يزيد : كيف ؟

- المنصور : بالإحسان إليك والإفضال عليك، والرّفق بك. ثمّ لا ينالك من عقوبتي شيء أكثر من سجنك في دار واسعة ورزق جار. لتعلم أنّي ولي الله وابن رسوله وأنّ الله فضّل أخلاقنا كما طهّر أعراقنا ليكون ذلك قاتلاً لك غمّاً وهمّاً، وكمداً وحسرة على ما فاتك من الفوز بطاعتنا، وعلى ما أعدّ الله لك من العذاب بمعاندتك. ومن أنت يا أيها الكلب؟ وما في قتلك

درك من فوت، ولا شفاء من غيظ . أخزى الله دولة لا يحييها إلّا موتك.

- أبو يزيد : جزاك الله خيراً، جزاك الله خيراً، فعلت ما يشبهك، سلام عليك[1].

ثمّ اشتدت العلّة بأبي يزيد لما ناله من السقوط فمات سنة (٣٣٦هـ) فأمر المنصور به فسلخ جلده، وحشي بالتبن، بعد أن أخرجت أحشاؤه وملّح وعولج، حتّى ظهرت صورته كأنّها ناطقة، وجعل في صندوقين طويلين. وأمر المنصور بحمل الصندوقين، فكان إذا ورد مدينة أمر بإخراج ذلك الجلد، ويحمل على جمل ويلبس شيئا على رأسه. ورجل يمسكه من خلفه كي لا يميل، وينادي عليه، وعلى كتفه وصلبه قردان يصفعانه ويلعبان عليه[2].

وقال في ذلك الشاعر محمّد بن ناسك التونسي قصيدة طويلة جاء فيها:

ففاضت على غير ما ملّة ... وقد كثر الله أوزارها
فأركب تمثاله بازلاً ... يعرّ المطيّ و أكوارها
وزامل قردين فوق البعير ... كأسرى تفاوض أسرارها
فما يرعيان له حرمة ... إذا ما القرود رعت جارها
وقد علّما قبل أن يلقياه ... وحدا الأكف وأظفارها
فيا هامة قادر صحنها ... وقد هتك الصكّ أستارها

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:٢٦٧-٢٧٣).

(٢) المصدر السابق (ج٥/ص:٢٧٣-٢٧٤).

ويـــا لحبـــة ذاك يلهـــو بهـــا وهـــــذا ينتـــــف أوبارهـــــا

أتيـــت بـــه خاســـئا خـــاسراً يـــزور القـــرى لا كـــما زارهـــا[1]

وبالقضاء على ثورة أبي يزيد انكسرت شوكة الخوارج في بلاد المغرب وولّى أمرهم إلى اضمحلال و أفول.

استتباب ا لأمر:

بعد الملاحم الكبيرة التي خاضها المنصور والتي كلّلت بالظّفر والنصر. استتب الأمر من جديد للفاطميين وقطع دابر أعدائهم.

ولقد تجاوز هذا النجاح « حدود الانتصارات العسكرية العادية إذ استأصل [الخليفة الفاطمي] بهذا النصر نهائياً جذور المذهب الخارجي..وفسح المجال لسكّان بلاد القبائل المستوطنين الذين تفرّغوا إلى ضمّ شتات بلاد البربر في دولة موحّدة »[2] .

ولقد أدّى تخريب « تاهرت »، قلعة الإباضية الحصينة، على يد الفاطميين إلى إخماد جذوة الخوارج واضمحلال أنشطتهم فاضطرّوا إلى الانكماش والانكفاء و التعويض عن المواجهة بالتقيّة.

و« لئن تشتّتوا في الصحراء الجزائرية والتونسية، فإنّهم مازالوا إلى يومنا هذا موجودين بجبال نفوسة وجزيرة جربة وورقلة والمزاب »[3] .

---

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:٢٧٤).

(٢) « تاريخ إفريقيا الشماليّة » (ج٢/ص:٨٤-٨٥).

(٣) المصدر السابق (ج٢/ص:٤٧).

هذا ولقد تسابق الشعراء إلى مدح المنصور بعد الانتصارات الكبيرة التي حقّقها .

ومن بين هؤلاء، الشاعر « الفزاري »، الذي أنشد قصيدته المعروفة «بالفزارية»، والتي يمدح فيها المنصور ويعدّد ملاحمه. وجاء في مطلعها:

ولعمرك ما أوس بن سعدى بقومه ... ولا سيّد الأوبار قيس بن عاصم
ولا كان ذو الجدّين بين كتائب ... لها ميم من بكر وحيّ اللّهازم

ثمّ ذكر كبراء العرب إلى أن قال:

ولا كان قعقاع بن شور إذا اجتبى ... جليساًه لم يشق ّ بين الأقاوم
بأمنع منّي في جوار خليفة ... عطوف على أهل البيوتات راحم
كريم الأيادي و المساعي نمت به ... أبوّة صدق من ذؤابة هاشم
له من إمام المرسلين وصنوه ... علي معال ثابتات الدعائم
معال هي الفخر الصحيح وغيرها ... معاني مجاز بين واه و سالم
ومن ذا يقيس الشمس في رونق ... إلى كوكب في غيهب الليل عاتم(1)

إشادة المنصور بكتامة وفضلهم:

كان لقبيلة كتامة دوراً حاسماً في الانتصارات التي حقّقها المنصور وآباؤه من قبله.وكان دأب الفاطميين الإشادة دوماً بفضل أنصارهم وفضائلهم ومكانتهم ودورهم . كما أنّهم رعوا حقوقهم وأناطوا لهم أهم الوظائف وأسمى المراتب وهذا أحد أسباب نجاحهم.

---

(1) « عيون الأخبار » (ج٥/ص:٢٧٦-٢٧٧).

ومن خطبة للمنصور في ذكر فضل كتامة . جاء فيها :

« يا أهل دعوتنا، يا أنصار دولتنا، يا كتامة احمدوا الله، واشكروه على ما خصّكم به من نعمته، وجسيم منّته، وفضّلكم به على كافّة الخلق في غرب وشرق بدأكم - عزّ وجلّ - بالنّعمة العظمى ثمّ شفّعكم بالمنّة الكبرى ووالى بينهما عليكم من سوابغ النعماء بما لا يحصى، بصّركم والنّاس عميان، وعلّمكم والخلق جهّال، وهداكم والعباد ضلال إلى دينه، ونصرة حقّه، وطاعة وليّه.. حتّى إذا قضى الله زلزال البلاد، واختبار العباد، جلّل الأرض الظلام، وزلزل الأقدام وعظمت الخطوب، واشتدّت الكروب، ويئست القلوب، عصمكم الله، وهدى قلوبكم، وثبّت أقدامكم، إلى أن جلّاها عنكم خاصّة وعن العباد كافّة بنا وعلى أيدينا فكانت عليكم نعمة وعلى العباد حجّة.

اللهم إنّي أصبحت راضياً عن كتامة لاعتصامهم بحبلك وصبرهم على البأساء و الضرّاء في جنبك.. اللّهمّ فارض عنهم، وضاعف حسناتهم، وامح سيئاتهم... »(١) .

بناء مدينة المنصورية :

وعلى إثر عودته إلى افريقية أمر المنصور بإنشاء مدينة بالقرب من القيروان سمّاها « المنصورية » إعلاناً لانتصاره وذلك سنة (٣٧٥هـ/ ٩٤٧م).

وتعرف المدينة أيضاً باسم « صبرة » وتقع على بعد نصف ميل من القيروان وكانت بها قصور وبناءات شامخة وأسواق. لكنّها اندرست ولم يبق منها إلّا بعض الأطلال.

---

(١) المصدر السابق (ج٥/ص:٣٠٩-٣١٠) .

انتقال مركز الخلافة الفاطمية إلى مصر

بعد وفاة المنصور سنة (٣٤١هـ / ٩٥٣م) تولّى ابنه « المعزّ لدين الله » الخلافة .

واسمه أبو تميم معدّ. وكان أشهر الملوك الفاطميين على الإطلاق، وذلك بسبب الانجازات العظيمة التي تحقّقت على عهده .ومن أهمّها :

- استيلاؤه على « فاس » عاصمة الإمارة الإدريسية سنة (٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م)

- سيطرته على مصر سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٩م).

- ضمّه للرملة من بلاد فلسطين ثمّ لدمشق سنة (٣٥٩هـ / ٩٧٠م) .

وكان لقائده الشهير جوهر الكاتب(*) دوراً كبيراً في هذه الفتوحات. فلقد وجّهه إلى مصر لمّا بلغه من فساد أحوالها واضطراب أمورها بعد موت « كافور الإخشيدي » فافتتحها بدون مقاومة تذكر . وأسّس بها مدينة سمّاها « القاهرة المعزّية ». وأصبحت بذلك مصر جزءاً من الدولة الفاطمية.

وعلى إثر تلك الفتوحات الجليلة قرّر« المعزّ لدين الله » نقل مركز الخلافة الفاطمية وعاصمتها من المهدية إلى القاهرة التي وصلها سنة

(*) أو جوهر« الصقلّي »، وكلمة الصقلّي تحريف « للصقلبي ». وهو مولى يوناني الأصل اشتهر بالإخلاص والكفاءة العالية في خدمة الدولة الفاطمية،وبلغ أعلى المراتب.

(٣٦٢ه/ ٩٧٣م) بعدما استخلف على إفريقية والمغرب الأمير« بلكين بن زيري» الصنهاجي.

وصنهاجة هي قبيلة بربرية ذات عصبية قوية وبأس، نهضت لنصرة الفاطميين ونشر دعوتهم بالمغرب الأوسط (الجزائر) في عهد المنصور وابنه المعزّ لدين الله. وكانت الرئاسة فيها للأمير « زيري بن مناد » الذي تربطه وشائج قوية بالفاطميين، وله عندهم حظوة ومكانة خاصّة.

ورعاية لتلك العلاقة المميزة عهد المعزّ لابنه « بلكين » بإمارة إفريقية والمغرب سنة (٣٦٢هـ/ ٩٧٢م) .

وراعى بلكين بن زيري ولاية ما أنيط به أحسن رعاية. وأسّس خلال ولايته عدداً من المدن أهمّها: الجزائر ومليانة (بالمغرب الأوسط). كما خاض حروباً كثيرة كان له الظفر فيها.

ولما توفّي سنة (٣٧٣هـ / ٩٨٤م) خلّفه ابنه المنصور، وكنيته أبو الفتح.وازدهرت البلاد في عهده.

وبعد وفاته سنة (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) خلّفه ابنه« باديس »، وكنيته « أبو مناد ».

وانقسمت الدولة في عهده، على إثر انشقاق عمّه « حمّاد » واستقلاله ببعض البلاد، إلى :

- إمارة شرقية مركزها القيروان.
- وإمارة غربية قاعدتها قلعة بني حمّاد (قرب المحمّدية أو المسيلة بالجزائر).

وإثر وفاة باديس بن المنصور بويع ابنه المعزّ سنة (٤٠٦هـ / ١٠١٦م) رغم حداثة سنّه، إذ إنّ عمره آنذاك لم يتجاوز ٨ أعوام.

وفي عهده وقعت اضطرابات أهلية خطيرة في القيروان، نبذ المعزّ على إثرها دعوة الفاطميين، وخلع طاعتهم، وأمر بأن يخطب بدءاً من سنة (٤٣٩ هـ / ١٠٤٧م) باسم الخليفة العباسي القائم بأمر الله.

اضطرابات القيروان :

(أو وقعة الشيعة كما سمّاها بعض المؤرّخين):

في الواقع ليس هناك معلومات دقيقة وموثّقة حول هذه الوقعة وأسبابها. إلّا أنّ الظاهر من بعض المصادر، أنّ بعض وجهاء القيروان، من المالكية، قد ساءهم انحصار مذهبهم ببعض المدن، وسيطرة مذهب الشيعة (الإسماعيلية) على السواد الأعظم من البلاد (لاسيّما المدن الكبرى : كسوسة، والمهدية، وباجة، والكاف، ومعظم مدن الجنوب).

ثمّ إنّ انقسام الدولة الصنهاجية على نفسها إثر استقلال « حمّاد » جعل مركز الوالي ضعيفاً لاسيّما وأنّه بعيد عن حماته من البربر (وبالأخصّ كتامة وصنهاجة).

وإذا علمنا بأنّ المعزّ بن باديس تربّى في حجر وزيره « أبي الحسن بن أبي الزجّال »، الذي أدّبه على مذهب مالك. واجتهد في تأليبه ضدّ الشيعة (مذهب آبائه وأجداده).

ولهذه الأسباب وجدت الطبقة السياسية المسيطرة في القيروان الفرصة

سانحة لابتزاز هذا الأمير الضعيف والمذبذب فافتعلوا ما سمي « بوقعة الشيعة ».

وملخّصها:

أنّ نفراً من أهالي القيروان من المالكية قاموا بحرق ونهب بعض بيوت ومحلات الشيعة فيها. وسرعان ما تطوّرت الأمور إلى معارك دموية بين الطرفين.

استغلّ فيها المالكية نفوذهم المادي والمعنوي وقربهم من الوالي. فسيطروا على المدينة وأعملوا السيف في من خالفهم قتلاً ونهباً وتشريداً.

فقتل في ذلك اليوم ما ينيف على الثلاثة آلاف إنسان (من الشيعة) وسمّي موضع استشهادهم ببركة الدم[1].

وقعة « الشيعة » في بعض كتب المالكية :

ورد في كتاب « الصراع المذهبي بافريقية »: « فاشتدّ ساعد المالكية... واستجمعوا قوّتهم حتّى وجدوا أنفسهم في عصر المعزّ بن باديس قوّة مكتملة العدّة وافرة العزم والحزم، فأنزلوا بالشيعة الويلات، وامتحنوهم شرّ امتحان، وفتكوا بهم في كلّ مكان وجدوا به من أرض إفريقية، وخصوصاً بالقيروان والمهدية.

وكانت مجزرة هائلة، عرفت لدى المؤرّخين باسم « محنة المشارقة » أو «وقعة الشيعة » .

---

(١) المجذوب (عبد العزيز): « الصراع المذهبي بإفريقية » (ص: ٨٤).

وبـذلك تمـت الـسيادة لأهـل افريقيـة،وعرفوا لأوّل مـرّة طعـم العـزّة والسيادة في ظلّ التعاليم السنيّة المتمثّلة في مذهب مالك بن أنس.

يقول الدبّاغ: «... وبعد ذلك هجم أهل القيروان على هـؤلاء الأشرار بعد ما تولّى المعزّ بن باديس، فقتلوهم عن آخرهم، وطهّـر الله القـيروان مـن رجسهم والحمد لله ربّ العالمين».

ويرى صـاحب معـالم الإيـمان، أنّ المعـزّ قـد أظهـر خـلاف الفـاطميين، وبادئهم بالعداء، وأطلق أيـدي الـسنّيين يفعلـوا بالـشيعة مـا يريـدون، لكـن الأمر انقلب إلى فتنة كبرى وثورة أهلية واسعة هـددت أمـن دولتـه وسـلامة عرشه، فأخذ الثائرين بالعنف والشدّة حتّى يقضي على الفتنة، وضـغط عـلى الفقهاء... »[1].

ولم يكتف المالكية بذلك، بل أجبروا المعزّ بن بـاديس، عـلى التـبرّي مـن الشيعة ومذهبهم، وإصـدار أمـر بإجبـار أهـل افريقيـة عـلى اعتنـاق المـذهب المالكي[*].

فأذعن المعزّ لذلك، مجاراة للقيروانيين، وخوفاً من انقلابهم عليه، وهو عـلى مـا هـو عليـه مـن ضـعف وانكـسار. فـأعلن اسـتقلاله عـن الخلافـة الفاطمية، واستبدله بالدعوة للعباسيين.

وكان لهذا القرار الخطير عواقبه الوخيمة ونتائجه الكارثية التي لاتـزال آثارها وتداعياتها ماثلة للعيان إلى يومنا هذا.

(١) المصدر السابق (ص:٢٢٢-٢٢٤).

(*)حيث شبهه بعض الباحثين، بما فعله الأسبان مع مسلمي الأندلس..(مع فارق النحلة والمذهب طبعاً).

زحف بني هلال

بعد نبذه الخلافة الفاطمية ومبايعته للخليفة العباسي، أجبر المعزّ بن باديس أهل افريقية على اتباع المذهب المالكي.

وكان لتربيته (أو ثقافته) المالكية أثرها الكبير على سلوكه وعلى مواقفه المتطرّفة.

ولقد لقي أتباع المذهب الحنفي نصيبهم من الأذى أيضاً، شأنهم في ذلك شأن جميع الاتّجاهات الفكرية والدينية (غير المالكية). لكن الشيعة نصيبهم كان الأوفر ومصيبتهم الأعظم. إذ إن حملة المعزّ استهدفتهم بشكل خاص ومباشر، ممّا أدّى إلى تتبّعهم وتقتيلهم.

وإنّ « موجة الاضطهاد والقتل التي تعرّض لها أهل الشيعة في القيروان وفي المدن الأخرى، وضعت حدّاً للحرية الفكرية التي عرفتها القيروان، وبقيت تلك الموجة محل طعن وإدانة لحكم المعزّ بن باديس في افريقية »[1] .

لقد كانت هذه الجريمة وصمة عار في تاريخ إفريقية[**]، وصفحة سوداء تضاف إلى تاريخ المسلمين والإنسانية.

هذا ولقد أدّى قرار المعزّ بقطع العلاقات مع الفاطميين إلى ردّ فعل

---

(١) « القيروان » (ص:١٠٢).

(**) بل وفي سجّل كلّ مذهب أو اتّجاه تمّت الجريمة باسمه ومباركته وتحت غطائه.

عنيف من قبلهم كانت له نتائج سياسية واقتصادية وديمغرافية خطيرة.

وتروي كتب التاريخ أنّه « لّما مات وزير المستنصر بالله الفاطمي أبو القاسم أحمد بن علي الجرجرائي، تولّى الوزارة مكانه أبو محمّد الحسن بن علي اليازوري، وكان من أسرة لم يكن لها تاريخ تولّي مناصب الدولة العليا، حيث كان أبوه فلّاحاً بفلسطين، فأدّى ذلك إلى الاستهانة به من قبل بعض ولاة الفاطميين، وعدم تقديرهم له... فاستهان المعزّ بالوزير الجديد، وأدّى ذلك إلى غضبه فبعث يهدّد المعزّ، ولكن المعزّ زاد في سخطه على الفاطميين ومعارضته لحكمهم، فأعلن قطع العلاقات معهم، فاستغلّ اليازوري موقف المعزّ هذا من الدعوة الفاطمية، وألّب عليه الخليفة الفاطمي الذي وافق وزيره على تنفيذ خطّته الهادفة إلى القضاء على حكم ملوك صنهاجة في إفريقية، فاتّصل اليازوري بزعماء قبائل « رياح وزغبة »، وجماعة من بني عامر التي كانت مقيمة في الصعيد المصري، وأذن لهم بمغادرة مصر والاتّجاه نحو إفريقية،

(وكان ذلك ممنوعاً عليهم، حسبما أخبرنا به أحمد بن أبي الضياف)[1]، وأعطاهم أموالاً، ووعدهم بالمساعدة لو تغلبت عليهم جيوش المعزّ، وقال لهم جملته المشهورة: « سرحتكم لجواز النيل وأعطيتكم ما يملكه ابن باديس العبد الآبق ».

ولّما اتجهت القبائل نحو المغرب كتب اليازوري للمعزّ رسالة يقول فيها : « أمّا بعد فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً، وحملنا عليها رجالاً

---

(١) ابن أبي الضياف : « إتحاف أهل الزمان.. » (ج١/ص:١٣٠).

كهولاً، ليقضي الله أمرا كان مفعولاً »[1] .

وزحف « بنو هلال، وبنو سليم نحو طرابلس والجنوب التونسي في عدد كبير[2]، وكانوا يحطّمون ويحرّقون كلّ ما يعترضهم في طريقهم »[3] .

وحاول المعزّ الوقوف في وجوههم، لكن دون جدوى.

وكان للوضع السياسي الذي عليه الأسرة الصنهاجية الحاكمة آنذاك، والانقسامات التي كانت تعاني منها، وكذلك الأخطاء التي ارتكبها المعزّ ابن باديس ومنها سماحه بموجة الاضطهاد والتقتيل ضد الشيعة مما تسبب في نقمة البربر عليه (لاسيّما قبيلتي كتامة وصنهاجة)، دوره الكبير والحاسم في خذلانه وهزيمته أمام الأعراب الذين أطلقوا عنانهم في أرجاء إفريقية، فاستولوا على أغلب مدنها وعاثوا فيها « فساداً وتخريباً ونهباً. واستباحوا القيروان حتّى أصبحت أثراً بعد عين »[4] ، وفقدت ما تبقى لها من قيمة سياسية واقتصادية وأفل نجمها ولفّها طي النسيان واستحالت «إلى مدينة صغيرة بعد أن كانت عاصمة طيلة قرون »[5] .

وهكذا عمّت الفوضى إفريقية وما حولها. وكان لزحفة الأعراب من الآثار والنتائج، ما طبع بلاد المغرب بطابع لم تمحه القرون:

(١) المصدر السابق (ص:١٠٣-١٠٦).
(٢) زهاء الأربعمائة ألف (انظر« خلاصة تاريخ تونس » (ص:٨٢).
(٣) «القيروان »(ص:١٠٦).
(٤) « خلاصة تاريخ تونس »(ص:٨٢).
(٥) « تاريخ إفريقيا الشمالية » (ج٢/ص:٩٨) .

فمن جهة نجد أنّهم أحدثوا ما يشبه التوازن بين الأجناس،بعد أن كانت كفّة البربر راجحة.

كما أنّهم نشروا اللغة العربية لكن بلهجات بدوية. فلقد « أتى البدو بلغتهم التي يمكن بسهولة تمييزها عن لهجات أهل المدينة الموروثة عن الفاتحين الأولين. ومن لغة البدو تفرّعت أغلب اللهجات العربية الريفية المستعملة في إفريقيا الشمالية»(١) .

ومن جهة أخرى نجدهم فرضوا نمط حياتهم وعاداتهم الرّعوية، فعمّت البداوة و« تحوّلت الأراضي المعدّة لزراعة الحبوب والخضر والأشجار المثمرة إلى غير ما جعلت له . واختنقت قرى ومدن صغيرة وخربت، ولم تسلم إلّا الأراضي الفلّاحية الكائنة على طول السواحل حول المدن الباقية أو داخل الجبال... »(٢) .

ثم تتابعت على إفريقية الدول :

- بدءاً من الدولة الموحّديّة التي ظهرت بالمغرب الأقصى، ثمّ سيطرت على المغرب الأوسط وإفريقية من سنة (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م) إلى سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م). وفي عهدها تمّ نقل عاصمة ولاية إفريقية إلى مدينة تونس، وهي لاتزال عاصمة البلاد إلى يومنا هذا.

ثمّ مروراً بالدولة الحفصيّة بين سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) وسنة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٩٣٢هـ / ١٥٢٥م) والتي يعود نسب أُمرائها إلى أحد مؤسّسي الدولة الموحّدية ودعاتها، وهو الشيخ « أبي حفص يحيى بن عمر الهنتاتي » .

وكانت « ولاية إفريقية » بأيدي الأُمراء من بني حفص، إلى أن أعلنوا استقلالهم عن الدولة الموحّدية بالمغرب.

- ثمّ أصبحت إفريقية (أو الأيالة التونسية) تحت الحكم العثماني من سنة (٩٨١هـ / ١٥٧٤م) إلى سنة (١٠٤١هـ / ١٦٣٠م)، إلى أن استقلّ بحكمها المراديّون (نسبة إلى مراد باي مؤسّس الدولة المرادية بتونس) من سنة (١٠٤١هـ / ١٦٣١م) إلى سنة (١١١٤ هـ/ ١٧٠٢م)، ثمّ الحسينيون (نسبة إلى الأمير حسين باي الأكبر) الذين حكموا البلاد من سنة (١١١٧هـ / ١٧٠٥م) إلى سنة (١٢٩٨ هـ / ١٨٨١م) .

ثمّ دخلت البلاد إثر ذلك تحت الحماية الفرنسية(*)، إلى أن استقلّت في ٢٠ مارس ١٩٥٦م.

(*) مع بقاء الحكم شكلياً أو اسميّاً بيد البايات الحسينيون.

خلاصة (القسم الثاني)

بعد هذا العرض السريع لبعض المحطّات أو الصفحات من تاريخ التشيّع بإفريقية، يمكن أن تستخلص النتائج التالية :

١ – بدأ انتشار التشيّع في إفريقية وبلاد المغرب مع بداية الفتح الإسلامي. بعد وصول فضائل أهل البيت عليهم السلام وفضلهم، بل ومظلوميّتهم، مع بعض الفاتحين الأوائل.

٢ – يعود اهتمام مدرسة الإمام الصادق عليه السلام بإفريقية وبلاد المغرب عموماً إلى القرن الثاني الهجري على الأقل. وذلك عبر إرسال الدعاة لنشر الدين الإسلامي وللتعريف بمدرسة أهل البيت عليهم السلام .

٣ – إنّ الدعوة إلى أهل البيت عليهم السلام والتعريف بفضلهم وفضائلهم قد سبق الدعوة الفاطمية (الإسماعيلية) بحوالي قرن ونصف.

٤ – إنّ ما قام به (أبو عبد الله) الشيعي الذي يعود له الفضل في نشر الدعوة الفاطمية وتأسيس دولتها في بلاد المغرب، لا يخرج عمّا يلي :

أ – الاستفادة من ولاء وتعاطف وتعلّق عموم البربر بأهل البيت عليهم السلام .

ب – توجيه هذا الولاء بما يخدم مصلحة الدعوة الجديدة .

ج – توظيفه سياسيّاً.

د – تحويله إلى تيّار ثوري منظّم.

٥ - إنّ جهود أبي عبد الله في الدعوة والتوطئة للفاطميين، ما كانت لتثمر لولا التعاطف الجارف مع أهل البيت عليهم السلام، والذي كان، وما زال، السمة البارزة لأهل إفريقية وبلاد المغرب عموماً.

ويحدثنا « أحمد بن أبي الضياف » عن حبّ أهل إفريقية لآل البيت عليهم السلام فيقول:

« وأهل افريقية يدينون بحبّ علي وآله يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم جبلّة في طباعهم حتّى أنّ نسوانهم عند طلق الولادة ينادون : يا محمّد يا علي »[1] .

٦ - إنّ مسألة الدفاع عن الفاطميين وعمّا قيل عن اعتدالهم أو تطرّفهم، عن تسامحهم أو تعصّبهم، هي خارجة عن موضوع هذا البحث (تخصّصاً وتخصيصاً). لكن هناك كلمة(حق) لابدّ منها :

وهو أنّي وبعد الاطلاع على معظم المصادر الفاطمية، التي أمكنني الوصول إليها، لم أجد في أي منها ما يدلّ على:

- تعصّب القوم لمذهبهم.

- أو استخفافهم بغيرهم.

- أو نيلهم ممن خالفهم بالقول أو الفعل.

كما أنّ جلّ ما رماهم به أعدائهم لا أساس له من الصحّة. وإنّ من حكم بتكفيرهم من الفقهاء(المالكيين بالخصوص)، لم يقدّم أي دليل على

(١) « إتحاف أهل الزمان.. » (ج١/ص:١٢١).

دعواه سوى بعض الأقاويل والظنون والأوهام والتخرصات، التي هي أقرب إلى أحاديث العامّة وأراجيفهم منها إلى فتاوى العلماء وكلماتهم.

وعلى كلّ فإنّ المذهب الإسماعيلي، وإن كان لا يمثّل الشيعة ولا التشيّع، لكنه لايجوز بأيّ حال من الأحوال أن يواجه أو يحاكم بالطريقة التي واجهه بها أعداؤه لعدّة أسباب، منها :

١ - أنّ ذلك أبعد عن روح الدين الحنيف الذي علّمنا كيف نتحاور حتّى مع أعدائنا من المشركين[1] .

٢ - أنّه يؤسّس إلى طريقة ظالمة في الحكم والتعاطي مع الغير، مبنية على التعصب و الحقد والكراهية.

٣ - أنّ من أنكر على خصمه أمراً غير شرعي، وفق نظره واجتهاده، ربّما بدر منه ما هو أعظم وأدهى، لاسيّما وأنّ الجميع يدعي أنّه على الحقّ والصراط السوي، والمسألة في النهاية نسبيّة .

٤ - أنّ فتاوى التكفير التي صدرت بحق الإسماعيلية وغيرهم، تلوح منها رائحة السياسة التي أفسدت على بعض الفقهاء دينهم وإن كانت قد أصلحت لهم دنياهم (لكن إلى حين...).

٧ - كان انعكاس ما يسمّى بمدرسة الخلفاء، (أو المدرسة الرسمية)، واضحاً على الحياة العلمية والثقافية بل والدينية بإفريقية، (لاسيّما في عاصمتها القيروان)، مما أكسبها طابعاً خاصاً، جعلها أكثر ميلاً لكلّ ما هو

(١) قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ آل عمران (٣): ٦٤.

رسمي يحمل ختم الخلافة و توقيعها.

وكان هذا السبب كافياً لانتشار المذاهب التي تحظى بموافقة هذه المدرسة و مباركتها. وبمرور الزمن ترسّخ هذا المبدأ وتعمّق، حتّى أصبح عبارة عن قانون (غير مكتوب). وكلّ من خالفه يعدّ خارجاً عن الدين والملّة، بل ربّما يحكم بتكفيره، كما وقع للفاطميين.

ثمّ إنّ لطبيعة البربر عموماً و مزاجهم الخاص، في عدم ميلهم للعقلانيات أو العلوم العقلية واهتمامهم بالمقابل بالنقليات أو العلوم النقلية (ومنها الفقه والحديث)، دوره في ترسيخ هذه الحالة غير الصحيّة التي أسهمت في تشكيل الذهنيّة المغربيّة لعدّة قرون.

ولا تزال، وللأسف، آثارها تتفاعل إلى يومنا هذا. حتّى إنّه يمكن القول بأنّ ما تعاني منه بلاد المغرب حالياً ممّا سمّي بظاهرة « التكفير » أو«السلفيّة»، إنّما هي إحدى إفرازات تلك الحالة وآثارها.

٨- لقد كان للسياسة كلمتها الأولى والأخيرة في كافّة الصراعات والفتن المذهبية التي عاشتها إفريقية بل الساحة المغاربية عموماً .

إذ إنّ الميول والأهواء السياسية عبثت بكلّ شيء حتّى بأقدس المقدّسات. فقد تمّ تسخير الشرع والدين والفقهاء في خدمة السياسة وأغراضها ممّا أدّى إلىفتن وكوارث بل جرائم في حق ّ الدين والإنسانية. وإنّ المحنة التي مرّ بها شيعة إفريقية على عهد المعزّ بن باديس وبعده لا تخرج عن هذا الإطار.

فلقد كانت جريمة إبادة جماعية بكلّ المقاييس والمعايير. أزهقت فيها آلاف

الأرواح البريئـة مـن أيّ ذنـب سـوى أنّهـا دانـت بعقيـدة مخالفـة للـسلطان ولعلماء السوء[1].

٩ – إنّ ثورة الخارجي (أبا يزيـد صـاحب الحـمار)، وإن اسـتطاعت أن تهدّد عرش الفاطميين لفترة من الزمن قبل أن يقوموا بالقضاء عليها . فإنّها أدّت كذلك إلى نتائج كارثية لاتزال ارتداداتها وانعكاساتها تتفاعل إلى يومنا هذا. ومن هذه النتائج :

أ– أنّها كشفت عن أمور منها :

– التناقضات الكبيرة والخلل العميق في بنية و تركيبة وعقلية الإنـسان المغاربي.

– أن الـسلّم الاجتماعـي المغـاربي هـش إلى درجـة كبـيرة حتّـى أنّ أيّ صاحب دعوة مغرضة يمكن أن يزعزع هذا السلم أو يعرّضه للخطر.

– أنّ تدين الإنسان المغاربي قام منذ بدايته على أسس غير سليمة غيّبت العقل (أو المنطق) واستبدلته بالنقل المبني عـلى قياسـات ومعـايير واهيـة لا يحترمها العقل ولا يؤيدّها الدين.

ب– أنّها برهنت على مدى الحاجة إلى ثـورة ثقافيـة تعيـد بنـاء وتـشكيل الإنسان المغاربي، فكرياً وأخلاقياً وروحياً، على أسـس سـليمة ومتينـة تعيـد

---

(١) وإنّ الإسلام بل كلّ الديانات لتتبرّى ممن ارتكب هذه الجريمة بالمباشرة أو المشاركة أو التدخّل سواء كان ذلك بالقول أو الفعل أو حتّى بالسكوت الكاشف عن الرضا.

وإنّها ستبقى لعنة على جميع من شارك فيها أو سمع بذلك فرضي به إلى يوم القيامة. وستظل وصمة عار في جبين الأُمّة بل والإنسانية جمعاء إلى يوم يبعثون.

الاعتبار للعقل والدين معاً.

١٠ - ينظر البعض إلى الزحف الهلالي على أنّه، وإن كان، شرّاً في ظاهره، إلّا أنّه خير و نعمة في باطنه وجوهره . وذلك بالنظر لما أدىّ إليه من تعريب وترسيخ للغة القرآن.

لكن الحقيقة غير ذلك فهو نقمة وكارثة وبلاء بجميع المقاييس . إذ أنّه أدّى إلى انتكاسة حضارية وثقافية واقتصادية لاتزال إفريقية وبلاد المغرب عموماً تعاني من تبعاتها وآثارها إلى يومنا هذا وعلى أكثر من صعيد .

١١ - إنّ تجربة الفاطميين مع قبائل البربر لاسيما « كتامة » أثبتت مدى إخلاصهم ووفائهم وتفانيهم في خدمة الدعوة التي آمنوا بها واتّبعوها، بصرف النظر عن صحّة هذه العقيدة أو عدمه، فإنّ الأمر بحدّ ذاته جدير بالتنويه والإعجاب والثناء(١) .

بعض الملاحظات حول الخلافة الفاطمية:

١ - بالنسبة لنظام الحكم : كان الحكم في ظلّ الخلافة الفاطمية مطلقاً، يستأثر الخليفة فيه بجميع السلطات الروحية والزمنية،شأنه في ذلك شأن سائر الدول الإسلامية في العصور الوسطى.

٢ - رغم أنّ الدولة الفاطمية كانت تتميّز بصبغتها المذهبيّة العميقة، فإنّها اتّسمت على الصعيد الديني، بسياسة ثابتة، وهي سياسة المرونة مع

(١) وأين منه تخاذل أهل المشرق (لاسيّما العراق) مع أئمّتهم (من المعصومين حقيقة لا ادّعاء)؟ فليت أهل المغرب كانوا هم أهل المشرق و لو لحين؟

الأديان والمذاهب الأخرى.وذلك لاستمالتهم وكسب ودّهم ودعمهم وتأييدهم.حتّى عدّ العصر الفاطمي عصر الحرّيات الدينية بامتياز.

٣- امتازت الدولة الفاطمية بنظمها السياسية والإدارية المبتكرة .حيث عمدت إلى الابتكار في تنظيم الأصول والخطط الدستورية، وفقاً لحاجاتها وغاياتها السياسية والمذهبية. وكانت مراسمها وسائر مظاهرها ذات طابع باذخ ومترف.

٤- و من ميزات هذه الدولة أيضاً كثرة الأعياد والمناسبات الدينيّة، والمظاهر المرافقة لها.

فلقد تميّز العصر الفاطمي بالاهتمام بالأعياد والاحتفالات العامّة والخاصّة التي شرعت لغايات دينية وسياسية.

ومن الأعياد العامّة: رأس السنة الهجرية، وليلة المولد النبوي الشريف، وعيد الفطر، وعيد الأضحى.

ومن الأعياد الخاصّة:مولد أمير المؤمنين عليه السلام، والزهراء عليها السلام، والحسن والحسين عليهما السلام. ويوم عاشوراء (أو العاشر من محرم).

٥- كما أنشئت في ظلّ هذه الخلافة، ولأوّل مرّة، هيئة رسمية خاصّة للنظر في شؤون العلوية والمنتسبين لآل البيت عليهم السلام، وعرفت هذه الهيئة يومئذ بنقابة الطالبيين، وكان يتولى النظر عليها واحد من أكبر شيوخهم وأجلّهم قدراً، يسهر على صحّة الأنساب وإثباتها،ورعاية شؤونهم ومصالحهم،وفيما بعد عرفت هذه الهيئة باسم « نقابة الأشراف »(١).

---

(١) للمزيد يمكن الرجوع إلى المصادر التالية:

⇦

٦- وعموماً كان للفاطميين أثر كبير في التاريخ الإسلامي بشكل عامّ والتونسي بشكل خاصّ، حيث تقدمت العلوم والمعارف، وانتشرت الكتب. وكانت المساجد مراكز ثقافية.

وارتبطت الكثير من العادات والتقاليد والطقوس بالدولة الفاطمية، حيث مازال التأثير الفاطمي يظهر في تونس أثناء شهر رمضان المبارك والأعياد.

كما ارتبط العصر الفاطمي بالكثير من الحكايات الشعبية، التي تفتقر للسند التاريخي، (كقصّة الإمام علي مع رأس الغول وغيرها).

⇨

١- حسن الأمين : « موسوعة دائرة المعارف الشيعية ».

٢- عارف تامر : « الموسوعة التاريخية الفاطمية ».

٣- محمّد عبد الله عنان : « تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب ».

التشيّع الحديث

ويمكن تقسيمه إلى مرحلتين :

الأولى : قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

الثانية : بعده.

ملاحظة :

إنّ التأريخ للتشيّع الحديث بتونس بما قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران وما بعده لايعني بأنّ هذه الثورة المباركة هي العلّة في ظهوره.

وإنّما لكون التشيّع الحديث هو أحد ثمار الصحوة الإسلامية الحديثة ولكون هذه الصحوة مرتبطة بهذه الثورة المباركة ارتباطاً كبيراً. وبما أنّه يصعب تحديد بدايات هذه الصحوة بدقّة. فلذلك، آثرت التأريخ للتشيّع بانتصار الثورة.

التشيّع قبل انتصار الثورة الإسلامية:

يمكن أن نحدّد أهم ملامح التشيّع في إفريقية، خلال هذه المرحلة، ضمن النقاط التالية:

١ - رغم الظروف التاريخية القاسية والفصول العصيبة بل والمأساويّة التي مرّ بها التشيّع في هذه البلاد، فإنّه لم يختف (تماماً) ولم يمح من الوجود (كلياً) كما ادّعى بعض المتعصّبين.

لان وجوده ليس سطحياً ولا عرضياً وإنّما هو ذو جذور قوية وعميقة،

وهو موجود وباق ما بقي الإسلام والقرآن(*).

ويمكن القول بأنّ التشيّع، وإن لم يستطع العيش بسلام وحرية في بيئة متعصّبة ومعادية، فإنّه نجح في البقاء والاستمرار متأقلما مع الظروف العسيرة التي مرّت عليه، وذلك عبر أشكال ومظاهر مختلفة، منها: بعض طرق الصوفية، ومزارات الأولياء و الصالحين، لاسيّما ذوي الأصول الشريفية (أو الأشراف)، وكذلك بعض الزوايا الدينية التي كانت بمثابة مدارس قرآنية وفقهية.

وكان لحركة التصوّف دورها الهام في استمرار التشيّع. فلقد اندمجت فيها قطاعات كبيرة من الشيعة.

ونظراً للعلاقة الوثيقة بين الاثنين، فإنّ بعض الباحثين ذهب إلى استنتاج، ربّما يكون مبالغاً فيه، مفاده أنّ حركة التصوف في تونس هي وليدة التشيّع،أو هي الوجه الآخر للتشيّع. وهذا أحد أسباب قوّتها وشعبيّتها. إذ استطاعت هذه الحركة أن تلعب دوراً وطنيّاً بارزاً وأن تحول دون اختراق الدعوات الهدّامة، (ومنها الدعوة الوهابية)، للشارع التونسي.

ومهما يكن من أمر،فإنّ طائفة كبيرة من الشيعة آثرت التظاهر بالتسنّن تقيّة.وبمرور الزمن تحوّل هذا التظاهر من ادّعاء إلى حقيقة على يد الأبناء

(*) كيف لا و آياته تتلى في كلّ آن وحين وفيها ذكر أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وجعلهم عدل الكتاب وجعل مودّتهم أجراً للرسالة، وقرن ولايتهم بولايته عزّ وجلّ وولاية نبيه صلى الله عليه وآله، وجعل طاعتهم من طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وبولايتهم كمل الدين وتمّت النعمة ورضي الرب سبحانه وتعالى.

والأحفاد،الذين عاشوا في ظلّ ظروف مختلفة افتقدوا فيها إلى أيّ وسيلة أو أداة تقودهم أو ترشدهم إلى معتقد الآباء.

وفي حين فضل الكثير من الشيعة الاندماج فإنّ البقية آثروا الاعتزال والانطواء على النفس في أقاصي الجنوب حيث الصحراء القاحلة،أو في شعب الجبال،حيث يصعب الوصول إليهم.

٢- إنّ بعض الدارسين لتاريخ المذاهب بإفريقية وبلاد المغرب عموماً، ربما اشتبه عليهم الأمر حينما وضعوا التشيّع في نفس الخانة مع المذاهب التي أندثرت أو لم يكتب لها البقاء أو انحسر وجودها بشكل كبير وملفت، كالمذهب الحنفي والشافعي والحنبلي وغيرها، لأنّ هذا التشبيه (أو القياس) باطل من وجوه:

أوّلها : أنّ التشيّع ليس مجرّد مذهب فقهي بل هو مدرسة فكرية وعقائدية متكاملة.

ثانياً : لأنّه أعمق وأرسخ من أن يمحى بمرسوم كالذي وقّعه المعزّ بن باديس حين حمل أهل إفريقية على اتباع المذهب المالكي.

ثالثاً : لأنّه لم يكن مذهباً خاصاً بفئة أو طبقة معيّنة اجتماعية أو ثقافية، ولا بجالية أجنبية ارتبط وجوده بوجودها، بل كان مذهب عامّة الشعب رغم المحن التي تعرّض لها.

٣- كانت السمة البارزة لهذه المرحلة هي: حالة من الذوبان و التلاشي و التشرذم للوجود الشيعي في إفريقية وبلاد المغرب عموماً، وذلك بفعل عدّة عوامل:

(١) – ما علّق هذا الكيان الأصيل من غبار السنين.

(٢) – ما يختزله هذا الكيان في تاريخه من مظلومية وقهر، جعلته يختفي أحياناً (بل غالباً)، من على السطح ليستقر في الأعماق بل وفي أعماق الأعماق.

(٣) – عدم وجود المراكز العلمية والدينية.

(٤) – عدم وجود نظام إداري محلي خاص بأتباع المذهب على غرار بعض الأقلّيات الأخرى، (ما هو الحال عند الخوارج الإباضية لاسيما في جزيرة جربة).

(٥) – انعدام الكتب والمصادر وندرتها.

٤ – عانى الشيعة في إفريقية ولا يزالون ممّا يسمى بأزمة ضياع الهوية، وذلك لعدة أسباب، منها:

١)– انطوائهم على أنفسهم وعدم انفتاحهم على بعضهم البعض .

٢)– اندماجهم السلبي في أوساط مجتمعاتهم إلى درجة الذوبان وفقدان الهويّة .

٣)– غياب أي رؤية لجمع كلمتهم ولمّ شملهم وترتيب بيتهم.

٥ – من الغريب حقّاً تعجّب بعض الناس من وجود الشيعة بتونس أو ببلاد المغرب، وكأنّ في الأمر غرابة أو خروج عن المألوف .ومردّ ذلك، في نظري، إلى سببين:

أوّلها : الجهل بالتاريخ والجغرافيا وبالمذاهب وربّما بالدين أيضاً.

وثانياً: تقصير الشيعة في التعريف بأنفسهم وبمذهبهم.

٦- يرى البعض بأنّ السمة الغالبة على تشيّع تونس وبلاد المغرب هو المذهب الإسماعيلي وذلك بسبب انتشار دعوتهم ودولتهم في هذه الربوع.وهذا الرأي على وجاهته، غير دقيق لأكثر من سبب:

(١) - إنّ التشيّع في هذه البلاد سابق على انتشار دعوة الفاطميين ودولتهم .

(٢) - إنّ التشيّع الذي ارتبط وجوده بالفاطميين نشوءاً وبقاءً هو التشيّع السياسي. أمّا التشيّع المذهبي فهو أصيل أصالة الإسلام، و هو ذو جذور قوية وعميقة في هذه البلاد.

٧- يعتقد البعض بأنّ مصطلح « الشيعة » قد حمّل تاريخياً من قبل أعدائهم، بأشكال وألوان من النعوت والصفات السلبية، بل والبذيئة (أحياناً)، ممّا ترك وقعاً وأثراً سيئاً عند الكثير من الناس، لاسيّما العوام، ولهذا السبب فإنّ معظم الشيعة في تونس يفضّلون استخدام مصطلح أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وهذا الرأي وإن كان مبرّراً، إلى حدّ ما، إلّا أنّه من المهم أيضا السعي والدفاع عن اسم « الشيعة » وتنقيته ممّا علّق به من غبار السنين[1].

٨- لا توجد معلومات دقيقة حول عدد الشيعة أو تعدادهم بتونس في

(١) لاسيّما و أنّ هذا الاسم هو أقدم اسم ظهر في تاريخ الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعلمه ومباركته ورضاه .

هذه المرحلة وذلك لعدّة أسباب، منها :

١) ابتعادهم أو خوفهم من الظهور العلني بسبب خشيتهم من ظلم الحكّام وبطشهم لاسيّما وأنّهم قد ورثوا عن أسلافهم الاحتياط وعدم الثقة.

٢) التزامهم الشديد « بالتقية »(١) إلى درجة مبالغ فيها أحياناً رغم أنّها لا تعني السلبية أو الفرار من أداء الواجب بل العمل مع الحذر.

٣) عدم وجود مؤسّسات خاصّة تعنى بالشيعة و التشيّع.

٩- إنّ ما يهمّنا في هذه المرحلة، على الأقلّ، هو أن نتأكّد جازمين من أصل وجود الشيعة والتشيّع بتونس وبلاد المغرب عموماً.

أمّا تفاصيل هذا الوجود من حيث الكمّ والكيف والمكان والزمان فهي مرجئة لبحث آخر.

١٠- لم ينجح الشيعة في تونس في إيجاد هياكل إدارية وسياسية محلّية أو منظومة تتجسد فيها الحياة الجماعية، وتكون لها قوّة سياسية واجتماعية واقتصادية. وذلك لسببين على الأقل:

أحدهما: موضوعي يتعلّق بحالة الحصار والقهر والتهميش التي كانوا يعيشونها منذ قرون .

والآخر: ذاتي يتعلّق بغياب أيّ رؤية للعمل الجماعي أو الجماعوي بشكل يحفظ خصوصيات الذات أو الكيان ويحميها من الذوبان.

---

(١) وتعني الحيطة والحذر عند الخوف أو توقع الضرر.

وربّما كان وراء ذلك مبدأ التقية التي التزمت به الجماعة بشكل مبالغ فيه وحرمت نفسها بالتالي من أيّ دور سياسي أو اجتماعي أو ديني.

التشيع بعد انتصار الثورة الإسلامية :

١ - كان لانتصار الثورة الإسلامية في إيران (سنة ١٩٧٩م) صداه في تونس و في بلاد المغرب عموماً وعلى أكثر من صعيد.

وكان من نتائجها تنامي وتصاعد الصحوة الإسلامية بين جميع فئات الشعب ومكوّناته لاسيّما الشباب.

وكان الإحساس بالانتماء للإسلام المحمّدي يزداد بوتيرة عالية، ليزداد معه الاعتزاز بهذا الانتماء.

وكأنّ الأُمّة قد استعادت هويتها بعد ضياع واستفاقت بعد سبات وبعثت بعد موات.

لقد كانت هذه الثورة المباركة بمثابة الصدمة الايجابية في أعماق الأُمّة ووعيها وروحها حررتها من الكثير من القيود المصطنعة والوهمية، ونفضت عنها بعض ما تراكم من غبار السنين.

وكان لشخصية قائدها العظيم الإمام الخميني (قدس سره) من التأثير ما يفوق كلّ وصف وتصوّر.

وبعبارة واحدة كانت هذه الثورة كالشجرة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها.

كما كانت بمثابة البلسم والدواء لكثير من جراحات الأُمّة و أمراضها

وقائدها العظيم بمثابة الطبيب والحكيم.

٢- في البداية لم يكن أحد يهتمّ بمذهب هذه الثورة أو هويتها المذهبية، لكن مع تصاعد الدعاية الإعلامية المعادية علم الناس بأنّ التشيّع هو ملهم هذه الثورة وصانع عظمتها ومجدها، فازداد الناس شغفاً وتعلقاً للتعرّف عليه ودراسته (وكأن الأعداء أرادوا أن يذموا فمدحوا) .

٣ – كان الانفتاح على فكر الثورة ومفكّريها دافعاً وحافزاً للبحث في مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

ولمعت في هذه المرحلة الكثير من الأسماء وعلى رأسهم الإمام الخميني والشهيدان : السيد محمّد باقر الصدر والشيخ مرتضى المطهري.

٤ – وازداد الإقبال على فكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال العناوين القليلة المتوافرة حينذاك. ووجد الناس، لاسيّما المثقّفون، ضالّتهم، وأعلن الكثيرون تشيعهم أو استبصارهم.

ويروي بعضهم أنّه « لم يشعر بعظمة الإسلام وحلاوة الإيمان إلّا في ظلّ التشيّع » .

ويرى آخر: بأنّه لم يحسّ بالطمأنينة والسكينة روحاً وعقلاً إلّا بعد الاستبصار.

٥ – وهكذا استطاعت الثورة المباركة أن تعيد للإسلام المحمّدي الأصيل وهجه وتألّقه، ولمدرسة أهل البيت عليهم السلام مكانتها وموقعها الطبيعي في عقل الأُمّة وقلبها.

٦ – ولا يفوتنا هنا التنويه بجهود أحد رجالات التشيّع الحديث بتونس. وهو الدكتور محمّد التيجاني السماوي، مؤلّف كتاب « ثمّ اهتديت»، الذي يروي فيه قصّة استبصاره بعد رحلة شيّقة قادته إلى العراق في السبعينات من القرن العشرين حيث التقى ببعض مراجع الدين العظام وعلى رأسهم السيّد أبو القاسم الخوئي والشهيد محمّد باقر الصدر (قدّس سرهما)، وكان لكتب السيّد التيجاني وفي مقدمتها الكتاب المذكور، تأثيرها الكبير ووقعها الطيب والمبارك داخل تونس وخارجها واستبصر بسببها الكثيرون.

٧ – وكان لطلّاب العلوم الشرعية العائدين من الحوزات العلمية في الشرق دورهم في التعريف بمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

كما كان للفضائيات (الشيعية) لاسيّما الرسالية منها كلمتها ودورها الكبير والواضح والواسع في إعادة بلورة الوعي الشيعي ودفع ما علّق بالمذهب من شبهات، والتعريف بأئمّة أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم وعلومهم وفضلهم ومظلوميتهم.

كما أن للمواقع الشيعية على شبكة الإنترنت، (وهي تعدّ بالآلاف)، دوراً كبيراً أيضاً في خدمة مدرسة أهل البيت ورسالتهم.

حيث استطاعت أن تملأ عبر خدماتها، لاسيّما الكتب والموسوعات الإلكترونية، الكثير من الفراغ على المستوى المعرفي والعلمي وتكسر الحظر المفروض على هذه المدرسة طيلة القرون الماضية.

٨ – ثمّ إنّ لانتصارات المقاومة الإسلامية بلبنان دورها في تأجيج

مشاعر العزّة والكرامة.حيث أعادت للأُمّة الأمل بالنصر بعد سنوات عجاف من الهزيمة والنكسات.

وكان لهذه المشاعر دورها في حثّ الناس على التعرف على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

٩ – لكن بالمقابل فإنّ الشخصية التونسية التي صبغت الدين بصبغتها وذلك من خلال تركيزها على الجانب السهل البسيط منه، مع إهمال الجوانب الأخرى التي تفرض عليها تبعات و تكاليف لا تلائمها. مما ولّد ميلاً لدى التونسيين للترهبن والمبالغة في الانغماس في الشعائر الشكلية والأمور الهامشية والتعلّق بمثالية الماضي .

فإنّ هذه الشخصية كما صبغت التسنّن .فإنّها أثّرت في التشيّع أيضاً. فلقد طغى الطابع السلفي على شيعة تونس. وأصبح ملمحاً هاماً من ملامح شخصية الشيعة في تونس.

ويبدو هذا بوضوح من خلال اهتماماتهم ومطالعاتهم وأدبياتهم التي طغى عليها الجانب التراثي،وميلهم للانعزال والترهبن و السلبية، والمبالغة في التعلّق بفكرة الانتظار(أي انتظار الإمام الغائب عليه السلام)، التي اكتست لديهم طابعاً سلبياً تخديرياً، بعد أن أفرغت من محتواها.

إنّ انعكاس الشخصية التونسية على التديّن السنّي، جعلت منه تديّناً رخواً ساذجاً، مما سهل على المدّ السعودي الوهابي اختراقه و ربّما احتواؤه.

أمّا آثار هذا الانعكاس على التشيّع، فهي لا تقلّ حدّة وخطورة، فقد حوّلته إلى تديّن سلبي انعزالي يلوذ بالماضي و يتشبث به على حساب أيّ دور

ايجابي له في الحاضر أو المستقبل. مما سهّل ذوبانه وانصهاره.

وإنّ هذه السلبية هي التي حرمت شيعة تونس، رغم أصالتهم وتجذّرهم في البلاد، مقارنة بغيرهم من المذاهب، من لعب أي دور بارز لهم فيها، وذلك منذ قرون عديدة.

ومهما يكن من أمر فيبقى الأمل معقوداً على جيل الشباب للتخلّص من آثار هذه السلبيّات، والعودة إلى روح التشيّع الأصيل .

الخاتمة

بعد هذا العرض المتواضع (والبضاعة المزجاة)، أرجو أن أكون قد وفّقت لإلقاء الضوء على موضوع شائك ومتشعّب وحسّاس تزلّ فيه الأقدام الثابتة.

على أنّني لم أصدر فيما ذهبت من رأي أو موقف، عن تقليد أعمى، أو تعصّب لمذهب، أو تحزّب لفئة، أو طائفة وإنّما هو ما أفضى إليه البحث والدليل والتأمّل في النصوص والأدلّة .

ولقد حاولت قدر الإمكان تجنّب الأمور الخلافيّة، حرصاً على وحدة الكلمة. وأمّا ما اضطرّرت إلى ذكره وإيراده من خلافيّات، فإنّ القصد منه ليس سوى التفنيد الضمني لبعض الآراء والأقوال الخاطئة والبعيدة عن الحقيقة التي لا يحسن السكوت عليها أو المرور عليها مرّ الكرام.

أمّا النتائج التي توصّل إليها البحث فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

١ - إنّ التشيّع أصيل أصالة الإسلام، وليس من الفرق أو الطوائف التي كانت وليدة ظروف معيّنة أو أحداث طارئة وهو لا يعني شيئاً آخر غير ما جاء به الإسلام من أصول وفروع.

٢ - تعدّ الإماميّة أقدم الفرق الإسلاميّة، وتاريخها يتصل بتاريخ الإسلام منذ فجره الأوّل. وهي أكثر المذاهب أصالة واستقلاليّة.

٣- إنّ التشيّع في إفريقية خصوصاً وبلاد المغرب عموماً، يعد معلماً بارزاً من تاريخ هذه المنطقة بل إنّ البعض اعتبره من ميزاتها وخصائصها ومكوّناتها (الحضارية والثقافية والإنسانية).

ولقد لعبت مظلومية أهل البيت عليهم السلام و فضائلهم و مكانتهم الروحية و العلمية، دوراً بارزاً في تعاطف شعوب المنطقة و انضوائهم تحت راية الدعوات التي قامت باسمهم و تحت شعارهم و نادت بالثأر لهم من أعدائهم.

ولا يهمّنا هنا تقييم هذه الدعوات بقدر ما يعنينا مدى استجابة الناس لها و سرعة و سعة هذه الاستجابة لأنّ ذلك كلّه كاشف عن مدى ما تتمتّع به هذه الشعوب، التي ينظر إليها و للأسف بعض المؤرّخين نظرة انتقاص، من أبعاد حضارية و إنسانية وروحية.

٤ - إنّ أحد أهمّ أسباب الاضطرابات التي مرّ بها الفتح العربي الإسلامي في بلاد المغرب والهزائم التي منيت بها جيوشه (لا سيّما هزيمة عقبة بن نافع على يد كسيلة البرنسي سنة (٦٥ هـ) وهزيمة حسّان بن النعمان على يد الكاهنة سنة (٧٤ هـ)، يعود إلى أنّ مركز الخلافة الإسلامية في المشرق لم يفهم خصوصية بلاد المغرب ولم يطلع على الظروف الخاصّة بها والتي تختلف كلّ الاختلاف عن ظروف بلاد المشرق.

إنّ اهتمام الخلافة الأموية، و من بعدها العباسية، ببلاد المغرب لم يكن يتعدّى موضوع الخراج و الغنائم والهدايا التي يرسلها ولاتهم. وهو ما أدّى إلى نقمة أهله و سعيهم إلى الانفصال عن مركز الخلافة.

ويمكن القول بأنّ الخلافة الإسلامية في المشرق قد فشلت اتّجاه المغرب و أهله لأنّها لم تتمكّن من فهم طبيعة الشخصية الإسلامية المغربية وما يميّزها.

٥- إنّ النتائج الباهرة التي حقّقها انتشار الإسلام في بلاد المغرب وبسرعة قياسية لم تحقّقها أية عقيدة أخرى قبله يعود إلى عاملين أساسيين:

أوّلهما: يتعلّق بعظمة و قوّة هذه العقيدة الرّبّانية وقربها من الفطرة السليمة والعقل السوي.

وثانيهما: يعود إلى خصوصيات هذه البلاد و أهلها الذين كانوا يتطلعون لمن ينقذهم من براثن الجهل و الشرك و قد وجدوا في الإسلام خير منقذ.

٦ – كان ضعف العامل الديني الذي يربط المغرب الإسلامي بمركز الخلافة سمة أساسية للشخصية المغربية أسهمت في تكوينها عناصر عدّة منها:

أ – سياسة الأمويين و ظلمهم و سوء معاملتهم للبربر و إرهاقهم لكاهلهم بالضرائب.

ب – العصبية العربية التي كانت عماد سياسة الولاة من الأمويين والعباسيين.

ت – إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن مقامهم المفروض وظلمهم ووصول أخبار تلك المظالم إلى بلاد المغرب.

٧- إنّ تبرّم المسلمين البربر من سياسة الحكام العرب و ظلمهم أذكى روح المعارضة بينهم وجعل الكثيرين منهم يميلون إلى الخوارج الذين استفادوا من هذه الأرضية واستغلّوها لإعلان مذهبهم ونشره بعد أن كان في غياهب الكتمان والنسيان.

إنّ الأسباب التي أدّت إلى ميل بعض القبائل البربرية للمذهب الخارجي هي أسباب سياسية واجتماعية ولم تكن ناشئة من دواعي دينية أو عقائدية كعدم فهم الإسلام الصحيح، كما روّج له بعض المؤرّخين.

٨- إنّ ظاهرة التشيّع في بلاد المغرب تعدّ ظاهرة أصيلة و ذات صلة وثيقة بالنسيج الاجتماعي العام لشعوب هذه المنطقة. بل يمكن القول بأنّ الإسلام لم ينتشر ولم يستقر ولم يترسخ في هذه الربوع إلّا بعد أن انتشرت مآثر وفضائل أهل البيت عليهم السلام. حيث رأى فيهم معظم الناس القدوة والأسوة الحسنة والنموذج الحي والناصع للإسلام الأصيل. وذلك بعد أن كادت تعصف بهم وبعقيدتهم الصورة القاتمة الماثلة بين أعينهم، أو التي بلغت أسماعهم، عن الإسلام الأموي و العباسي.

٩- إنّ فرضية ربط التشيّع في بلاد المغرب بالدولة الفاطمية، و إن كانت ممكنة و محتملة، لكنّها عند البحث و التمحيص و التدقيق سرعان ما تنهار و تتبدّد و تصبح بعيدة بل مستبعدة وذلك للأسباب التالية:

أ- إنّ الدعوة إلى أهل البيت عليهم السلام والتعريف بحقّهم و فضلهم و مظلوميتهم، قد سبق الدعوة الفاطمية بحوالي قرن و نصف و ذلك عندما أرسل الإمام الصادق عليه السلام بعض الدعاة ومنهم :

رجلان أحدهما يدعى الحلواني والآخر أبـو سـفيان بحسب مـا ذكرتـه بعـض المصادر ومنهـا كتـاب: « اتعـاظ الحنفـاء بأخبـار الأئمّـة الفـاطميين الخلفاء » للمقريزي وكتاب « الافتتاح » للقاضي النعمان.

ب- إنّ ما قام به أبو عبد الله الملقب بالشيعي يتمثل في:

- الاستفادة مـن ولاء عامّـة البربـر في بـلاد المغـرب لأهـل البيتعليهم السلام وتعاطفهم معهم وتعلقهم بهم.

- وتوجيهه لهـذا الـولاء بـما يخدم مـصلحة الـدعوة الجديـدة و توظيفـه سياسياً وتحويله إلى تيار ثوري منظم.

ج- إن جهـود أبـا عبـد الله الـشيعي في الـدعوة و والتوطئـة للدولـة الفاطمية ما كانت لتثمر لولا التعاطف الجارف مع أهـل البيتعليهم السلام والتي كانت تتّسم به الساحة المغربية آنذاك.

ومـا يـصدق عـلى التجربـة الفاطميـة في اسـتفادتها وتوظيفهـا للتـشيّع العاطفي، الذي كان سمة بارزة لأهل المغرب، يصدق كذلك عـلى مثيلاتهـا ونعني بها تجربة الأدارسة و تجربة الموحدين .

د- إنّ الحالـة الـشيعية في تـونس خـصوصاً و بـلاد المغـرب عمومـاً لم ترتبط بالدولة نشوءاً ولا بقاء بل كانت سابقة لنشأة الدول التي رفعت لواء التشيّع المذهبي أو العاطفي واستمرّت حتّى بعد زوالها.

١٠- إنّ الـدول التـي رفعـت لـواء التـشيّع بـدءاً مـن الفـاطميين إلى الأدارسة و الموحّدين وغـيرهم كـان بينهـا وبـين مـا يـسمّى بالحالـة الـشيعية

المغربية خدمات متبادلة فلقد وفّر التشيّع (العاطفي) الأرضيّة المناسبة للدعوات المبشّرة بتلك الدول . كما أسهمت هذه الأخيرة في تجذّر التشيّع وتغلغله في وجدان هذه البلاد و صيرورته جزءا من تراثها. لكن في مقابل ذلك يمكن القول بأنّ تلك الدول قد أساءت لهذه الحالة (الشيعية) مرّتين على الأقلّ:

- مرّة حين قامت بتوظيفها و توجيهها بما يخدم مصالح سلطوية وفئوية ضيّقة.

- ومرّة أخرى حين أدخلتها و أقحمتها في أتون الصراعات السياسية التي عصفت بالأُمّة ولا تزال.

١١ - إنّ ما قام به المعزّ بن باديس من إعلان الانفصال عن الدولة الفاطمية وسماحه بموجة الاضطهاد ، والتقتيل ضد الشيعة أدىّ إلى نتائج سياسية و اقتصادية وعمرانية خطيرة في حياة أهل المغرب عموماً ، وأهل تونس خصوصاً لا نزال نشاهد إلى اليوم بعض آثارها .

١٢ - إنّ العصبية القبلية و التعصّب الديني و المذهبي و الطائفية و ما إلى ذلك من أمراض تعدّ غريبة عن بلاد المغرب عموماً وعن تونس خصوصاًلمتلي كانت بحق ّ منارة من منارات الحريّة الفكرية والمذهبية والتعايش بين الأديان. وإنّ الادّعاء بأنّ من النعم على بلاد المغرب أنّها تدين في غالبيتها بالمذهب المالكي يعدّ مغالطة و مفارقة في آن معاً.

إنّ هذه الدعوى لو صحّت فلا يمكن اعتبارها نعمة لأنّها من انعكاسات عصور الظلام والظلم و التخلّف. ولا يمكن لأحد أن يدّعي

بأنّ انتشار هذا المذهب كان سلمياً أو بالتراضي ولم يكن قهريّاً أو دمويّاً. ثـمّ متى كان التوحّد في المذهب أصلاً من أصول الدين؟

ألا يعدّ هذا تعطيلاً للعقل وتضييقاً لسعة الشرع والدين؟

ثمّ ألم يسهم هذا في تخلف الأُمّة وضعفها وتأخرها ؟

وعلى العكس من ذلك فإنّ التنوع في فهم الدين وأحكامه يعدّ من عوامل القوّة وأحد أسباب التقدّم والتطوّر وإنّ أُمتّنا في هذه المرحلة بالذات تعدّ بأمسّ الحاجة لذلك حتّى تلتحق بركب المدنية أو تحاول اللحاق به كأضعف الإيمان.

١٣- إنّ التشيّع في تونس ظاهرة أصيلة وهو يعدّ سمة بارزة لأهل المغرب عموماً وتونس خصوصاً.ورغم فترات الظلام التي مرّت بها الأُمّة فإنّه (أي التشيّع) ظلّ مستمرّاً عبر أشكال مختلفة و متفاوتة وهو في أسوأ حالاته بقي كامناً في انتظار الفرج، فعسى أن يكون قريباً إن شاء الله تعالى.

١٤- إنّ أبرز سمات التشيّع في تونس في المرحلة التي سبقت الصحوة الإسلامية، هو حالة التشتّت والتشرذم و الذوبان وغياب الوعي بالذات والشعور بالهوية.

١٥- بعد البحث والتأمّل والتمحيص في الأدلّة والنصوص الشرعية والتاريخية نجد أنّ دور الشيعة، بل وقدرهم، هو المحافظة على الإسلام أو النهج المحمّدي الأصيل المتمثل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وإنّ قدر الشيعة أيضاً عبر التاريخ، هو تحمّل تبعات هذا الدور، بكلّ

ما يعنيه ذلك من معاناة ومكابدة وتضحيات وصبر.

واليوم وبعد أن بدأت تباشير فجر النصر بالظهور، يتعاظم هذا الدور وتكبر معه المسؤولية.

ومخطئ من يظن بأنّ الزمن هو زمن استرخاء، وإنّ اللامبالاة التي طبعت سلوك الكثير من الشيعة في زمن الغيبة، آن لها أن تزول إلى غير رجعة. حتّى لا نكون مصداق قوله تعالى: ﴿ **طال عليهم الأمد فقست قلوبهم**﴾[1].

والله الموفّق وهو يهدي السبيل

تمّ بعونه تعالى وتوفيقه يوم السبت ٣٠/ ٥/ ٢٠٠٩
(بإحدى ضواحي تونس العاصمة).
على يد الفقير إلى ربّه
(عبد الحفيظ البنّاني).

(١) الحديد (٥٧) : ١٦.

الملاحق

قال رسول الله ﷺ: معرفة آل محمّد براءة من النّار وحبّ آل محمّد جواز على الصراط والولاية لآل محمّد أمان من العذاب (موسوعة الغدير، ج١٠، ص٢٧٩).

	الاسم	الكنية	اسم الأب	اسم الأم	تاريخ الولادة	مكان الولادة	مدة النبوة أو الإمامة	العمر
*	سيّدنا ونبينا محمّد المصطفى ﷺ	أبو القاسم	عبد الله	آمنة	١٧ربيع الأول عام الفيل	مكّة	٢٣ سنة (مدة النبوة)	٦٣
١	الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام	أبو الحسن	أبو طالب (عمران)	فاطمة بنت أسد	١٣ رجب١٠ سنوات قبل البعثة النبوية	مكّة	٣٠ سنة (مدة الإمامة)	٦٣
*	سيّدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي ﷺ	أم أبيها	النبي محمّد ﷺ	خديجة بنت خويلد	٢٠ جمادى الآخرة ٥سنوات بعد البعثة النبوية	مكّة	ـ	١٨
٢	الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام	أبو محمّد	الإمام علي عليه السلام	فاطمة بنت النبي ﷺ	١٥ رمضان سنة٣هـ - ق	المدينة	١٠ سنوات	٤٧
٣	الإمام الحسين بن علي سيّد الشهداء عليه السلام	أبو عبد الله	الإمام علي عليه السلام	فاطمة بنت النبي ﷺ	٣ شعبان سنة٤هـ - ق	المدينة	١١ سنة	٥٧
٤	الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام	أبو الحسن	الإمام الحسين عليه السلام	شهربانو بنت يزدجرد	٥شعبان أو ١٥ جمادى الأولى سنة٣٨ هـ-ق	المدينة	٣٥ سنة	٥٧
٥	الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام	أبو جعفر	علي بن الحسين عليه السلام	فاطمة بنت الإمام الحسن	٣صفر أو١ رجب٥٧ هـ - ق	المدينة	١٩سنة	٥٧
٦	الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام	أبو عبد الله	محمّد الباقر عليه السلام	أم فروة (فاطمة)	١٧ربيع الأول سنة٨٣هـ-ق	المدينة	٣٤سنة	٦٥
٧	الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام	أبو الحسن	جعفر الصادق عليه السلام	حميدة	٧صفر سنة١٢٨ هـ - ق	الأبواء	٣٥سنة	٥٥

٨	الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام	أبو الحسن	موسى الكاظم عليه السلام	تكتم (نجمة)	١١ذي القعدة سنة١٤٨ هـ - ق	المدينة	٢٠سنة	٥٥
٩	الإمام محمّد التقي جواد الأئمّة عليه السلام	أبو جعفر	علي الرضا عليه السلام	سبيكة (خيزران)	١٠رجب١٩٥ هـ - ق	المدينة	١٧سنة	٢٥
١٠	الإمام علي النقي الهادي عليه السلام	أبو الحسن	محمّد الجواد عليه السلام	سمانة	١٥ذي الحجة أو ٢رجب سنة٢١٢ هـ - ق	المدينة	٣٣سنة	٤٢
١١	الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام	أبو محمّد	علي النقي عليه السلام	حديث (سليل)	٨ أو ١٠ ربيع الآخر ٢٣٢ هـ - ق	المدينة	٦سنوات	٢٨
١٢	الإمام المهدي صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)	أبو القاسم	الحسن العسكري عليه السلام	نرجس	١٥ شعبان سنة٢٥٥ هـ - ق	سامراء	بدأت إمامته منذ سنة٢٦٠ هـ - ق ومتواصلة حتى آخر الزمان	–

مصادر البحث

حرف الألف

١- الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام سيرة وتاريخ، الشيخ محمّد حسن آل ياسين، مؤسسة الغدير - قم إيران.

٢- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، أحمد بن أبي الضياف، (ت ١٢٩١هـ)، طبعة - تونس.

٣- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمّة الفاطميين الخلفاء، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، طبعة القاهرة.

٤- الاحتجاج ، الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، طبعة العراق.

٥- الأدب المفرد، البخاري: أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت .

٦- إرشاد القلوب، الديلمي: أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي (ت٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

٧- الإرشاد، المفيد: محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (١٩٨٩م).

٨- الاستبصار، الطوسي: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، دار التعارف – بيروت.

٩- أُسد الغابة، ابن الأثير : عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمّد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، دار الفكر - بيروت (١٩٨٩م).

١٠- إسعاف الرّاغبين، الصبان: محمّد الصبان الشافعي (ت١٢٠٦هـ)، المكتبة الشعبية – بيروت.

١١- أصل الشيعة و أصولها، الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ)، (نسخة إلكترونية) .

١٢- أصول الكافي، الكليني: أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية – طهران.

١٣- أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار التعارف - بيروت (١٩٩٨م).

١٤- افتتاح الدعوة، القاضي النعمان: أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمّد بن منصور بن حيون التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: فرحات الدشراوي - طبعة تونس (١٩٨٦م).

١٥- أمالي الصدوق، الصدوق : أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

١٦- الأمالي، الطوسي: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) - طبعة قم.

١٧- الإمام الصادق و المذاهب الأربعة، أسد حيدر، دار التعارف - بيروت (٢٠٠١م).

١٨- الإمام محمّد الباقر مجدّد الحضارة الإسلاميّة، محمّد حسين الصّغير، مؤسسة العارف - بيروت (٢٠٠٢م).

١٩- الإمامة والسّياسة، ابن قتيبة: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، طبعة - إيران قم.

٢٠- أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، الشهيد الصدر: محمّد باقر الصدر، دار التعارف – بيروت.

٢١- أهل البيت عليهم السلام بنظرة وحدوية حديثة، يوسف عمرو، دار المحجّة البيضاء – بيروت (٢٠٠٨م).

حرف الباء

٢٢- بحار الأنوار، المجلسي: محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي، المطبعة الإسلامية – طهران.

٢٣- بحث حول المهدي، محمّد باقر الصدر، طبعة – إيران قم.

٢٤- بحث حول الولاية، محمّد باقر الصدر، دار التعارف – بيروت.

٢٥- البداية والنهاية، ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار المعارف للمطبوعات – بيروت.

٢٦- بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، جعفر عباس الحائري، المجمع العالمي لأهل البيت – إيران.

٢٧- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي (ت ٦٩٥هـ)، طبعة أجنبية.

٢٨- بين التصوف والتشيع، هاشم معروف الحسني، دار التعارف للمطبوعات – بيروت.

حرف التاء

٢٩- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار الفكر – بيروت.

٣٠- تاريخ ابن عساكر، ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٥١هـ)، دار الفكر – بيروت.

٣١- تاريخ إفريقيا الشماليّة، شارل اندريه جوليان، تعريب: محمّد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر(١٩٨٣م).

٣٢- تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب ، من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار (الجزء الخامس)، الداعي إدريس: عماد الدين القرشي، إعداد: د. فرحات الدشراوي - طبعة تونس(١٩٧٩م).

٣٣- تاريخ الطبري، الطبري: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

٣٤- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٨٤هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

٣٥- تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة: أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (ت ق ٤هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (١٩٩٦م).

٣٦- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، مؤسّسة أهل البيت -بيروت (١٩٨١م).

٣٧- التشيّع، عبد الله الغريفي مؤسّسة العارف – بيروت (٢٠٠٠م).

حرف الثاء

٣٨- ثورات العلويين، مهدي عبد الحسين النجم، مؤسّسة البلاغ - بيروت (٢٠٠٢م).

حرف الجيم

٣٩- الجامع الصحيح، الترمذي: أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، دار الحديث – القاهرة.

حرف الحاء

٤٠- الحاوي للفتاوي، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت.

٤١- الحسن بن علي عليه السلام، كامل سليمان، مؤسّسة التعارف للمطبوعات - بيروت (٢٠٠٤).

٤٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)، دار الفكر – بيروت.

٤٣- حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، باقر شريف القرشي، دار البلاغة - بيروت (١٩٩٣م).

٤٤- حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، باقر شريف القرشي، دار البلاغة - بيروت (١٩٩٣م).

حرف الخاء

٤٥- الخرائج والجرائح، الراوندي: قطب الدين سعيد بن هبة الله بن الحسن، دار الطباعة – مصر.

٤٦- خصائص أمير المؤمنين، النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

٤٧- الخصال، الصدوق: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، طبعة – إيران قم.

٤٨- خلاصة تاريخ تونس، حسن حسني عبد الوهاب، دار الجنوب للنشر- تونس (٢٠٠١م).

حرف الدال

٤٩- دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعية، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت (١٩٩٧م).

٥٠- الدرّ النّظيم، جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، طبعة – إيران قم.

٥١- دلائل الإمامة، الطبري: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ق٤هـ)، دار الذخائر – قم.

٥٢- دلائل الصدق، المظفر: محمّد حسن المظفر، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٣- ديوان الفرزدق (ت ٣٧٠هـ)، مؤسّسة الأعلمي – بيروت.

٥٤- ديوان دعبل الخزاعي، مؤسّسة الأعلمي – بيروت.

حرف الذال

٥٥- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الطبري: محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبري، دار المعرفة - بيروت (١٩٧٤م).

حرف الراء

٥٦- روح التشيّع، الشيخ عبد الله نعمة، دار البلاغة - بيروت (١٩٩٣م).

حرف الزاي

٥٧- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم الرازي: أحمد بن حمدان الرازي (ت ٣٢٢هـ)، دار الكتاب العربي - مصر.

حرف السين

٥٨- سنن ابن ماجة، ابن ماجة: أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت ٢٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٩- سنن أبي داود، أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦٠- سنن الترمذي، الترمذي: أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.

٦١- السنن الكبرى، البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار المعرفة - بيروت.

٦٢- السنن الكبرى، النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، دار المكتبة العلمية - بيروت.

حرف الشين

٦٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: عزّ الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، دار الجيل – بيروت (١٩٩٦م).

٦٤- شواهد التّنزيل، الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحسكاني (ت ق٥هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
٦٥- الشّيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، هاشم معروف الحسني، دار التعارف - بيروت.
٦٦- الشيعة في الإسلام، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، دار ذوي القربى - إيران - قم .
٦٧- الشيعة في التاريخ، محمّد حسين الزين، دار الآثار - بيروت.
٦٨- الشيعة والتشيع، محمّد جواد مغنية، (نسخة إلكترونية).
٦٩- الشيعة والحاكمون، محمّد جواد مغنيّة، در الكتاب الإسلامي - إيران - قم .

حرف الصاد

٧٠- صحيح البخاري، البخاري: أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، دار القلم - بيروت.
٧١- صحيح مسلم، مسلم:أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، دار القلم - بيروت.
٧٢- الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين عليه السلام، دار الهلال- بيروت (٢٠٠٥م).
٧٣- الصراع المذهبي بإفريقية، عبد العزيز المجذوب، الشركة التونسية للتوزيع.
٧٤- صلح الإمام الحسن، محمّد جواد فضل الله، دار الغدير - بيروت (١٩٧٣م).

٧٥- الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع و الزندقة، ابن حجر: أحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٤٥هـ)، طبعة – بيروت.
٧٦- صور من التاريخ الإسلامي، العبادي، طبعة - مصر .

حرف الطاء

٧٧- الطور المهدوي، عالم سبيط النيلي، دار المحجّة البيضاء - بيروت (٢٠٠٨ م).

حرف العين

٧٨- عبد الله بن سبأ و أساطير أخرى، السيّد العسكري: مرتضى العسكري، مؤسّسة البلاغ – بيروت.
٧٩- العبر في خبر من غبر، الذهبي: شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، طبعة - الكويت (١٩٦١م).
٨٠- عقائد الإمامية، محمّد رضا المظفر، دار الصفوة - بيروت.
٨١- علي كما وصف نفسه، طاهر عيسى درويش، دار الهلال - بيروت.
٨٢- علي وبنوه، د. طه حسين، دار المعارف - مصر(١٩٦١م).
٨٣- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني، طبعة - العراق (١٩٦١م).
٨٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، طبعة – إيران - قم.

حرف الغين

٨٥- الغدير في الكتاب و السنة والأدب، الأميني: عبد الحسين الأميني، دار الكتب الإسلامية – طهران.

حرف الفاء

٨٦- الفتنة الكبرى، الدكتور طه حسين، دار المعارف – مصر.

٨٧- فرق الشيعة، النوبختي: أبو محمّد الحسن بن موسى، طبعة – العراق.

٨٨- الفرق بين الفرق، البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، طبعة - القاهرة (١٩٤٨م).

٨٩- الفصول المهمّة في أحوال الأئمّة، ابن الصباغ المالكي: علي بن محمّد بن أحمد المالكي (ت ٨٥٥هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

حرف القاف

٩٠- القاموس المحيط، الفيروز آبادي: مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، مؤسّسة الرسالة – بيروت.

٩١- القيروان، الحبيب الجنحاني، الدار التونسية للنشر (١٩٦٨م).

حرف الكاف

٩٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت (١٩٦٧م).

٩٣- الكشاف، الزمخشري: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة – بيروت.

٩٤- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، الأربلي: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ)، دار الأضواء – بيروت.
٩٥- كفاية الطالب، الكنجي الشافعي : أبو عبد الله محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨هـ)، طبعة – بيروت.
٩٦- كمال الدين، الصدوق: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، طبعة – إيران – قم.
٩٧- كنز العمال، المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ)، مؤسّسة الرسالة - بيروت (١٩٩٣م).

حرف اللام

٩٨- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت.

حرف الميم

٩٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت (١٩٨٨م).
١٠٠- المراجعات، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، طبعة – بيروت.
١٠١- المرسل والرسول والرسالة، محمّد باقر الصدر، دار التعارف– بيروت.

١٠٢- المستدرك على الصحيحين، النيسابوري: أبو عبد الله محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت (١٩٩٠م).
١٠٣- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت ٢٤١هـ)، دار صادر - بيروت.
١٠٤- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ابن طلحة الشافعي: كمال الدين محمّد بن طلحة، طبعة - بيروت.
١٠٥- معالم المدرستين، مرتضى العسكري، مؤسسة البعثة - إيران.
١٠٦- مقاتل الطالبيين، الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (١٩٩٨م).
١٠٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ)، مكتبة النهضة - مصر (١٩٥٠م).
١٠٨- مقتل الحسين، الخوارزمي: أبو مؤيد الموفّق بن أحمد المكّي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ)، طبعة - إيران.
١٠٩- المقدّمة، ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار الفكر - بيروت.
١١٠- ملحمة الغدير، بولس سلامة، طبعة - بيروت.
١١١- الملل والنحل، الشهرستاني: أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، المكتبة التوفيقية - مصر.

١١٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب : أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، طبعة – إيران قم.

١١٣- مناقب علي بن أبي طالب، ابن المغازلي الشافعي: أبو الحسن علي بن محمّد الواسطي الشافعي (ت ٤٨٣هـ)، دار مكتبة الحياة – بيروت.

١١٤- مناقب علي بن أبي طالب، الخوارزمي: الموفق بن أحمد بن محمّد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، طبعة – إيران – قم.

١١٥- موسوعة الإمام علي عليه السلام، محمّد جواد مغنية، دار الجواد – بيروت .

حرف النون

١١٦- النّص والاجتهاد، عبد الحسين شرف الدّين الموسوي، طبعة – بيروت.

١١٧- نهج البلاغة، جمع وتحقيق الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، شرح محمّد عبده، دار البلاغة - بيروت (٢٠٠٠م).

١١٨- الوافي بالوفيّات، الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، طبعة – مصر.

١١٩- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، العاملي: محمّد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، طبعة – إيران.

١٢٠- وعّاظ السّلاطين، علي الوردي، طبعة – العراق.

حرف الياء

١٢١- ينابيع المودّة، القندوزي : سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ)، طبعة - إيران - قم.

١٢٢- يوم الخلاص، كامل سليمان، دار ذوي القربى - إيران - قم.

الفهرس